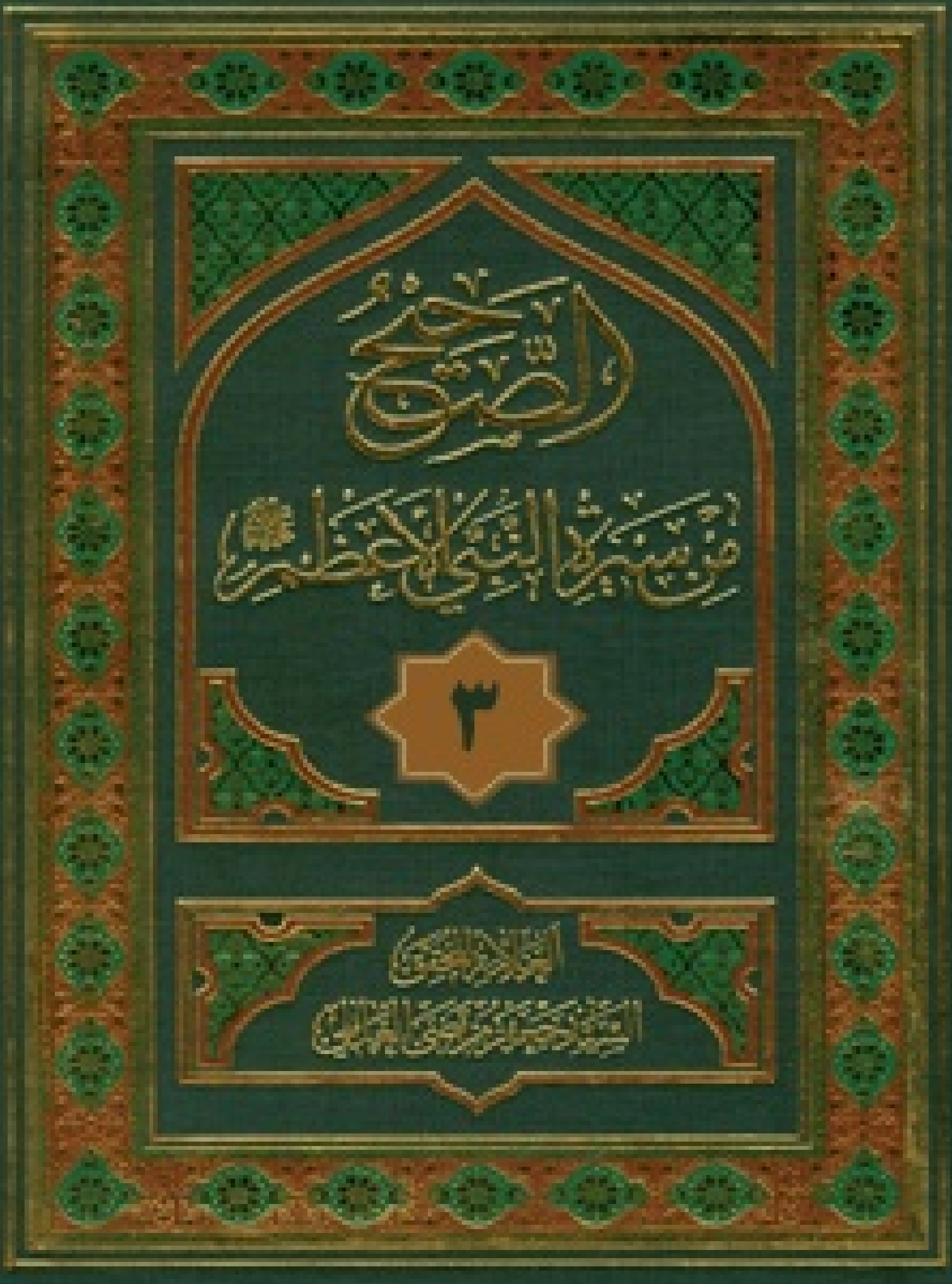

أطلس
من سيرة النبي العظيم
٣

الصحيح من سيره النبى الاعظم صل الله عليه واله المجلد 3

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، 1944- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم / جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، 1419ق. = 1377.

مشخصات ظاهری : ج 10

شابک : 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41ق.

رده بندی کنگره : BP22/9/ع 2ص 3 1377

رده بندی دیویی : 297/93

شماره کتابشناسی ملی : م 77-15929

ص: 1

اشاره

ص: 2

ص: 3

ص: 4

ص: 5

ص: 6

[تتمه الباب الأول]

الفصل الثالث: الاسراء و المعراج

اشاره

الإسراء و المعراج:

بعد بعثه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و فى اثناء المرحله السريه، التى استمرت ثلاث، أو خمس سنوات، كان- على الارجح- الاسراء و المعراج: الاسراء إلى بيت المقدس، حسب نص القرآن الكريم.

و المعراج من هناک إلى السماء، الذى وردت به أخبار كثيره.

و حيث إن التفاصيل الدقيقه لهاتين القضيتين يصعب الجزم فى كثير منها إلا بعد البحث الطويل و العميق. و ذلک لأن هذه القضيه، و جزئياتها قد تعرضت على مر الزمان للتلاعب و التزيد فيها، من قبل الرواه و القصاصين، ثم من قبل أعداء الاسلام؛ بهدف تشويه هذا الدين، و اظهاره على أنه يحوى الغرائب و العجائب، و الاساطير و الخرافات، لأسباب شخصيه، و سياسيه و غيرها. و لم يسلم من مكائد هؤلاء حتى رموز الإسلام، و حفظته و أئمه المسلمين أيضا.

و قد حذر الإمام الرضا (عليه السلام) من هؤلاء- حسبما روى عنه- حيث قال لإبن أبى محمود: (إن مخالفينا وضعوا أخبارا فى فضائلنا و جعلوها على أقسام ثلاثه: أحدها: الغلو. و ثانيها: التقصير فى أمرنا.

و ثالثها: التصريح بمثالب اعدائنا.

فاذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا، و نسبوهم الى القول بربوبيتنا. و إذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا. و اذا سمعوا مثالب اعدائنا باسمائهم ثلبونا باسمائنا و قد قال اللّه عز و جل: و لا تسبوا الذين يدعون من دون اللّه فيسبّوا اللّه عدوا بغير علم (1).

و بعد ما تقدم، فإن التعرض لبحث التفاصيل الدقيقه لقضيه الاسراء و المعراج يحتاج الى توفر تام، و تأليف مستقل؛ و لذا فنحن لا نستطيع فى هذه الفرصه المتوفره لنا أن نعطى تصورا دقيقا عنه.

و على هذا فسوف نكتفى بالإشاره الى بعض الجوانب التى رأينا:

أن من المناسب التعرض لها؛ فنقول:

متى كان الاسراء و المعراج:

إن المشهور هو أن الاسراء و المعراج قد كان قبل الهجره بمده وجيزه؛ فبعضهم قال: سته أشهر، و بعضهم قال: فى السنه الثانيه عشره للبعثه، أو فى الحاديه عشره او فى العاشره. و قيل: بعد الهجره (2).

و فى مقابل ذلک نجد البعض يقول: إنه كان فى السنه الثانيه من البعثه (3)، و قيل فى الخامسه، و قيل فى الثالثه- و هو الارجح عندنا- و لعل ابن عساكر يختار ما يقرب مما ذكرنا، حيث إنه ذكر الإسراء فى أول البعثه كما ذكره عنه ابن كثير (4)

1- راجع: البحار ج 26 ص 239 و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 304.
2- راجع: السيره الحلبيه، و تاريخ الخميس، و غير ذلک.
3- البحار ج 18 ص 319 عن العدد، و نقل ذلک عن الزهرى فى عده مصادر.
4- البدايه و النهايه ج 3 ص 108.

و قال مغلطای، بعد أن ذکر بعض الاقوال: (و قیل: کان بعد النبوه بخمسه أعوام، و قیل: بعام و نصف عام. و قال عیاض: بعد مبعثه بخمسه عشر شهرا (1)).

و قال ملا علی القاری: (و ذکر النووی: أن معظم السلف، و جمهور المحدثین و الفقهاء علی أن الاسراء و المعراج کان بعد البعثه بسته عشر شهرا (2)).

و قال ابن شهرآشوب: (ثم فرضت الصلوات الخمس بعد اسرائه فی السنه التاسعه من نبوته (3)). و لکنه لم یبین لنا تاریخه بالیوم و الشهر.

و قال الدیار بکری: (فأما سنه الاسراء، فقال الزهری: کان ذلک بعد المبعث بخمس سنین. حکاه القاضی عیاض، و رجحه القرطبی، و النووی. و قیل: قبل الهجره بسنه إلخ (4)).

الأدله علی المختار:

و أما ما یدل علی أن الاسراء قد کان فی السنوات الاولی من المبعث؛ فعدا عن الاقوال المتقدمه، و لا سیما ما ذکره الزهری و النووی، نشیر إلی الامور التالیه:

1- ما روی عن ابن عباس أن ذلک کان بعد البعثه بسنتین (5) و ابن

1- سیره مغلطای ص 27.
2- شرح الشفاء للقاری ج 1 ص 222.
3- المناقب لابن شهرآشوب ج 1 ص 43.
4- تاریخ الخمیس ج 1 ص 307.
5- البحار ج 18 ص 319 و 381 عن المناقب لابن شهرآشوب ج 1 ص 177، و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 26. حیث ذکر ذلک بعد المبعث، و قبل الانذار.

عباس كان أقرب الى زمن الرسول، و اعرف بسيرته من هؤلاء المؤرخين، فاذا ثبت النص عنه قدّم على اقوال هؤلاء.

و لربما لا يكون هذا مخالفا لما تقدم عن الزهري و غيره، إذا كان ابن عباس لا يحسب الثلاث سنوات الأولى، على اعتبار: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إنما امر بانذار الناس بعدها.

2- قد ورد عن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): أن الاسراء قد كان بعد ثلاث سنين من مبعثه (1).

و هذا هو الاصح و المعتمد.

3- و يدل على ذلک بشكل قاطع ما روى عن: ابن عباس، و سعد بن مالک، و سعد بن أبى وقاص، و الإمام الصادق (عليه السلام)، و عمر بن الخطاب، و عائشه، من أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال لعائشه- حينما عاتبته على كثره تقبيله ابنته سيده النساء، فاطمه (عليها السلام)-:

نعم يا عائشه، لما اسرى بى الى السماء أدخلنى جبرئيل الجنه، فناولنى منها تفاحه، فأكلتها، فصارت نطفه فى صلبى، فلما نزلت واقعت خديجه، ففاطمه من تلک النطفه؛ ففاطمه حوراء انسيه، و كلما اشتقت إلى الجنه قبلتها (2).

1- البحار ج 18 ص 379 عن الخرائج و الجرايح. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 3 10 الأدله على المختار: ..... ص : 9
2- تاريخ بغداد ج 5 ص 87، و المواهب اللدنيه ج 2 ص 29، و مقتل الحسين للخوارزمى ص 63/ 64 و ذخائر العقبى ص 36، و ميزان الاعتدال ج 2 ص 297 و 160، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 165، و تلخيصه للذهبى، و مجمع الزوائد ج 9 ص 202، و ينابيع الموده ص 97، و نزهه المجالس ج 2 ص 179، و مناقب المغازلى ص 358 و البحار ج 18 ص 315 و 350، 364، و نور الأبصار ص 44 و 45 و علل الشرائع ص 72، و تفسير القمى و نظم درر السمطين ص 176 و محاضره-

و معلوم مما سبق: أن فاطمه قد ولدت بعد البعثه بخمس سنوات؛ فالاسراء و المعراج كانا قبل ذلک بأكثر من تسعه أشهر، و لعله قبل ذلک بسنتين. حتى أذن اللّه لتلک النطفه بالظهور، و الاستقرار فى موضعها.

4- إن سوره الاسراء قد نزلت فى أوائل البعثه، و يدل ذلک:

ألف- ما رواه البخارى و غيره، من ان قوله تعالى فى سوره الاسراء: (و لا تجهر بصلاتک، و لا تخافت بها) قد نزل بمكه، و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مختف. كان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن؛ فاذا سمع المشركون سبوا القرآن، و من انزله، و من جاء به الخ (1).

و معلوم: أن اختفاء النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى دار الأرقم إنما كان فى أوائل البعثه.

و اجاب المحقق الروحانى على ذلک، بان من الممكن ان يكون (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حينئذ مختفيا فى شعب ابى طالب.

و لكن، لنا ان نناقشه بان شعب ابى طالب لم يكن محل اختفاء لهم، و انما كانوا محاصرين فيه، فالتعبير بالاختفاء يدل على أن ذلک قد كان فى اوائل البعثه.

1- صحيح البخارى طبع سنه 1309 ج 3 ص 99، و الدر المنثور ج 4 ص 206 عنه و عن: مسلم و أحمد و الترمذى، و النسائى، و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و ابن حبان، و ابن مردويه، و الطبرانى و البيهقى.

و وجود هجوم فی سوره الاسراء علی عقائد المشرکین، لا یضر؛ اذا کانت السوره قد نزلت فی اوائل البعثه.

ب- ما ذکره البعض فی مقال له (1) من أن سوره الإسراء قد نزلت بعد الحجر بثلاث سور (2) و سوره الحجر قد نزلت فی المرحله السریه.

و فیها جاء قوله تعالی: (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ، وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ). الامر الذی تسبب عنه الجهر بالدعوه و اظهارها.

و ایراد المحقق الروحانی هنا بان فی السوره ما یدل علی وجود الصدام بین النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و المشرکین. و هذا الصدام إنما حصل بعد الاختفاء فی دار الأرقم، و بعد الاعلان بالدعوه.

یجاب عنه بما تقدم، من أن من غیر البعید ان تکون هذه السوره قد نزلت تدریجا؛ فبدأ نزولها فی اول البعثه. ثم اکملت فی فتره التحدی و المجابهه بین النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و المشرکین.

و یدل علی قدم نزولها أیضا قول ابن مسعود عن سور الاسراء، و الکهف، و مریم: انهن من العتاق الاول، و هن من تلادی (3).

و ابن مسعود ممن هاجر الی الحبشه، و رجع منها، و النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یتجهز الی بدر (4).

إلا أن یقال: إن ابن مسعود إنما هاجر الی الحبشه بعد الطائف، أی فی الهجره الثانیه، لا فی الاولی؛ فلاحظ؛ فان ذلک لا یلائم قوله: انهن

1- راجع: مجله الوعی الإسلامی المغربیه عدد 163 ص 56.
2- راجع: الاتقان ج 1 ص 11، و تاریخ القرآن للزنجانی ص 37.
3- صحیح البخاری ج 3 ط سنه 1309 ص 96 و الدر المنثور ج 4 ص 136 عنه و عن ابن الضریس و ابن مردویه.
4- فتح الباری ج 7 ص 145.

من العتاق الأول.

5- ان سوره النجم التى يذكرون انها تذكر المعراج فى آياتها- قد نزلت هى الأخرى فى اوائل البعثه؛ فانها نزلت بعد اثنتين او ثلاث و عشرين سوره، و نزل بعدها اربعه و ستون سوره فى مكه (1)، و سيأتى فى قصه الغرانيق المكذوبه او المحرفه: أنهم يقولون: إنها انما نزلت بعد الهجره الى الحبشه بثلاثه اشهر. و الهجره الى الحبشه إنما كانت فى السنه الخامسه.

بل لقد قيل: إن سوره النجم هى اول سوره اعلن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بقراءتها؛ فقرأها على المؤمنين و المشركين جميعا (2).

و إن كان من الممكن النقاش فى كون آيات سوره النجم ناظره الى المعراج، كما سيأتى ان شاء اللّه تعالى.

6- و يؤيد كون هذه القضيه قد حصلت فى اوائل البعثه: انه حين عرج به (صلى اللّه عليه و آله و سلم) صار الملائكه يسألون: أو قد أرسل إليه؟ (3) فان هذا يشير إلى أن ذلک إنما كان فى أول بعثته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لا بعد عشره أو اثنتى عشره سنه، فان أمره (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان قد اشتهر فى أهل السماوات حينئذ. بل يمكن أن يكون قد اشتهر ذلک منذ الايام الاولى من البعثه.

7- ما يدل على أن الاسراء قد كان قبل وفاه ابى طالب: فإن بعض الروايات تذكر أن أبا طالب (ره) قد افتقده ليلته، فلم يزل يطلبه حتى وجده، فذهب إلى المسجد، و معه الهاشميون، فسل سيفه عند الحجر، و امر

1- راجع الاتقان ج 1 ص 10- 11 و 25.
2- تفسير الميزان مجلد 19 ص 26.
3- مجمع الزوائد ج 1 ص 69/ 70 عن البزار و المواهب اللدنيه ج 2 ص 6، و تاريخ الخميس ج 1 ص 310.

الهاشميين باظهار السيوف التى معهم، ثم التفت إلى قريش، و قال: لو لم أره ما بقى منكم عين تطرف. فقالت قريش: لقد ركبت منا عظيما (1)

8- ما روى من أن جبرئيل قال للنبى حين رجوعه: حاجتى أن تقرأ على خديجه من اللّه و منّى السلام (2).

9- و عن عمر: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: ثم رجعت إلى خديجه، و ما تحولت عن جانبها (3).

فكل ذلک يدل على أن هذا الحدث قد كان قبل وفاه شيخ الأبطح، و أم المؤمنين خديجه (رحمها اللّه) و هما قد توفيا فى السنه العاشره من بعثه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فكيف يكون الاسراء و المعراج قد حصل فى الحاديه عشره أو الثانيه عشره أو بعدها؟!.

تسميه أبى بكر بالصّديق

إنه إذا تأكد لنا: أن الاسراء و المعراج كان فى السنه الثالثه من البعثه. أى قبل أن يسلم من المسلمين أربعون رجلا؛ فاننا نعرف: أن الاسراء كان قبل اسلام أبى بكر بمده طويله؛ لأنه كما تقدم قد اسلم بعد اكثر من خمسين رجلا، بل إنما اسلم حوالى السنه الخامسه من البعثه، بل فى السابعه أى بعد وقوع المواجهه بين قريش و بين النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أو بعد الهجره إلى الحبشه فهو أول من أسلم بعد هذه المواجهه أو الهجره- على الظاهر.

1- مناقب ابن شهرآشوب ج 1 ص 180، و البحار ج 18 ص 384.
2- البحار ج 18 ص 385 عن العياشى، عن زراره، و حمران بن أعين، و محمد بن مسلم، عن الباقر (ع).
3- تاريخ الخميس ج 1 ص 315.

و إذا كان الاسراء قد حصل قبل اسلامه بمده طويله، فلا يبقى مجال لتصديق ما يذكر هنا، من أنه قد سمّى صديقا، حينما صدق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى قضيه الاسراء (1)، و لا لما يذكرونه، من أن ملكا كان يكلم رسول اللّه حين المعراج بصوت أبى بكر (2) و قد صرح الحفاظ بكذب طائفه من تلك الروايات (3).

و الصحيح: هو أنه قد كلمه بصوت على (عليه السلام) (4). و بذلک يظهر حال سائر ما يذكر هنا لهذا الرجل من فضائل و مواقف تنسب إليه فى السنوات الثلاث الأولى من البعثه.

و بعد ما تقدم نقول: جاء فى الشفاء عن ابى حمراء قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): لما اسرى بى الى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، أيدته بعلى (عليه السلام) (5).

الإسراء و المعراج فى اليقظه أو فى المنام:

يرى البعض: أن الاسراء قد كان بالروح فقط، فى عالم الرؤيا،

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 315، و المواهب اللدنيه ج 2 ص 40 مستدرک الحاكم، و ابن إسحاق.
2- المواهب اللدنيه ج 2 ص 29/ 30. و راجع الدر المنثور ج 4 ص 155 و راجع ص 154.
3- راجع: الغدير ج 5 ص 303 و 324 و 325 فإنه قد نقل هذه الروايات و تكذيبها عن: ميزان الاعتدال ج 1 ص 370، و لسان الميزان ج 5 ص 235، و تهذيب التهذيب ج 5 ص 138، و السيوطى فى الموضوعات، و ابن حبان، و ابن عدى.
4- المناقب للخوارزمى ص 37 و ينابيع الموده ص 83.
5- تاريخ الخميس ج 1 ص 313.

و يحتجون بما عن عائشه: ما فقدت جسد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (1).

و عن معاويه: انها رؤيا صالحه (2). و حكى مثل ذلک عن الحسن البصرى.

و لكن الصحيح هو ما ذهب إليه الاماميه و معظم المسلمين من أن الاسراء إنما كان بالروح و الجسد معا. أما المعراج فذهب الاكثر إلى أنه كان بالروح و الجسد و هو الصحيح أيضا. و نحن نشير هنا إلى ما يلى:

أولا: بالنسبه لعائشه، قال القسطلانى: (و أجيب: بأن عائشه لم تحدث به عن مشاهده؛ لأنها لم تكن إذ ذاک زوجا، و لا فى سن من يضبط، أو لم تكن ولدت بعد، على الخلاف فى الاسراء متى كان) (3).

و أما معاويه فحاله معلوم مما ذكرناه فى الجزء الأول: المدخل لدراسه السيره.

و ثانيا: قال تعالى: (سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) (4) و قال فى سوره النجم- اذا كانت الآيات ناظره إلى المعراج، و يرجع الضمير فيها إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لا إلى جبرئيل-: (فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى. فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى) (5).

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 308، و المواهب اللدنيه ج 2 ص 2، و البحار ج 18 ص 291 و فى المناقب لابن شهرآشوب ج 1 ص 177: أن الجهميه قالت بهذا.
2- البحار ج 18 ص 291 عن: المقاصد و شرحه، و راجع تاريخ الخميس ج 1 ص 308.
3- المواهب اللدنيه ج 2 ص 2.
4- الإسراء: 1.
5- النجم: 9- 10.

فان لفظ العبد إنما يطلق على الروح و الجسد معا، و لو كان مناما، لكان قال: بروح عبده، و إلى روح عبده.

كما أن قوله تعالى: (ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى) ظاهر فى البصر الحقيقى أيضا (1).

أضف إلى ذلک: أن آيه سوره الاسراء، و آيات سوره النجم وارده فى مقام الامتنان. و فيها ثناء على اللّه، و عجيب قدرته، و ذلک لا يحسن، و لا يتم لمجرد رؤيا رآها النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؛ إذ ربما يرى غير النبى، و حتى الفاسق الفاجر رؤيا اعظم من ذلک.

هذا بالإضافه إلى أن الرؤيا عند عامه الناس لا تدل على عظيم قدرته تعالى، إذ ربما تفسر على أنها نوع من الاوهام و الخيالات، فيفوت الغرض المقصود من الاسراء و المعراج، كما هو ظاهر (2).

و ثالثا: انه لو كان الاسراء مجرد رؤيا صالحه؛ فلا يبقى فيه اعجاز؛ و لما أنكره المشركون و المعاندون، و لما ارتدّ ناس ممن كان قد اسلم، كما سنشير اليه.

و رابعا: لو كان مجرد رؤيا، لم يخرج ابو طالب و الهاشميون فى طلبه (صلى اللّه عليه و آله و سلم). و كان العباس يناديه حتى اجابه من بعض النواحى، حسبما ورد فى بعض الروايات.

و اما لماذا ينكرون: ان يكون ذلک بالروح و الجسد معا؛ فهو إما لعدم قدرتهم على تعقل ذلک، او لأجل الحط من كرامه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كما تقدم فى المدخل لدراسه السيره، او لعدم قدرتهم

1- راجع هذا الاستدلال فى: البحار ج 18 ص 286 عن الرازى، و المواهب اللدنيه ج 2 ص 4، و تاريخ الخميس ج 1 ص 308.
2- راجع: تفسير الميزان ج 13 ص 24.

على اقناع الناس بامر مبهم كهذا.

الاسراء و المعراج فى القرآن:

اننا نؤمن بالاسراء استنادا إلى قوله تعالى: (سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی، الَّذِی بارَکْنا حَوْلَهُ، لِنُرِیَهُ مِنْ آیاتِنا (1)) ... فمحط النظر فى الآیه هو بیان الاسراء فقط.

اما المعراج، فانه لم یذکر فى القرآن صراحه، إلا ما جاء فى تفسیر آیات سوره النجم و هى قوله تعالى: (ذُو مِرَّهٍ فَاسْتَوی. وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلی. ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّی. فَکانَ قابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنی. فَأَوْحی إِلی عَبْدِهِ ما أَوْحی. ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأی.) (2)، ان قلنا ان الضمیر فیها یرجع إلى النبى (صلى اللّه علیه و آله و سلم)، لا إلى ذى المره، الذى هو جبرئیل.

مع أن الثانى هو الظاهر، و یدل علیه روایه صحیحه السند، عالیه الاسناد، عن الامام الرضا (علیه السلام). و الروایه تستشهد و تستدل بنص الآیات فى السوره. (3).

و یدل على ذلک ایضا و یفسره قوله تعالى: (وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِینِ (4)) فراجع.

و لکن کثره الاخبار الوارده فى المعراج، و حتى تواترها القطعى لا یبقى مجالا للشک فى حصول المعراج؛ فنحن نؤمن به أیضا استنادا إلى ذلک.

1- الإسراء: 1.
2- النجم: 6- 12.
3- راجع البرهان للبحرانى ج 4 ص 248 و ستأتى الروایه تحت عنوان: لا تدرکه الأبصار.
4- التکویر: 23.

و أما القول بوجود تعارض بين آيه سوره الاسراء، و بين الروايات الداله على المعراج، على اعتبار: ان الآيه تدل على ان انتهاء السير كان فى المسجد الاقصى، و لم يكن بعده سير.

فلا يصح؛ لأن هناک رحلتين مختلفتين من حيث الكيفيه و القصد.

و قد كان انتهاء الرحله الاولى فى المسجد الاقصى، و لم يتعلق غرض فى الآيه ببيان الرحله الثانيه أصلا.

سؤال هام و جوابه:

و اما لماذا لم يذكر المعراج فى القرآن صراحه، كما كان الحال بالنسبه إلى الاسراء.

فلربما يكون السر فى ذلک هو ان الاسراء امر قريب إلى الحس، فالتصديق به يكون ايسر و أقرب.

و إذا كانوا قد صعب عليهم التصديق بالاسراء، بل و استهزؤا و شنعوا عليه ما شاء لهم بغيهم و حنقهم. رغم أنه قد أخبرهم بما جرى للقافله التى رآها فى طريقه، و بأنها قد اضلت بعيرا، و كسرت فيها ناقه حمراء فى الوقت الفلانى، و بان لهم صدقه فى ذلک. و رغم أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) وصف لهم بيت المقدس وصفا دقيقا، يعلمون صحته و صدقه، مع علمهم بعدم رؤيته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) له فيما مضى.

و أيضا، إذا كان بعض ضعفاء المسلمين قد ارتدوا، حين أخبرهم النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بقضيه الاسراء (1)، الذى هو من جمله

1- المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 328، و تفسير ابن كثير ج 3 ص 21، و أخرجه أبو نعيم، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج 4 ص 353 حياه الصحابه ج 3 ص 73 عن بعض من تقدم. و تاريخ الخميس ج 1 ص 308 و 315، و المواهب اللدنيه ج 2 ص 40.

المعجزات القاطعه، و البراهين الساطعه.

نعم، إذا كان ذلک کله، فکيف تکون الحال إذا أخبرهم بما هو اکثر غرابه و بعدا عن أذهانهم، و هو رحلته إلى السماوات العلى، و ما شاهد فيها من عجائب الصنع، و بديع الخلق؟!.

و لهذا، فاننا نرجح: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد تدرّج فى اخباره لهم بالاسراء و المعراج، فأخبرهم أولا بالاسراء، أما المعراج؛ فأخبر به أولياءه المؤمنين القادرين على التحمل، و التعقل. ثم صار يتوسع فى اخباره لغيرهم بذلک فى الأوقات المناسبه، و بحسب ما تقتضيه المصلحه، و متطلبات الدعوه إلى اللّه تعالى.

الداعيه الحكيم:

و لعل مما تقدم يظهر: أنه اذا كان النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إنما جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، و من الضلاله إلى الهدى، فان من الطبيعى أن يهتم فى الحفاظ على الركيزه الايمانيه التى يحصل عليها، و أن لا يدخلها فى أجواء ليس لها القدره على استيعابها و لا على مواجهه اخطار الانحراف فيها.

و من الواضح: أنه إذا أخبرهم بقضيه المعراج، مع عدم قدرتهم على التحمل و التفاعل معها و لا على تصورها، فانهم إذا ارتدوا حينئذ فسيكونون معذورين، و لا سيما إذا كان التصديق بهذه القضيه إنما يستند إلى المستوى الايمانى لديهم بالدرجه الاولى.

و أما قضيه الاسراء، فقد كان بالإمكان أن يؤدى الاخبار عنها نفس النتيجه المتوخاه، و هى الجهه الاعجازيه ذات الطابع المعين مع امكان الاستناد فى مقام الاقناع بها إلى أدله تقربها إلى الحس، و تجعل القبول بها أيسر و أسهل من تلک، و لا يعتمد فيها على المستوى الايمانى

و حسب. و إذن؛ فلا يبقى ثمه مبرر لارتداد هؤلاء، و لا لعناد أولئک.

لا تدركه الابصار:

و يرى البعض، استنادا إلى قوله تعالى: (أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى، وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى. عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهى إلخ (1)): أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد رأى اللّه حين المعراج بعين رأسه، و رووا ذلک عن ابن عباس. بل لقد حكى النقاش عن أحمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه، رآه، حتى انقطع نفسه، يعنى نفس أحمد (2).

و نحن لا نريد أن نفيض فى الحديث حول الرؤيه له تعالى، فلقد أثبت علماؤنا الابرار، بما لا مجال معه للشک استحاله رؤيته تعالى، سواء فى الدنيا، أو فى الآخره. و قد فندوا أدله المجسمه المثبتين للرؤيه فى الدنيا و الآخره، أو فى الآخره فقط بشكل علمى و قاطع .. فمن أراد الاطلاع على ذلک فعليه بمراجعه دلائل الصدق، و غيره من الكتب المعده لذلک (3).

و نكتفى هنا بالاشاره إلى أن الروايه عن ابن عباس غير ثابته، فقد روى عنه أيضا خلافها (4).

و روى عن عائشه: أن مسروقا قال لها: يا أم المؤمنين، هل رأى محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ربه؟ قالت: لقد قفّ شعرى مما

1- النجم: 12- 14.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 314.
3- مثل: دلائل الصدق، و غيره من الكتب الباحثه فى الشأن العقائدى.
4- راجع فى الروايات الكثيره عنه: الدر المنثور ج 6 ص 122- 126.

قلت ... إلى أن قالت: من حدثک أن محمد رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: لا تدركه الابصار إلخ (1).

و عند مسلم: أنها أضافت: أنها سألت النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن ذلک، فأخبرها: أنه لم يره، و إنما رأى جبرئيل (2).

و الروايات فى أن المقصود بالآيات فى سوره النجم هو جبرئيل كثيره جدا و كذلک الروايات التى تؤكد: على أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد رآه بقلبه و فؤاده، لا بعينه و بصره، فانها كثيره أيضا. (3)

بل إن نفس الآيات ظاهره- إن لم تكن صريحه- فى أن المقصود هو جبرئيل، بيان ذلک باختصار:

ان قوله تعالى: علمه شديد القوى يراد بشديد القوى هو جبرئيل (عليه السلام)، ثم وصف جبرئيل، الذى وصفه اللّه بالقوه فى قوله: (ذِى قُوَّهٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ (4)) بكونه ذا مره، (أى شده و حصافه فى العقل و الرأى) (5)، و قوله (فاستوى) أى ان ذلک الشديد، ذا المره. استقام أو استولى، و هو بالافق الاعلى. و قوله: ثم دنا، أى ذلک الشديد ذو المره دنا

1- المواهب اللدنيه ج 2 ص 34 عن البخارى و مسلم، و تاريخ الخميس ج 1 ص 313، و الدر المنثور ج 6 ص 124 عن عبد بن حميد، و الترمذى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و الحاكم و ابن مردويه.
2- المواهب اللدنيه ج 2 ص 35 عن مسلم.
3- يكفى أن يرجع الطالب إلى الدر المنثور ج 6 ص 122- 126 و تاريخ الخميس ج 1 ص 313/ 314 و المواهب اللدنيه ج 2 ص 36/ 37 و غير ذلک من المصادر الكثيره جدا.
4- التكوير: 20.
5- احتمل بعض المحققين: أن يكون وصف اللّه تعالى لجبرئيل بالشده فى مقابل التابع من الجن الذى كان ضعيفا بحيث يستطيع الإنسان أن يتسلط عليه.

من النبى و تدلى فى الافق نحو النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

ثم، إن ذلک الشديد القوى ذا المره الذى دنا فتدلى، أوحى إلى النبى الذى هو عبد اللّه ما أوحى.

و رجوع الضمير إلى اللّه مع عدم سبق ذكره، لا ضير فيه لوضوحه، كما قال العلامه الطباطبائى، أو على أن يكون ضمائر فأوحى إلى عبده ما أوحى راجعه الى اللّه تعالى.

ثم قال: ما كذب الفؤاد ما رأى. و المرئى هو الآيات الكبرى، و منها ما تقدم من الدنوّ، و التدلى، و كون جبرئيل بالافق الاعلى.

و ليس فى الآيه ما يدل على أن الرؤيه قد كانت للّه تعالى. و يدل على ما نقول قوله تعالى الآتى: (ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى. لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى).

ثم قال تعالى: أفتمارونه على ما يرى. أى اتجادلونه فى رؤيته جبرئيل، و هل هذا أمر نظرى عقلى يصح الجدال و المراء فيه؟ و هل بامكانه أن يكذب بصره و يقول: لا أراه؟! فان الكفار كانوا ينكرون الوحى له، و رؤيته الملک.

ثم قال تعالى: و لقد رآه،- و الضمير يرجع إلى ذلک الذى لا يزال يتحدث عنه-، نزله أخرى، أى فى نزول آخر، و الذى كان ينزل عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو جبرئيل، فانه رآه و التقى معه على صورته فى نزله ثانيه عند سدره المنتهى. و السدره نوع من الشجر.

و لا بد أن تكون هذه الرؤيه الثانيه فى الارض، و إلا لوجب أن يقول: و لقد رآه نزله أخرى، ثم عرج به الى السماء، حتى انتهى الى السدره، فرآه عندها.

و يبدو: أنه كان فى الارض- كما يراه بعض المحققين- شجره سدر

كان لقاء النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بجبرئيل عندها، و عند تلک السدره توجد جنه المأوى، أى جنه و بستان يؤوى اليها، أو أن الجنه فى الآخره ستكون فى تلک المنطقه.

و بعض المحققين يرى: أن المراد بالنزله الدفعه، و أنه قد رأى جبرئيل بعد العروج عند سدره المنتهى، و ان الجنه الحقيقيه موجوده هناک.

و نقول:

إن هذا الكلام خلاف ظاهر التعبير بنزله. و تحقيق مكان الجنه ليس هنا محله.

و هكذا يتضح: أن هذه الآيات ناظره إلى رؤيه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لجبرئيل على صورته الحقيقيه مرتين فى نزلتين لجبرئيل.

و هذا هو ما أكده الامام الرضا (عليه السلام) فى روايه صحيحه السند عنه، جاء فيها: قال أبو قره: إنا روينا: أن اللّه قسم الرؤيه و الكلام بين نبيين؛ فقسم الكلام لموسى، و لمحمد الرؤيه.

فقال أبو الحسن (عليه السلام): فمن المبلغ عن اللّه إلى الثقلين، من الجن و الانس: (لا تدركه الابصار. و لا يحيطون به علما. و ليس كمثله شى ء)؟ أليس محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؟

قال: بلى.

قال: كيف يجيى ء رجل إلى الخلق جميعا؛ فيخبرهم: أنه جاء من عند اللّه، و أنه يدعوهم إلى اللّه بأمر اللّه، فيقول: (لا تدركه الابصار. و لا يحيطون به علما. و ليس كمثله شى ء)، ثم يقول: أنا رأيته بعينى، و أحطت علما، و هو على صوره البشر؟! أما تستحون؟! ما قدرت الزنادقه أن ترميه بهذا أن يكون يأتى من عند اللّه بشى ء، ثم يأتى بخلافه من وجه آخر.

قال أبو قره: فانه يقول: (و لقد رآه نزله أخرى)؟

فقال أبو الحسن (عليه السلام): إن بعد هذه الآيه ما يدل على ما رأى، حيث قال: (ما كذب الفؤاد ما رأى)، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)؛ فآيات اللّه غير اللّه، و قد قال اللّه: (و لا يحيطون به علما). فاذا رأته الابصار؛ فقد أحاطت به العلم، و وقعت المعرفه.

فقال أبو قره: فتكذب بالروايات؟!.

فقال أبو الحسن (عليه السلام): إذا كانت الروايات مخالفه للقرآن كذبتها. و ما أجمع المسلمون عليه: أنه لا يحاط به علما، و لا تدركه الابصار، و ليس كمثله شى ء (1).

و فى الروايه دلاله على حجيه ظواهر الكتاب، و على حجيه السياق القرآنى ايضا. صلوات اللّه و سلامه عليک يا أبا الحسن و على آبائک و ابناءک الطاهرين، فانكم ما زلتم حصون الاسلام، و المدافعين عنه، و الباذلين مهجكم فى سبيله، فانتم مصابيح الدجى، و العروه الوثقى، و الحجه على أهل الدنيا.

الاسراء من المسجد:

صريح القرآن: أن الاسراء كان من المسجد، و جاء فى عدد من الروايات: أنه كان من بيت أم هانى (2) و احتمل السيد الطباطبائى أن يكون

1- أصول الكافى ط سنه 1388 فى إيران ج 1 ص 74/ 75. و البرهان للبحرانى ج 4 ص 248.
2- السيره النبويه لابن هشام ج 2 ص 43.

الاسراء حصل مرتين، إحداهما من بيت أم هانى (1).

و يحتمل أيضا التجوز، و اراده مكه من (المسجد الحرام). و هو اطلاق متعارف، قال تعالى: (هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَهِ) و يقال: هو يسكن فى مشهد الرضا، مع أنه يسكن فى البلد المحيطه به. و أطلق فى الروايات مسجد الشجره على ذى الحليفه. و مثل ذلک كثير، فان من المتعارف أن يطلق على المكان الذى فيه شى ء معروف اسم ذلک الشى ء المعروف.

و يحتمل أيضا أن يكون (صلى اللّه عليه و آله و سلم) خرج تلک الليله الى المسجد من بيت أم هانى، ثم اسرى به من المسجد.

موسى، و فرض الصلوات الخمس:

هذا، و قد جاء فى بعض الروايات: أن الصلوات الخمس قد فرضت حين المعراج، و أنها فرضت أولا خمسين صلاه فى اليوم. و حين عوده الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) التقى بموسى، فأشار عليه أن يرجع إلى اللّه، و يسأله التخفيف، لأن الامه لا تطيق ذلک- كما لم تطقه بنو اسرائيل- فرجع، و طلب إلى اللّه التخفيف فخففها إلى أربعين، و عاد الرسول؛ فمر بموسى، فاشار عليه بطلب التخفيف، ففعل، فخففت إلى ثلاثين، ثم إلى عشرين، ثم إلى عشره، ثم إلى خمسه، ثم استحيا الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من المراجعه من جديد فاستقرت الصلوات على خمس (2).

1- الميزان ج 13 ص 31.
2- لقد وردت هذه الروايه فى مختلف كتب الحديث، و التاريخ عند غير الشيعه، و لذا فلا نرى حاجه لذكر مصادرها. فراجع على سبيل المثال: كشف الأستار عن مسند البزار ج 1 ص 45، و وردت أيضا فى كتب الإماميه رحمهم اللّه تعالى، و أعلى درجاتهم، فراجع: البحار ج 18 ص 330 و 335 و 348 و 349 و 350 و 408 عن:

و هذه الروايه و إن كانت قد وردت فى بعض المصادر الشيعيه أيضا، الا أننا لا نستطيع قبولها، و قال عنها السيد المرتضى (رحمه اللّه): (أما هذه الروايه فهى من طريق الآحاد، التى لا توجب علما، و هى مع ذلک مضعفه (1)).

و نحن هنا نشير الى الأسئله التاليه:

لماذا يفرض اللّه على الامه هذا العدد أولا، ثم يعود إلى تخفيفه بعد المراجعه، فانه إن كانت المصلحه فى الخمسين، فلا معنى للتخفيف، و إن كانت المصلحه فى الخمس، فلماذا يفرض الخمسين، ثم الاربعين، ثم الثلاثين و هكذا. و فى بعض الروايات: أنه كان فى كل مره يحط عنه خمسا، حتى انتهى الى خمس صلوات.

و قد أجاب بعض المحققين عن هذا بأن ما جرى هنا ما هو إلا نظير اضافه الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الركعتين الأخيرتين فى الرباعيه من الصلاه اليوميه؛ و نظير التكليف بعدم الفرار من الزحف، مع أنه علم أن فيكم ضعفا. و نظير الرفث الى النساء ليله الصيام، فقد نسخت حرمته بعد وقوع المخالفات منهم؛ قال تعالى: عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ؛ فَتابَ عَلَيْكُمْ، وَ عَفا عَنْكُمْ؛ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَ (2).

و نقول: ان ما ذكره- حفظه اللّه لا يكفى لدفع ما ذكرناه، أما بالنسبه لتشريع الركعتين الأخيرتين فى الرباعيه من قبله (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؛ فإن اللّه سبحانه قد فوّض له ذلک حينما يعلم (صلى اللّه

1- تنزيه الأنبياء ص 121.
2- البقره: 187.

علیه و آله و سلم) بتحقق مصلحته و مقتضیه فی متن الواقع.

و اما بالنسبه لحکم الفرار من الزحف، و حکم الرفث الی النساء، فان المقصود ب: (علم أن فیکم ضعفا). و (علم انکم کنتم تختانون انفسکم) هو تحقق معلوم اللّه سبحانه فی الخارج. أی أن الحکم السابق، و هو حرمه الفرار بملاحظه قله العدد، و حرمه الرفث قد استمر و بقی الی أن حصل الضعف و حصلت الخیانه و تغیر الموضوع. فنسخ الحکم الاول، فنسخت حرمه الرفث و نسخت حرمه الفرار و لیس المراد علم اللّه بعد جهله، و العیاذ باللّه.

أما السید المرتضی، فقد أجاب (رحمه اللّه) عن التساؤل الذی طرحناه فیما سبق بنحو آخر، و هو: أن من الممکن أن تکون المصلحه أولا تقتضی الخمسین، ثم تغیرت هذه المصلحه بسبب المراجعه، و أصبحت تقتضی الخمس (1).

و لکنه جواب منظور فیه؛ فان النبی إذا کان یعلم: أن اللّه تعالی لا یشرع إلا وفق المصلحه، فانه لا یبقی مجال لمراجعته أصلا؛ لأنه کأنه حینئذ یطلب تشریعا لا یوافق المصلحه.

و لو صحّت المراجعه هنا، و اوجبت تبدل المصلحه صحّت فی کل مورد، و اوجبت ذلک ایضا، فلماذا کانت هنا. و لم تکن فی سائر الموارد.

کما أن تعلیل موسی للتخفیف بعدم طاقه الأمه، کأنه یدل علی أنه یعتقد: أن هذا التشریع یخالف المصلحه.

و هذا محال بالنسبه الی اللّه تعالی. و لا یمکن صدوره لا من موسی (علیه السلام) و لا من نبینا (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

قال صاحب المعالم:

1- تنزیه الأنبیاء ص 121.

(المطالبه بصحه الروايه، مع أن فيها طعنا على الأنبياء بالإقدام على المراجعه فى الاوامر المطلقه) (1).

و سؤال آخر: كيف لم يعلم اللّه تعالى: أن الأمه لا تطيق ذلک، و علم بذلک موسى؟:

و سؤال آخر، و هو: ما المراد بعدم الإطاقه؟ هل المراد بها عدم الإطاقه عقلا؟ فيرد عليه: انه لا يمكن القول بجواز التكليف بما لا يطاق؟

أو المراد به ما كان فى مستوى العسر و الحرج، المنفى فى الشرع الإسلامى، كما دلت عليه الروايات و الآيات و لا سيما قوله تعالى: (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ، وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (2) و (ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (3) و غير ذلک من الآيات.

و مما ذكرناه يتضح: أنه لا يمكن أن يكون تعالى قد كلف بنى اسرائيل مالا يطيقون.

و اما قوله تعالى: (رَبَّنا، وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا) (4).

فهو لا يدل على ذلک لعطف قوله (ربنا و لا تحملنا ما لا طاقه لنا به) عليه؛ فيدل على أن المراد بالإصر هو ما يطاق، لا ما لا يطاق. و يمكن ان يكون المراد بالاصر: جزاء السيئات الثقيل و الشاق، أو المبادره بعذاب الاستيصال.

و اما طلبهم أن لا يحمّلهم ما لا طاقه لهم به، فليس المراد أنه

1- معالم الدين ص 208 مبحث النسخ.
2- البقره: 185.
3- الحج: 78.
4- البقره: 286.

يحمّلهم ذلک فی التکلیف الابتدائی، لأن العقل لا یجیز ذلک، بل المراد مالا طاقه لهم به، مما یتسبب عن المخالفه و هو العذاب الألیم، و العقاب العظیم.

و سؤال آخر هنا، و هو:

کیف نسی اللّه تعالی تلک التجربه الفاشله مع بنی اسرائیل، حتی أراد أن یکررها مع أمه محمد من جدید؟!.

و لعل هذه التجربه کانت هی عذر ابراهیم الذی مر علیه محمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ذهابا و ایابا عشر مرات، أو عشرین (1) علی اختلاف النقل. و لکنه لم یسأله عن شی ء، و لا أمره بشی ء!!.

و إن کنا نستغرب عدم سؤاله عن سر هذه الجولات المتتالیه ذهابا و ایابا؟!.

و لماذا لم یلتفت نبینا الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی ثقل هذا التشریع علی امته، و التفت إلیه نبی اللّه موسی؟ و لماذا بقی یغفل عن ذلک خمس مرات، بل سته أو اکثر و لا یعرف: أن هذا لیس هو الحد المطلوب، حتی یضطر موسی لأن یرصد له الطریق باستمرار، و لولاه لوقعت الأمه فی الحرج و العسر؟.

و لماذا لا ینزل اللّه العدد إلی الخمس مباشره من دون أن یضطر الرسول إلی الصعود و النزول المتعب و المتواصل باستمرار؟!

استبعاد الاسراء و المعراج:

و بعد، فلا بد لنا من الاشاره هنا: إلی أن استبعاد الاسراء

1- لأن ابراهیم حسب نص الروایه کان فی السماء السابعه، و موسی کان فی السادسه و کان موسی یرجع النبی إلی ربه، کی یسأله التخفیف، فیرجع ثم یعود إلیه فیرجعه من جدید.

و المعراج؛ بدعوى عدم امكان تصور أن تقطع تلك المسافات الشاسعه، التى تعد بآلاف الاميال فى ليله واحده ذهابا و ايابا- هذا الاستبعاد- فى غير محله.

فقد حضر عرش بلقيس لدى سليمان من اليمن إلى بلاد الشام فى أقل من لمح البصر. و كان عفريت من الجن قد تكفل بأن يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه.

و أما بالنسبه لنا اليوم فقد اصبح التصديق بالاسراء و المعراج اكثر سهوله، و الاقناع به أقرب منالا، و لا سيما بعد أن تمكن هذا الانسان العاجز المحدود من أن يصنع ما يمكنه من قطع 13 كيلومترا فى ثانيه واحده، و لربما يتضاعف ذلک عده مرات فى المستقبل. كما أنه قد اكتشف أن سرعه النور هى حوالى ثلاثمائه الف كيلومتر فى الثانيه (1)، بل يعتقد بعض العلماء: ان الموجات غير المرئيه للجاذبيه تستطيع أن تقطع العالم بلحظه واحده من دون حاجه إلى الزمان ..

و بعد كل هذا فإنه إذا كان قطع المسافات البعيده بهذه السرعه المذهله ليس مستحيلا على هذا الانسان المحدود، الذى بقى الاعوام الطوال يفكر و يستعد، و يجمع الخبرات و الامكانات، فهل يستحيل على خالق الانسان و الكون، و مبدعه أن يسرى بعبده الذى اصطفاه رسولا للبشريه جمعاء، ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى، و إلى ملكوت السموات، ثم يعيده إلى مكانه الأول؟!.

من اهداف الإسراء و المعراج:

اننا اذا أردنا معرفه الأهداف و الحكم، و المعجزات، و التأثيرات

1- راجع حول سرعه النور: موسوعه المعارف و العلوم ص 10.

العميقه للإسراء و المعراج، فلا بد لنا من دراسه كل نصوصه، و فقراته، و مراحله بدقه و عمق. بعد تحقيق الصحيح منها. و حيث ان ذلک غير متيسّر بل هو متعذر علينا فى ظروفنا الحاضره، فاننا لا بد ان نكتفى بالإشاره الى الامور التاليه:

أولا: ان حادثه الإسراء و المعراج معجزه كبرى خالده، و لسوف يبقى البشر الى الأبد عاجزين عن مجاراتها، و ادراک أسرارها و لعل اعجازها هذا اصبح اكثر وضوحا فى هذا القرن العشرين، بعد ان تعرف هذا الانسان على بعض اسرار الكون و عجائبه. و ما يعترض سبيل النفوذ الى السماوات من عقبات و مصاعب.

و اعجازها هذا إنما يكون بعد التسليم بنبوه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن طريق الخضوع لمعجزته الخالده، و هى القرآن، او اليقين بصدقه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن أى طريق آخر، بحيث يكون ذلک موجبا لليقين بصدق اخباراته كلها؛ فاذا اخبر (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بهذه الحادثه، فان اخباره مساوق لليقين بوقوعها. و هى حينئذ تكون معجزه خالده تتحدى هذا الانسان على مدى التاريخ.

و ثانيا: يلاحظ: ان هذه القضيه قد حصلت بعد البعثه بقليل، و قد بين اللّه سبحانه الهدف من هذه الجوله الكونيه؛ فقال فى سوره الاسراء:

(لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا).

و إذا كان الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو الأسوه و القدوه للإنسانيه جمعاء، و اذا كانت مهمته هى حمل اعباء الرساله الى العالم بأسره، و اذا كان سوف يواجه من التحديات، و من المصاعب و المشكلات ما هو بحجم هذه المهمه الكبرى، فان من الطبيعى: أن يعدّه اللّه سبحانه إعدادا جيدا لذلک، و ليكن المقصود من قصه الاسراء

و المعراج هو ان يشاهد الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بعض آثار عظمه اللّه تعالى، فى عمليه تربويه رائعه، و تعميق و ترسيخ للطاقه الإيمانيه فيه، و ليعدّه لمواجهه التحديات الكبرى التى تنتظره، و تحمل المشاق و المصاعب و الأذايا التى لم يواجهها احد قبله، و لا بعده، حتى لقد قال حسبما نقل (ما أوذى نبى مثلما أوذيت). و على حسب نص السيوطى، و المناوى، و غيرهما: (ما أوذى احد ما أوذيت) (1) و لا سيما اذا عرفنا: ان عمق إدراک هذا النبى الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)- و هو عقل الكل، و إمام الكل- لاخطار الانحرافات فى المجتمعات، و انعكاساتها العميقه على الاجيال اللاحقه كان من شأنه أن يعصر نفسه ألما من اجلهم، و يزيد فى تأثره و عذاب روحه حتى لقد خاطبه اللّه تعالى بقوله: (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُکَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ (2)).

و أيضا، فانه بالاسراء و المعراج يفتح قلبه و عقله ليكون أرحب من هذا الكون، و يمنحه الرؤيه الواضحه، و الوعى الاعمق فى تعامله مع الأمور، و معالجته للمشكلات. و لا سيما إذا كان لا بد أن يتحمل مسؤوليه قياده الأمه و العالم بأسره.

و كذلک ليصل هذا النبى الأمىّ إلى درجه الشهود و العيان بالنسبه إلى ما أوحى إليه، و سمع به عن عظمه ملكوت اللّه سبحانه، و لينتقل من مرحله السماع إلى مرحله الرؤيه و الشهود، ليزيد فى المعرفه يقينا، و فى الايمان رسوخا.

و ثالثا: لقد كان الانسان- و لا سيما العربى آنئذ- يعيش فى نطاق ضيق، و ذهنيه محدوده، و لا يستطيع أن يتصور أكثر من الامور الحسيه، أو

1- راجع: الجامع الصغير ج 2 ص 144 و كنوز الحقائق، هامش الجامع الصغير ج 2 ص 83.
2- فاطر/ 8.

القريبه من الحس، التى كانت تحيط به، أو يلتمس آثارها عن قرب.

و ذلک من قبيل الفرس، و السيف، و القمر، و النجوم، و الماء و الكلاء، و نحوها، و يشعر بالحب، و البغض و الشجاعه و غير ذلک.

فكان- و الحاله هذه- لا بد من فتح عينى هذا الانسان على الكون الارحب، الذى استخلفه اللّه فيه، ليطرح على نفسه الكثير من التساؤلات عنه، و يبعث الطموح فيه للتعرف عليه، و استكناه أسراره، و بعد ذلک احياء الامل و بث روح جديده فيه، ليبذل المحاوله للخروج من هذا الجو الضيق الذى يرى نفسه فيه، و من ذلک الواقع المزرى، الذى يعانى منه.

و هذا بالطبع ينسحب على كل أمه، و كل جيل، و إلى الابد.

و رابعا: و الأهم من ذلک: ان يلمس هذا الانسان عظمه اللّه سبحانه، و يدرک بديع صنعه، و عظيم قدرته، من اجل ان يثق بنفسه و دينه. و يطمئن الى أنه بإيمانه باللّه، إنما يكون قد التجأ إلى ركن وثيق لا يختار له الّا الأصلح، و لا يريد له الا الخير، قادر على كل شى ء، و محيط بكل الموجودات.

و خامسا: و اخيرا، انه يريد ان يتحدى الاجيال الآتيه، و يخبر عما سيؤول اليه البحث العلمى- من التغلب، على المصاعب الكونيه، و غزو الفضاء؛ فكان هذا الغزو بما له من طابع اعجازى خالد هو الأسبق و الاكثر غرابه و ابداعا؛ و ليطمئن المؤمنون، و ليربط اللّه على قلوبهم، و يزيدهم ايمانا كما قلنا.

الأذان:

و نحن نعتقد: أن الأذان قد شرع فى مناسبه الإسراء و المعراج كما جاء فى الخبر الصحيح، و لكنهم إنما يذكرون ذلک بعد الهجره؛ فنحن نرجى ء الحديث عنه إلى هناک، إن شاء اللّه تعالى.

اليهود و المسجد فى القرآن:

قال تعالى:

وَ قَضَيْنا إِلى بَنِى إِسْرائِيلَ فِى الْكِتابِ: لَتُفْسِدُنَّ فِى الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ، وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً. فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا، أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ، فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ، وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا. ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ، وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ، وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً. إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها؛ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ؛ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ، وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً. عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ، وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا، وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً، إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ: أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً. وَ أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (1).

مفاد الآيات إجمالا:

فهذه الآيات الكريمه تتضمن:

أ: أحداثا أربعه هامه، هى التاليه:

1- إن بنى اسرائيل سوف يفسدون فى الارض، و يعلون علوا كبيرا، بعد أن كتب اللّه عليهم الجلاء، و ضرب عليهم الذل و المسكنه، و باؤا بغضب من اللّه.

2- إن عبادا للّه أولى بأس شديد سوف يحاربون الاسرائليين، بعد فسادهم و علوهم، و يطأون بلادهم، و يجوسون خلال ديارهم جزاء على بغيهم و فسادهم، و يدخلون المسجد الاقصى ايضا.

1- سوره الإسراء: 4- 10.

3- إن بنى اسرائيل سوف تكثر بعد ذلک أموالهم، و أولادهم، و ذلک يحتاج إلى مده طويله نسبيا، و لسوف يجهزون جيشا أعظم من جيش أولئک العباد، و تكون الكره لهم عليهم.

4- ثم انهم بعد ان يعودوا إلى الافساد من جديد؛ فى مهله زمنيه لا بأس بمقدارها يعود أولئک العباد إلى حربهم، ليسوؤا وجوههم، و ليتبروا ما علوا تتبرا.

ب: إن حصول المرتين الاولى و الثانيه، يعنى الافساد و الاول من بنى اسرائيل ثم إرسال اللّه تعالى عبادا له عليهم، أمر حتمى، لقوله تعالى: (وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا). أما المرتان الأخيرتان فهما تتوقفان على اعتبار بنى اسرائيل بما حصل، ثم اختيارهم أحد الامرين.

فلأجل ابراز عنصر الاختيار هذا و التشكيک بصدوره منهم، عبّر ب (ان): إِنْ أَحْسَنْتُمْ الخ .. لانها تستعمل فى مقام الترديد و الشک فى صدور الإحسان منهم.

ضرب القاعده، و إعطاء الضابطه:

ثم إنه بالنسبه للافساد الثانى قد اختار التعبير ب (إذا) كما استعمل نفس هذه الكلمه بالنسبه لافسادهم الأول، و ذلک لافاده أن اختيارهم لطريق الشر أمر حتمى. و لا شک فيه لما يعلمه اللّه فيهم من خصائص، و طموحات.

و لكن جواب الشرط قد جاء بصيغه المضارع لافاده حصول سوء الوجوه و التتبير بصوره تدريجيه، ليكون ذلک أدعى فى الاذلال، و أدلّ على المساءه و لكن هذا المضارع إنما هو بملاحظه زمان تحقق الشرط فى المستقبل.

و يلاحظ هنا: كثره المؤكدات على صدور ذلک منهم؛ فلاحظ قوله

تعالى: قَضَيْنا المشير الى حتميه ذلک لكن لا على سبيل الجبر، و إنما على سبيل الإخبار بما هو حتمى الوقوع بحسب ما يعلمه اللّه من أحوالهم.

ثم عبر بكلمه: فِى الْكِتابِ المفيده إلى نوع التأكيد أيضا.

ثم أتى بلام الإبتداء فى أكثر من مورد، فقال: لَتُفْسِدُنَّ، وَ لَتَعْلُنَ. ثم أتى بنون التوكيد. مشفوعه بإذا التى تستعمل فى مقام الجزم بتحقق الشرط.

و عقب على ذلک باعتاره وعدا قد جاء بصيغه التحقق و الوقوع، حيث قال: فَإِذا جاءَ وَعْدُ و لم يقل: وقت أو موعد و هو يقتضى الحصول و التحقق أيضا، ثم الحقه بكلمه: بَعَثْنا، و لم يقل: سنبعث، ليشير إلى أنه أمر حاصل لا محاله، فهو يخبر عن وقوعه.

ثم عاد فكرر كونه وعدا و لكن بصيغه تؤكد وقوعه و حصوله حيث قال: وَ كانَ وَعْداً ثم وصفه بقوله: مَفْعُولًا.

و نلاحظ أيضا أنه لم يزل يعبر ب: (أمددنا، بعثنا، جعلنا، رددنا) بصيغه الخبر عن أمر حاصل، و اظهارا للثقه بحصوله أيضا. فلاحظ الآيات.

ج: إن المستفاد من هذه الآيات هو: أن من سوف تجرى لهم مع بنى اسرائيل هذه الاحداث هم جماعه واحده، يجوسون خلال ديار بنى اسرائيل أولا، ثم ترد الكره لبنى اسرائيل عليهم، ثم يعودون هم إلى ضرب بنى اسرائيل ضربه تسوء لها وجوههم، و يتّبروا فيها ما علوا.

و ذلک لأن الضمائر فى: (جاسوا، و عليهم، و ليسوؤا، و ليدخلوا، و دخلوه و ليتبروا)- كل هذه الضمائر ترجع إلى جماعه واحده، عبر عنها بقوله تعالى: عِباداً لَنا، و ليس غيره فى الآيات يصلح مرجعا لهذه الضمائر- أصلا.

د: يستفاد من هذه الآيات: أن هؤلاء العباد سوف يدخلون المسجد

مرتين. و أن دخولهم هذا سوف يكون على نحو واحد فى المرتين معا، أى بالقوه و القهر، و الغلبه كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّهٍ.

ه: إنه تعالى بعد أن ذكر الأحداث الأربعه عاد فقال: وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا و هو لبيان قاعده كليه، و سنه إلهيه فى مواجهه طغيان بنى اسرائيل و فسادهم، و هو لا يدل على أن ذلک سوف يقع منهم، بعد تلک الأحداث الأربعه، بل إن ما سوف يقع جزما هو ما ذكر. أما ما سواه فلا دليل على حدوثه، بل إن تعبيره ب (إن) الشرطيه، الموضوعه للاستعمال فى غير موارد الجزم لربما يشير إلى عدم الوقوع.

و: ان المقصود ب: عِباداً لَنا قوم مؤمنون، و ذلک لاقتضاء ظاهر قوله: بَعَثْنا، و قوله: عِباداً لَنا (1) لأن البعث، و العباد له، لم يستعملا فى القرآن- إلا ما شذ- إلا فى مقام المدح و الثناء، و لا سيما مثل قوله تعالى: إِنَّ عِبادِى لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ، و غير ذلک.

و لا أقل من أنه قصد به ما سوى الكافرين.

و لربما يشير إلى ذلک أيضا: أنه تعالى بعد أن ذكر انتصار عباده على بنى اسرائيل و ما سوف يحيق ببنى اسرائيل من سوء، و أنه جعل جهنم للكافرين حصيرا، عاد فأجمل كل ذلک على شكل قاعده كليه، فبين: ان سنه اللّه هى أن يبشر عباده المؤمنين الذين يقفون المواقف الصالحه، و يدافعون عن دينه- كهؤلاء العباد الذين أرسلهم على بنى اسرائيل- بأن لهم أجرا عظيما. و أن الذين لا يؤمنون بالآخره، و يفسدون فى الارض، و يعلون، علوا كبيرا، كما هو حال بنى اسرائيل قد أعتد لهم عذابا اليما، فقال:

إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ، وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

1- الميزان للعلامه الطباطبائى ج 13 ص 39.

يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً. وَ أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً.

ثم دخل فی موضوع آخر.

و یری العلامه المحقق البحاثه السید الطباطبائی (رحمه اللّه): أنه لا دلیل فی الکلام- أی فی قوله تعالی: بَعَثْنا عَلَیْکُمْ عِباداً لَنا یدل علی کون المبعوثین (مؤمنین)؛ إذ لا ضیر فی عدّ مجیئهم إلی بنی اسرائیل، مع ما کان فیه من القتل الذریع، و الاسر، و السبی، و النهب، و التخریب، بعثا إلیها؛ لأنه کان علی سبیل المجازاه علی إفسادهم فی الأرض، و علوّهم، و بغیهم بغیر الحق؛ فما ظلمهم اللّه ببعث أعدائهم، و تأییدهم علیهم، و لکن کانوا هم الظالمین لأنفسهم (1).

و نقول:

إننا لا نستطیع- بدورنا- أن نقبل: أن اللّه تعالی یؤید الظالمین و المجرمین بأی وجه. نعم، هو یخلی بینهم و بینهم، و یوقف تاییداته لهم، و هذا غیر تأییده لأولئک، و بعثهم علی هؤلاء.

إلا أن یدّعی أن المراد هو التسلیط علیهم. و ذلک بالتخلیه فیما بینهم، و وقف التأییدات للفئه المؤمنه بسبب ما فعلته.

لکن یرد علیه: أن نسبه البعث- و الحاله هذه الی اللّه سبحانه- تصبح غیر ظاهره، و لا مقبوله.

کما أننا قد أشرنا فیما سبق إلی وجود بعض القرائن المشیره إلی إیمان المبعوثین. فالأظهر هنا: هو أن أولئک العباد سوف یدفعهم أمر اللّه تعالی و التکلیف الشرعی إلی القیام بذلک العمل؛ فیصح أن یقال: إن اللّه هو المحرک و الباعث لهم.

1- تفسیر المیزان ج 13 ص 39.

هذا ما يستفاد من الآيات بشكل عام.

بقى الكلام فى تطبيقها الخارجى؛ فهل حصل و تحقق مفادها كله فى السابق؟ أو أنه لسوف يحصل ذلک كله فى الآتى!. أو أن بعض ذلک قد حصل؟. و البعض الآخر متوقع الحصول؟!.

أقوال الرواه و المفسرين:

لقد راجعنا عددا من كتب الحديث و التفسير، فوجدنا الروايات و الانظار مختلفه و متباينه فى ذلک ..

و نحن نذكر موجزا عن تلک الروايات، و الآراء بتلخيص منّا، و ذلک على النحو التالى:

1- عن ابن مسعود: إن الفساد الاول هو قتل زكريا، فبعث اللّه عليهم ملک النبط، ثم عادوا هم فغزوا النبط، فأصابوا منهم.

2- عن عطيه العوفى: بعث اللّه عليهم أولا جالوت، ثم قتله طالوت على يد داود، ثم قتلوا يحيى؛ فبعث عليهم بخت نصر. و كذا عن ابن عباس.

3- عن على: الفساد الاول قتل زكريا، و الثانى قتل يحيى، مع عدم بيان من بعث عليهم فى المرتين.

4- عن حذيفه: المره الأولى بخت نصر، ثم ردّهم كورش، ثم عادوا فى المعاصى، فسلط عليهم ابطنا نحوس، ثم عادوا فى المعاصى، فسلط عليهم ثالثا اسبيانوس.

5- عن ابن زيد: الاولى قتل زكريا و يحيى، فسلط عليهم سابور ذا الاكتاف، الفارسى، من قبل زكريا، و بخت نصر من قبل يحيى.

6- عن مجاهد: ان ملک فارس بعث جندا إليهم ليتجسسوا

أخبارهم و يسمعوا حديثهم. ثم رجعت فارس، و لم يكثر قتال، و نصرت عليهم بنو اسرائيل، ثم بعث عليهم ملک فارس ببابل جيشا، أمر عليه بخت نصر؛ فدمروهم. (1)

رأى العلامه الطباطبائى:

قال العلامه البحاثه المحقق الطباطبائى أيده اللّه تعالى:

(... و الذى يظهر من تاريخ اليهود: أن المبعوث أولا لتخريب بيت المقدس هو بخت نصر، و بقى خرابا سبعين سنه. و المبعوث ثانيا هو قيصر الروم اسبيانوس، سيّر إليهم وزيره طوطوز، فخرب البيت، و أذل القوم قبل الميلاد بقرن تقريبا.

و ليس من البعيد: أن يكون الحادثتان هما المرادتان فى الآيات؛ فان الحوادث الأخرى لم تفن جمعهم، و لم تذهب بملكهم و استقلالهم بالمره، لكن نازله بخت نصر ذهبت بجمعهم، و سؤددهم إلى زمن كورش، ثم اجتمع شملهم بعد برهه، ثم غلب عليهم الروم، و أذهبت بقوتهم، و شوكتهم، فلم يزالوا على ذلک إلى زمن ظهور الاسلام).

قال هذا سلمه اللّه بعد أن ذكر: أنه كالمسلّم: أن إحدى هاتين النكايتين كانت على يد بخت نصر (2).

و لكنه عاد فأورد على نفسه بأن فى الآيات إشعارا بأن المبعوث إلى بنى إسرائيل هم قوم بأعيانهم فى كلا المرتين.

1- راجع هذه الروايات فى الدر المنثور للسيوطى ج 4 ص 163- 165 عن ابن جرير، و ابن عساكر، و ابن أبى حاتم، متفرقا. و راجع: تفسير الطبرى، و تفسير ابن كثير، و فتح القدير، و غير ذلک من التفاسير، فى تفسير الآيات فى سوره الإسراء.
2- تفسير الميزان ج 13 ص 44/ 45.

و أجاب عن ذلک بأنه مجرد إشعار؛ من دون تصریح.

و نقول: إن الضمائر حسبما تقدم لیس لها مرجع فی الکلام سوی قوله: (عبادا لنا). و هذا یدل دلاله واضحه علی وحده القوم المرسلین علی بنی اسرائیل و لیس مجرد إشعار.

و مرادنا بالوحده هو أن یکون لهم رابطه تجمعهم ککونهم فرسا، أو مسلمین مثلا. و یرد علی کلامه سلمه اللّه، و علی جمیع الروایات المتقدمه، عن الدر المنثور و غیره ما یلی:

1- إننا لم نجد لبنی اسرائیل کره علی بخت نصر، و لا علی سابور و لا غیرهما. بل إن کورش قد أرجعهم إلی بلادهم بعد حوالی مئه سنه من اسر بخت نصر لهم. مع أن الآیه تکاد تکون صریحه بأن لبنی اسرائیل کرّه علی أولئک العباد المبعوثین.

2- إن النبط لم یدخلوا المسجد مرتین و کذلک بخت نصر، و قیصر، و غیرهم ممن ذکر جمیعا. و قد أشارت الآیه الی أن المبعوثین سوف یدخلون المسجد مرتین.

3- إن جمیع أولئک ما کانوا من المؤمنین، بل کانوا من الطغاه و المتجبرین.

4- إن بخت نصّر کان قبل المیلاد بست مئه سنه تقریبا (1) و کان یحیی معاصرا للمسیح (علیه السلام) (2) فکیف ینتقم له بخت نصّر؟ کما أن سابور متأخر عن بخت نصر، لا مقدم علیه کما فی الروایه.

1- تفسیر المیزان ج 13 ص 44 و فی تاریخ الخمیس ج 1 ص 173: من وقت تخریب بخت نصر بیت المقدس إلی مولد یحیی أربع مئه و إحدی و ستون سنه.
2- راجع: قصص الأنبیاء للنجّار ص 369.

5- هذا كله عدا عن الاشكال فى أسانيد تلكم الروايات (1).

6- إن افسادهم فى منطقه محدوده، لا يعنى كون ذلک هو المقصود من الآيه التى تتحدث عن افساد كبير، و علوّ لهم فى الارض.

و لا شک انهم كانوا على مدى التاريخ أضعف من ان يكون لهم علو فى الارض كلها، بل و حتى على سابور، أو بخت نصّر او غيرهما.

رأى آخر فى الآيات:

و يحتمل البعض: أن الفساد الأول كان فى منطقه الحجاز، فبعث اللّه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عليهم، و ضربهم الضربه القاصمه، و كان دخول عمر إلى المسجد الأقصى، الذى يمثل دخول المسلمين، هو المعنى فى الآيات. و تبقى المره الثانيه ستأتى. كما و يحتمل أن تكون هى ضربه بخت نصر لهم هى الأولى، و الثانيه هى ضربه عمر لهم.

و لكن ذلک لا يمكن قبوله؛ لأن عمر حينما دخل المسجد الأقصى لم يكن فى بيت المقدس أحد من اليهود، و إنما كان تحت سيطره النصارى، الذين استولوا عليه قبل ذلک بعقود من الزمن. و كانوا يجعلون الاقذار و الاوساخ على (الصخره)، التى هى قبله اليهود، بل كانت المرأه ترسل بخرقه حيضها من بلاد الروم إلى بيت المقدس لتلقى على الصخره، مبالغه فى امتهانها، و إذلالا لليهود و احتقارا لهم (2).

كما أنه لا معنى لاراده بخت نصّر؛ ليكون هو بطل المره الأولى، و ذلک لما أشرنا إليه فى النقاط الست الآنفه الذكر.

1- هذه النقاط أشار إليها الأخ العلامه الشيخ ابراهيم الأنصارى حفظه اللّه تعالى فى مقاله، فى مجله الهادى.
2- تقدم ذلک فى تمهيد الكتاب.

رأی آخر:

و ثمه رأی آخر یقول: إن الفساد الأول هو انکارهم نبوه نبینا (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، مع أنهم یعرفونه کما یعرفون ابناءهم، و اتفقوا مع المشرکین ضده.

و إرسال عباد اللّه علی هؤلاء المفسدین هو ما جری فی صدر الاسلام. فأرسل اللّه النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و المسلمین علیهم؛ فضربوهم فی خیبر و قریظه؛ و قینقاع، و غیر ذلک، و جاسوا خلال دیارهم، ثم دخل المسلمون المسجد الاقصی فی زمن عمر.

و الفساد الثانی هو ما جری و یجری منهم فی فلسطین و لبنان، و المنطقه بشکل عام، فی هذا القرن الرابع عشر، و لسوف یأتی المهدی (عجل اللّه فرجه) لینتقم منهم. و یدخل المسلمون المسجد، کما دخلوه أول مره فی عهد عمر.

و قد قرّر بعض الاعلام هذا، و طبق الآیات علیه، علی النحو التالی:

إنه لیس فی الآیات ما یدل علی أن الغلبه علی الیهود، و غلبه الیهود علی أولئک العباد تکون فی مکان واحد محدد. و قوله تعالی: کَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّهٍ یشعر، بل یدل علی أن قوله: فَجاسُوا خِلالَ الدِّیارِ، هو غیر دخولهم المسجد، ای انهما أمران متغایران، کما یدل علی أن الجوس خلال الدیار متقدم علی دخولهم المسجد، و ذلک لمکان اللام فی قوله: لِیَدْخُلُوا التی هی لام العاقبه و قد تحقق ذلک فی زمن عمر. کما أن عدم ذکر دخول العباد بیت المقدس حینما بعثهم أولا یدل علی أن دخول المسجد لمّا یتحقق لهم عند ذلک.

و تدل الآیه علی أن دخول المسجد فی الثانیه یکون أشد علی الیهود لقوله و لیتبروا ما علوا تتبیرا، ففسادهم الثانی یکون فی غلبتهم علی البلاد

المقدسه، و قتلهم المسلمين، و هذا ما يحصل فى هذا العصر. و جزاؤهم سيكون عاجلا على يد أهل قم إن شاء اللّه تعالى، أو المهدى المنتظر عجل اللّه تعالى فرجه، أو بامارته مع كون الجيش من أهل قم، و اللّه العالم.

و نقول:

هذا رأى لا يمكن المساعده عليه، لأن ما ذكر فى تطبيق الآيات عليه مخالف لظاهرها.

فأولا: إن الظاهر: هو أن دخول المسجد سيكون عنوه و قهرا و رغما عن بنى اسرائيل. و حينما دخل المسلمون المسجد فى عهد عمر لم يكن فى بيت المقدس أحد من اليهود، و إنما كان النصارى هم المسيطرون.

فلم يحارب المسلمون اليهود ليدخلوا المسجد بالرغم عنهم، من جهه، و من جهه أخرى فان عمر قد دخل بيت المقدس صلحا و ليس عنوه، و ظاهر الآيه: هو أن الدخول سيكون عنوه، معه سوء الوجوه، و فيه القهر و الغلبه على اليهود انفسهم، لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ، وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّهٍ، وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً.

و ثانيا: ما ذكر من أن اللام فى (ليدخلوا) تدل على أن الدخول سيتأخر عن الجوس خلال الديار، و أن التفريق بين الجوس خلال الديار، و دخول المسجد، يدل على ذلک أيضا. و كذا عدم ذكر الدخول للمسجد فى المره الأولى.

إن هذا الذى ذكر، لا يدل على ذلک؛ لأن ظاهر الآيات: أنه قد اكتفى فى المره الأولى عن ذكر دخول المسجد، بذكر الجوس خلال الديار، لأنه مستبطن له و يكون فى ضمنه، ثم اوضحه بقوله: كما دخلوه أول مره و قوله: ليدخلوا معطوف على ليسوؤا بالواو، التى لا تدل على الترتيب الزمانى.

بل لعل ذكر دخول المسجد بين التتبير لما علوا، و بين سوء الوجوه للإشاره الى أن دخول المسجد سيكون فى وسط المعركه، فى المره الثانيه، و كذلک سيكون فى المره الأولى لقوله تعالى؛ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّهٍ.

و إلا، فلو صح ما ذكره صاحب هذا الرأى، لوجب أن يكون الدخول الثانى للمسجد صلحا، لا عنوه، كما كان دخول عمر بن الخطاب فى السابق. و حينئذ فلا يبقى معنى لذكر دخول المسجد فيما بين قوله: لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ، و بين قوله: لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً.

و ثالثا: إنه لم يكن لليهود فى زمن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فساد فى الارض، و علو كبير فيها، و إنما كانوا فى محيط ضيق جدا محصورين فى نواحى المدينه، و كانوا مقهورين من قبل الأوس و الخزرج، و يمالئون مشركى مكه، و سائر القبائل فى المنطقه، فلا يصح أن يقال: إن لهم عُلُوًّا كَبِيراً. فضلا عن إضافه قوله: فِى الْأَرْضِ سواء قلنا: إن المراد: الأرض المقدسه، يعنى فلسطين، أو قلنا: بان المراد الارض مطلقا اى معظمها، أو السيطره على مراكز القوه و النفوذ فيها.

وثمه رأى آخر أيضا:

و هو أن الحروب التى جرت بين العرب و اسرائيل تمثل المراحل الثلاث الأولى، و بقيت المرحله الأخيره، التى أشارت إليها الآيه بالقول: فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَهِ، لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ إلخ ... و هى سوف تأتى إن شاء اللّه تعالى (1).

و هذا أيضا رأى لا يمكن المساعده عليه؛ لأن العرب الذين حاربوا إسرائيل لم يجوسوا خلال ديار بنى اسرائيل فى حروبهم تلک، و لا دخلوا

1- هذا رأى الشيخ ابراهيم الأنصارى فى مجله الهادى.

المسجد عنوه، بل إنهم ليسوا من عباد اللّه المؤمنين؛ لأنهم قد تخلوا عن دينهم، و جروا خلف شهواتهم، و استبدت بهم انحرافاتهم بشكل واضح لكل أحد.

و الروايات ماذا تقول:

لقد وردت بعض الروايات- التى ليس لها أسانيد- معتبره- تفيد:

أن الفساد الأول هو قتل على، و طعن الحسن (عليه السلام)، و العلو الكبير هو قتل الحسين، و وعد أولاهما نصر دم الحسين، و المبعوثون أولا هم قوم قبل خروج القائم، و كان وعدا مفعولا: خروج القائم. و ثم رددنا لكم الكره عليهم: خروج الحسين فى سبعين من أصحابه (1).

و فى تفسير القمى: الفساد الأول: فلان و فلان، و نقضهم العهد، و العلو الكبير: ما ادّعوه من الخلافه. و وعد أولاهما: الجمل. و جاسوا خلال الديار: طلبوكم، و قتلوكم، و رددنا لكم الكره: بنو أميه. و وعد الآخره: القائم (عليه السلام)، و كما دخلوه أول مره: رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و واضح: أن مفاد هذه الروايات ليس هو محط نظر الآيات صراحه، و إنما هى- إن صحت- من باب الاشاره إلى أن ما يجرى لبنى إسرائيل، يجرى مثله لهذه الأمه أيضا؛ إذ من الواضح: أن ما ذكرناه فى مفاد الآيات لا ينسجم مع ما جاء فى هذه الروايات، كما يظهر بالملاحظه، و المقارنه.

الرأى الأمثل:

و إذ قد عرفنا معنى الآيات إجمالا، و عرفنا: أن مفادها لم يحصل و لم يقع لبنى إسرائيل بعد، لا فى تاريخهم القديم، و لا الحديث، فاننا

1- راجع: البحار ج 51 ص 56 و تفسير البرهان، و تفسير نور الثقلين.

نعلم: أن مفادها سيقع فى المستقبل، و مفادها هو:

1- أن يفسد بنو اسرائيل فى الارض (و لتلاحظ كلمه فى الارض)، فانه لا يصدق ذلک على بلد أو قريه صغيره فى نواحى الحجاز مثلا، بل لا بد أن يكون فسادهم و علوهم فى الارض المقدسه، أو فى الأرض بصوره عامه. أو على الاقل فى مراكز هامه، بحيث يرون انفسهم لا غالب لهم، و لا شى ء يقف فى وجههم. ثم يعلون علوا كبيرا (و لتلاحظ هذه الجمله بدقه ايضا).

2- أن يبعث اللّه عليهم عبادا له أتقياء مؤمنين، فيجوسون خلال ديارهم، و يدخلون المسجد. (و التعبير بالجوس لربما يشير إلى عدم المكث طويلا فيها)؛ لأن الجوس هو الوطء الخفيف، و هو وطأ خلال الديار او فيما بينها من دون ثبات و تحكم فيها نفسها أو لعله إشاره إلى الدخول السرى للمجاهدين.

3- ثم يمد اللّه بنى اسرائيل بأموال و بنين، و يصير جيشهم أعظم، و يردّ لهم الكره على السابقين.

4- ثم يعود أولئک المؤمنون لإحتلال بلاد الاسرائليين، و يدخلون المسجد من جديد، و يسوؤون وجوههم إلخ.

كل ذلک سوف يحصل فى المستقبل، حسبما تفيده الآيات الكريمه، مع العلم بأنه لم يحصل من ذلک شى ء فى الماضى.

و يبقى ان نشير الى المؤيدات التاليه:

القميّون يقاتلون الاسرائيليين:

و يؤيد ما تقدم: ما رواه المجلسى عن كتاب تاريخ قم، تأليف:

الحسن بن محمد بن الحسن القمى:

(روی بعض أصحابنا قال: کنت عند أبی عبد اللّه (علیه السلام) جالسا؛ إذ قرأ هذه الآیه: حتی (1) إذا جاء وعد أولاهما بعثنا علیکم عبادا لنا، أولی بأس شدید؛ فجاسوا خلال الدیار، و کان وعدا مفعولا.

فقلنا: جعلنا فداک، من هؤلاء؟

فقال- ثلاث مرات- هم و اللّه أهل قم). (2)

و لقد قال هذا (علیه السلام) قبل ان تخلق اسرائیل باکثر من اثنی عشر قرنا، و فی حین لم یکن لیهود أیه قوه فی منطقه بیت المقدس.

و قوله (علیه السلام) هذا یعنی: أن أهل قم باعتبارهم مسلمین، او قاده للمسلمین هم الذین سوف یقودون الحرب ضد بنی اسرائیل فی المره الأولی. و هم المعنیون بقوله: عِباداً لَنا و باقی الحدیث یفهم من الآیات الکریمه؛ حیث تعود لإسرائیل الکره علیهم بجیش أعظم. ثم یعود المسلمون بقیاده أهل قم أو بقیاده غیرهم (المهدی مثلا) لیسوؤا وجوه الإسرائیلیین و لیدخلوا المسجد کما دخلوه أول مره.

الغرب و اسرائیل:

و ثمه روایه ضعیفه أیضا تقول: (و تشب نار بالحطب الجزل من غربی الارض، رافعه ذیلها، تدعو یا ویلها لرحله و مثلها؛ فإذا استدار الفلک، قلتم مات أو هلک بأی واد سلک، فیومئذ تأویل هذه الآیه: (ثم رددنا لکم الکره علیهم، و امددناکم بأموال و بنین، و جعلناکم اکثر نفیرا). (3)

1- الموجود فی القرآن: (فإذا) فلعل کلمه (حتی) من کلام الراوی.
2- البحار ج 60 ص 216.
3- البحار ج 52 ص 272/ 273. و راجع ج 51 ص 57.

فهذه الروايه تشير الى أن المره الثالثه و هى علّو الإسرائيليين و كرتهم على (عبادا لنا) لسوف تكون بمعونه غريبه، تمدهم بالمال و الجيوش حتى يصبحوا اكثر نفيرا و جندا. و لسوف تكون حربا ضروسا و قاسيه، كما يفهم من لحن الروايه المشار اليها، لوصحت.

الحروب الطويله و الصعبه:

و هذه دوله الاسلام قد ظهرت، و هى بقياده أهل قم، و لكنها تواجه الحروب المدمره، و المؤامرات الصعبه من قبل قوى الاستكبار العالمى.

و قد جاء فى الروايه المرويه عن: على بن عيسى، عن أيوب بن يحيى الجندل، عن أبى الحسن الأول (عليه السلام)، أنه قال:

(رجل من أهل قم، يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح العواصف، و لا يملون من الحرب، و لا يجبنون، و على اللّه يتوكلون، و العاقبه للمتقين). (1)

و لربما يمكن أن نستفيد من قوله: (لا تزلّهم الرياح العواصف): أن دوله الاسلام هذه سوف تواجه مشكلات صعبه، لا يثبت أمامها الرجال العاديون.

و من قوله: (لا يملون من الحرب): أنهم سوف يواجهون حروبا طويله، يمل منها الانسان العادى. و لكنهم سوف يصمدون، و فى النهايه سوف ينتصرون إن شاء اللّه، و ذلک لقوله: (و العاقبه للمتقين).

1- البحار ج 60 ص 216. و يلاحظ وجود بعض الاختلاف بين هذا النص و بين ما فى الترجمه الفارسيه لكتاب تاريخ قم. فلعل المترجم قد تصرف فى العباره. و لعل نسخه المجلسى تختلف عن النسخه المتداوله لكتاب تاريخ قم، فليلاحظ ذلک.

الفلسطينيون و الأرض:

و بعد كل ما تقدم، فاننا لا بد أن نشير هنا إلى أن الفلسطينيين قد هبوا للدفاع عن شرفهم و كرامتهم، و تحرير أرضهم، و الدفاع عن دينهم و اسلامهم.

و إننا فى نفس الوقت الذى نحيى فيه الشعب الفلسطينى المسلم، و نحيى المقاتلين الشرفاء و الغيارى من هذا الشعب الأبى.

فاننا نجد بعض المنظمات، التى لا تمثل الشعب الفلسطينى، و لا اكثريه المناضلين من أجل حقهم و وطنهم، قد اعرضت عن هذا الاسلام العظيم، و لم تتخذه عقيده و منطلقا لها، بل هى لا تعرف منه الا اسمه، بل هى تحاول الابتعاد عنه، و التبرى منه، و تعتبره رجعيا و متأخرا. و ذلک لأنها تسعى وراء الحصول على مكاسب دنيويه، ماديه. بل لقد اتخذت الماركسيه و غيرها مذهبا و عقيده لها؛ فبئس للظالمين بدلا.

و الأنكى من ذلک و الأشد مراره: أننا نشهد من هذه المنظمات محاولات جاده لاجهاض الثوره الاسلاميه الفلسطينيه، و تضييع ثمره جهودها و جهادها. فقاتل اللّه الخونه الافاكين أنى يؤفكون.

و لكن شذوذ هؤلاء و انحرافهم لا يعنى أنه يجب تشويه صوره الفلسطينيين جميعا فى أذهان الشعوب المسلمه المؤمنه؛ فان ذلک سوف يكون ظلما آخر لهذا الشعب، كما أنه سوف يحرم القضيه من قوه دافعه لها أهميتها. و ذلک لأن أيه قضيه إذا أفرغت من محتواها الانسانى؛ فانها تفقد زخمها و قوتها، و دافعها العاطفى و ذلک لأن هذا الانسان العادى ربما يخطر له: انه لماذا يقاتل و يضحى، ما دام أن الارض يمكن أن تباع و تشترى، و يقايض عليها، و الانسان وحده هو الاعلى و الأغلى؛ فلماذا إذن تزهق النفوس و الارواح فى سبيل قطعه من الأرض، ما دام يمكن

الاستعاضه عنها بثمنها، ثم الاحتفاظ بهذا الانسان و مواهبه و طاقاته لما هو أهم، و نفعه أعم.

و حتى المسجد أيضا، فليكن لأنصاف الحلول فيه مجال، و لن يمانع الاسرائيليون فى وصول المسلمين إلى مسجدهم فى كل حين، و ممارسه عباداتهم فيه بحريه، إذا كانوا هم الحكام، أو كان تحت مظله الامم المتحده.

نعم، يمكن أن يخطر كل هذا فى ذهن الانسان العادى. و لربما يؤثر هذا الخاطر على تعامله مع أقدس قضيه، فيما إذا فصل الجانب الإنسانى و العاطفى و الاسلامى عن الأرض، فيضعف الدافع لتحريرها. و هناک الكارثه الحقيقيه و الخيانه و الجريمه الكبرى.

إذن، فلا بد و أن تبقى المآسى و المظالم التى تعرّض و يتعرض لها الشعب الفلسطينى ماثله للعيان أمام المقاتل المسلم و المؤمن بعداله قضيته، ليندفع إلى التضحيه و الفداء فى سبيل قضيته المقدسه، بروح رضيه، و نفس أبيه، و ليمتزج من ثم. الوعى بالعاطفه، و كلاهما بالايمان.

مع التأكيد على أنه ليس للمسؤولين و السياسيين أن يربطوا مصيرهم و مصير أمتهم بأولئک المنحرفين، و لا أن يثقوا بهم، لأن أولئک المنحرفين سوف يدفعونهم فى النهايه ثمنا لمصالحهم، و يساومون عليهم و بهم

ص: 53

ص: 54

الباب الثانى: حتى وفاه أبى طالب

اشاره

ص: 55

ص: 56

الفصل الأول: حتى الهجره الى الحبشه

اشاره

أهداف الإسلام:

إن من الواضح: أن أهداف الإسلام القصوى ليست هى مجرد تحقيق العدل، و لو بمفهومه الأوسع، إذ لو كان كذلک لم يبق معنى للأوامر الداعيه إلى الجهاد و التضحيه بالنفوس فى سبيل اللّه و المستضعفين، إذ لماذا يتخلى هذا الشخص عن نفسه و عن حياته فى حين يبقى الآخرون يتمتعون بالحياه، و بمباهجها و لذائذها؟!.

كما أنه لو كان العدل هو الهدف فلا يبقى معنى لمحبوبيه الإيثار على النفس و مطلوبيته له تعالى. ثم مدح من يفعل ذلک من الناس كما فى قوله تعالى:

وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ (1).

كما أنه لا معنى لنهى الإنسان عن الحقد و الحسد، و غير ذلک مما لا يمكن تتبعه و اسقصاؤه.

فإن ذلک كله و سواه ليدل على أن الهدف ليس هو مجرد تحقيق العدل، و إنما هو فوق، و أهم، و أقدس من ذلک.

إنه تجسيد إنسانيه الإنسان، و إظهار كنوزها، و الإرتفاع بهذا الإنسان إلى مستوى الجداره الحقيقيه لأن يمثل النوذج الذى يريده اللّه للإنسان

1- سوره الحشر: 9.

الكامل، و ليس العدل و سواه من كمالات و فضائل، إلا واحدا من تلک المراحل و الوسائل الموصله إلى ذلک الهدف المقدس و الأسمى، الذى يستبطن فى داخله: كل العدل، و كل الكمالات و كل الفضائل، و أخيرا كل السعاده، و الفوز و النجاح.

هذا هو هدف الإسلام، و هذا ما يسعى إليه، و يعمل من أجل الوصول و الحصول عليه.

و ليس أدل على ذلک من الآيه الكريمه التى تحدد مهمه النبى الرسول، بأنه يعلم الناس الحكمه، و يطهرهم، و يزكيهم، بالإضافه إلى تبليغ رساله اللّه لهم، قال تعالى: هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ، وَ يُزَكِّيهِمْ، وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ، وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ (1).

و ليلاحظ: أيضا قوله تعالى: ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ، وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ. وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (2).

و من يراجع الآيات القرآنيه يجد الكثير الكثير مما يدل على ذلک دلاله واضحه، حتى إن ذلک لا يحتاج إلى أى بيان أو توضيح، و لا إلى المزيد من الدلالات و الشواهد.

الحاجه إلى الوزير و الوصى:

و بعد أن عرفنا حقيقه هدف الإسلام، فإننا نعرف: أن مهمته شاقه و عسيره جدا لأنها تصطدم أولا و بالذات بالإنسان الفرد، حيث لا بدّ له من السيطره على غرائزه و شهواته و طموحاته، ليوجهها و يستفيد منها فى مجال بناء الشخصيه الإنسانيه المثاليه و الفضلى.

كما أنها تهدف إلى التغيير الجذرى فى البنيه الإجتماعيه و السياسيه

1- سوره الجمعه/ 2.
2- سوره المائده/ 6.

و غیرها للمجتمع، لیقتلع کل جذور الشر، و یستأصل کل عوامل الإنحراف؛ لیغرس عوضا عنها کل معانی الخیر و الصلاح، و البرکه و الفلاح.

نعم، إنها مهمه شاقه و عسیره جدا، و لا أشق و لا أعسر منها، و هی تحتاج لإنجازها ثم إلی استمرارها إلی جهد هائل و مستمر، ما دام أن الإنسان یحمل فی داخله عوامل التغییر و التحول، التی منحه اللّه إیاها لتکون عوامل لبقائه و سعادته و لراحته، و أعطاه أیضا وسائل ضبطها و الهیمنه علیها و توجیهها.

و لکن تلک الوسائل کثیرا ما تضعف عن السیطره علی تلک العوامل. و لسوف یبقی هذا الخطر قائما، ما دام ذلک الصراع قائما. و إذا کان الصراع مستمرا باستمرار وجود الإنسان علی مدی الزمان، و کان خطر الشذوذ و الإنحراف مستمرا أیضا: فإن الأنبیاء سیکونون بحاجه إلی مواصله القیام بمهمه التربیه و التزکیه، و غرس الفضائل الإنسانیه و الأخلاقیه فی نفوس الناس، بالإضافه إلی الإستمرار فی تلاوه الآیات القاهره للعقل؛ و المرضیه للوجدان، و بالإضافه إلی تعلیم الشریعه و الاحکام، ثم الإشراف علی تطبیقها، و الرقابه المستمره علی ذلک.

و من هنا تبرز الحاجه إلی الوزیر و الوصی، و النصیر و الأخ و الولی، و الخلیفه للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فجاء تنصیب علی (علیه السلام) من قبل الرسول الأکرم صلوات اللّه علیه و آله هو الحرکه السلیمه و الطبیعیه فی خط الجهاد و الدعوه إلی اللّه سبحانه.

و ما یوم الدار، و ما جری من تنصیب علی (علیه السلام) فیه خلیفه و وزیرا و وصیا للرسول إلا واحدا من تلک المناسبات الکثیره التی جری فیها التأکید علی هذا الأمر، و ترسیخه بصوره قویه و حاسمه. فإلی حدیث الدار فی ما یلی من مطالب.

و أنذر عشيرتک الأقربين:

إنه بعد السنوات الثلاث الأولى بدأت مرحله جديده و خطيره و صعبه، هى مرحله الدعوه العلنيه إلى اللّه تعالى.

و قد بدأت أولا على نطاق ضيق نسبيا، حيث نزل عليه صلى اللّه عليه و آله قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ (1) فيقول المؤرخون، (و النص للطبرى)، ما ملخصه:

أنه لما نزلت هذه الآيه دعا عليا (عليه السلام)؛ فأمره أن يصنع طعاما، و يدعو له بنى عبد المطلب ليكلّمهم، و يبلغهم ما أمر به.

فصنع على عليه السلام صاعا من طعام، و جعل عليه رجل شاه، و ملأ عسّا من لبن، ثم دعاهم، و هم يومئذ أربعون رجلا، يزيدون رجلا، أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، و حمزه و العباس، و أبو لهب.

فأكلوا

قال على (عليه السلام): فأكل القوم، حتى مالهم بشى ء من حاجه، و ما أرى إلا موضع أيديهم، و أيم اللّه الذى نفس على بيده، و إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم.

ثم قال: إسق القوم؛ فجئتهم بذلک العس؛ فشربوا منه حتى رووا منه جميعا، و أيم اللّه، إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال: لقدما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، و لم يكلمهم الرسول صلى اللّه عليه و آله.

فأمر (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عليا فى اليوم الثانى: أن يفعل كما فعل آنفا، و بعد أن أكلوا و شربوا قال لهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): يا بنى عبد المطلب، إنى و اللّه ما أعلم شابا فى العرب جاء قومه

1- الشعراء/ 214.

بأفضل مما قد جئتكم به، إنى قد جئتكم بخير الدنيا و الآخره. و قد أمرنى اللّه تعالى أن أدعوكم إليه؛ فأيكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى، و وصيى، و خليفتى فيكم.

قال: فأحجم القوم عنها جميعا، و قال على: أنا يا نبى اللّه أكون وزيرک عليه، فأخذ برقبتى، ثم قال:

إن هذا أخى، و وصيى، و خليفتى فيكم؛ فاسمعوا له و أطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون، و يقولون لأبى طالب: قد أمرک أن تسمع لإبنک و تطيع.

و فى بعض نصوص الروايه: أنه لما قام على (عليه السلام) فأجاب، أجلسه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

ثم أعاد الكلام، فأجابه على، فأجلسه، ثم أعاد عليهم، فلم يجيبوا، و أجاب على (عليه السلام)، فقال له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ذلک.

و على حسب نص الإسكافى: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال:

هذا أخى، و وصيى، و خليفتى من بعدى. و أنهم قالوا لأبى طالب: أطع إبنک، فقد أمره عليک (1).

1- راجع هذه القضيه فى: تاريخ الطبرى ج 2 ص 63، و مختصر تاريخ أبى الفداء ج 2 ص 14 ط دار الفكر بيروت و شواهد التنزيل ج 1 ص 372 و 421 و كنز العمال الطبعه الثانيه ج 15 ص 16/ 117 و 113 و 130 عن ابن اسحاق، و ابن جرير، و صححه و أحمد، و ابن ابى حاتم، و ابن مردويه، و أبى نعيم، و البيهقى معا فى الدلائل، و تاريخ ابن عساكر، ترجمه الامام على بتحقيق المحمودى ج 1 ص 87 و 88، و شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 244 عن الاسكافى، و حياه محمد لهيكل الطبعه الأولى ص 286. و مسند أحمد ج 1 ص 159 و راجع أيضا المصادر التاليه: كفايه الطالب ص 205 عن الثعلبى و منهاج السنه ج 4 ص 80 عن البغوى و ابن أبى حاتم و الواحدى و الثعلبى و ابن جرير، و مسند أحمد ج 1 ص 111، و فرائد

التعصب الأعمى:

و لا بد أن نشير هنا: إلى أن الطبرى، قد ذكر هذا الحديث فى تاريخه على النحو المتقدم. و لكنه ندم على ذلک- على ما يظهر- فذكر نفس هذا الحديث فى تفسيره برمّته حرفيا، متنا و سندا، و لكنه غيّر فيه عباره واحده، فذكرها على النحو التالى:

(فأيكم يوازرنى على هذا الأمر، على أن يكون أخى، و كذا و كذا.

إلى أن قال: ثم قال: إن هذا أخى و كذا و كذا (1))!!

و قد تبعه على هذا إبن كثير الشامى أيضا؛ فلم تسمح نفسه بذكر ما فى تاريخ الطبرى. بل نقل خصوص ما فى التفسير، مع أن تاريخ الطبرى هو مصدره و معتمده فى تاريخه (2))!!

كما أن محمد حسنين هيكل بعد أن ذكر فى كتابه حياه محمد، فى الطبعه الأولى ص 104 نص الطبرى فى التاريخ. عاد فحذف من الطبعه

1- راجع تفسير الطبرى ج 19 ص 75.
2- راجع: تفسير ابن كثير ج 3 ص 351، و البدايه و النهايه ج 3 ص 40 و السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 459.

الثانيه ص 139 ط سنه 1354 ه. قوله: (و خليفتى فيكم) و اقتصر على قوله: (و يكون أخى و وصيى) و ذلک لقاء خمسمأه جنيه، أو لقاء شراء ألف نسخه من كتابه (1).

إبن تيميه، و حديث الدار:

أما إبن تيميه، فقد انكر- على عادته- فى إنكار فضائل سيد الأوصياء أمير المؤمنين (عليه السلام)- حديث الدار، و أورد عليه بما ملخصه:

أولا: إن فى سند روايه الطبرى أبو مريم الكوفى، و هو مجمع على تركه، و قال أحمد: ليس بثقه، و اتهمه إبن المدينى بوضع الحديث الخ.

و ثانيا: تنص الروايه على أنه قد جمع بنى عبد المطلب و هم أربعون رجلا.

و من الواضح: أنه حين نزول الآيه لم يكن بنو عبد المطلب بهذه الكثره.

و ثالثا: قول الروايه إن الرجل منهم ليأكل الجذعه، و يشرب الفرق من اللبن، كذب، إذ ليس فى بنى هاشم من يعرف بأنه يأكل جذعا، و يشرب فرقا.

و رابعا: إن مجرد الإجابه للمعاونه على هذا الأمر لا يوجب أن يكون المجيب وصيا و خليفه بعده صلى اللّه عليه و آله؛ فإن جميع المؤمنين أجابوا إلى الإسلام، و أعانوه على هذا الأمر، و بذلوا أنفسهم و أموالهم فى سبيله. كما أنه لو أجابه الأربعون؛ أو جماعه منهم فهل يمكن أن يكون الكل خليفه له.؟

و خامسا: إن حمزه، و جعفرا، و عبيده بن الحرث قد أجابوا إلى ما

1- راجع: فلسفه التوحيد و الولايه ص 179 و 132 و سيره المصطفى ص 131 و 130.

أجاب إليه على، بل حمزه أسلم قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلا (1).

الرد على ابن تميميه:

و لكن كل ما ذكره إبن تيميه لا يصح، و لا يلتفت إليه، و ذلک لما يلى:

ألف- فأما بالنسبه لما ذكره أولا عن أبى مريم، فقد قال إبن عدى:

سمعت إبن عقده يثنى على أبى مريم و يطريه، و تجاوز الحد فى مدحه (2) و أثنى عليه شعبه (3).

و قال عنه الذهبى: كان ذا اعتناء بالعلم و بالرجال (4).

و عدا عن ذلک فقد صرحوا بسبب تضعيفهم له، و هو كونه شيعيا.

و نحن نرى أن ذلک لا يضره؛ فقد روى أصحاب الصحاح، و لا سيما البخارى و مسلم عن عشرات الشيعه (5).

و مع غض النظر عن ذلک؛ فإن المتّقى الهندى قد نقل عن الطبرى:

أنه قد صحح هذا الحديث (5).

كما و صححه الإسكافى المعتزلى (6) و صححه أيضا: الخفاجى فى شرح الشفاء (7).

و قد رواه أحمد بسند جميع رجاله رجال الصحاح بلا كلام، و هم:

1- منهاج السنه ج 4 ص 81- 83.
2- راجع: الغدير ج 2 ص 280، و لسان الميزان ج 4 ص 43.
3- لسان الميزان ج 4 ص 42.
4- و (5) ميزان الاعتدال للذهبى ج 2 ص 631 و 640، و لسان الميزان ج 4 ص 42.
5- كنز العمال ج 15 ص 113.
6- راجع: شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 244.
7- راجع: الغدير ج 2 ص 28.

شریک، و الأعمش، و المنهال، و عباد، و علی (علیه السلام) (1).

و لو سلم کل ذلک؛ فإن طرق الحدیث مستفیضه، یقوی بعضها بعضا؛ فلا یضر ضعف بعض الرجال فی بعض الأسانید.

و أعجب من ذلک دعوی أن لا تکون قضیه الخلافه بعده صلی اللّه علیه و آله مذکوره فی المسانید، فإن من راجع المصادر التی ذکرناها للحدیث آنفا؛ یعرف أنها موجوده فی عشرات المصادر و المسانید.

و أما الطعن فی روایه إبن أبی حاتم باشتمال سندها علی عبد اللّه بن عبد القدوس. و قد ضعفه الدارقطنی، و قال النسائی: لیس بثقه. و قال إبن معین: لیس بشی ء، رافضی خبیث.

أما هذا- فقد قال الشیخ المظفر: (رحمه اللّه) تعالی فی جوابه:

(و فیه: أن تضعیفهم معارض بما فی تقریب ابن حجر: أنه صدوق.

و فی تهذیب التهذیب: قال محمد بن عیسی: ثقه.

و ذکره إبن حبّان فی الثقات.

و قال البخاری: هو فی الأصل صدوق، إلا أنه یروی عن أقوام ضعاف. مع أنه أیضا من رجال سنن الترمذی.

و مدح هؤلاء مقدم؛ لعدم العبره فی قدح أحد المتخالفین فی الدین فی الآخر، و یقبل مدحه فیه. و هم قذفوه بذلک؛ لأنهم رموه بالتشیع، و لا نعرفه فی رجالهم.

لکن قد ذکر ابن عدی: أن عامه ما یرویه فی فضائل أهل البیت.

و لعل هذا هو سر تهمتهم له (2).

1- راجع: المصدر السابق، و مسند أحمد ج 1 ص 111.
2- دلائل الصدق ج 2 ص 234.

2- و أما ذكره إبن تيميه ثانيا: فإن الظاهر هو أن كلمه (عبد) زياده من الرواه، بدليل: أن عددا من الروايات يصرح بأنه قد دعا بنى هاشم (1) و جاء فى روايات أخرى: انه دعا بنى عبد المطلب، و نفرا من بنى المطلب (2) فلعل الأمر قد اشتبه على الراوى و أضاف كلمه (عبد)، و هذا كثير. و عليه فلا يلزم من ذلک كذب أصل الواقعه المتفق عليها إجمالا.

كما أن أبناء عبد المطلب إذا كانوا عشره، و كان أصغرهم يصل عمره حينئذ إلى ستين عاما؛ فلماذا لا يكون لهم من الولد ما لو انضموا إليهم لبلغوا أربعين رجلا، بل اكثر من ذلک بكثير، و ما وجه الإستعباد لذلک؟

3- و أما ما ذكره ثالثا: فقد أجاب عنه الشيخ المظفر: بأن عدم معروفيتهم بالأكل لا تدل على عدم كونهم كذلک، فلعلهم كذلک فى الواقع.

و لو سلّم؛ فإنه يلزم منه مبالغه الراوى فى إظهار معجزه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى إطعامهم رجل الشاه، و عسّ اللبن الواحد (3).

4- و أما ما ذكره إبن تيميه رابعا: فجوابه ما ذكره الشيخ المظفر من أن قوله هذا ليس عله تامه للخلافه، و لم يدّع ذلک النبى صلى اللّه عليه و آله، ليشمل حتى من لم يكن من عشيرته، بل أمره اللّه بإنذار عشيرته؛

1- كما فى السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 459 عن ابن أبى حاتم و كذا فى البدايه و النهايه ج 3 ص 40، راجع كنز العمال ج 15 ص 113، و مسند أحمد ج 1 ص 111 و تفسير ابن كثير ج 3 ص 350 و ابن عساكر ترجمه الامام على بتحقيق المحمودى ج 1 ص 87، و اثبات الوصيه للمسعودى ص 115، و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 27، و مسند البزار مخطوط فى مكتبه مراد رقم 578.
2- الكامل لابن الأثير ج 2 ص 62 ط صادر.
3- دلائل الصدق ج 2 ص 235.

لأنهم أولى بالدفع عنه و نصره؛ فلم يجعل هذه المنزله إلا لهم، و ليعلم من أول الأمر: أن هذه المنزله لعلى (عليه السلام) لأن اللّه و رسوله يعلمان:

أنه لا يجيب النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و يوازره غير على (عليه السلام)؛ فكان ذلک من باب تثبيت إمامته، بإقامه الحجه عليهم. و مع فرض تعدد المجيبين يعين الرسول الأحق بها منهم (1).

و قد أوضح ذلک المحقق البحاثه السيد مهدى الروحانى: بأن الخطاب إنما هو للجميع، لكن النبى صلى اللّه عليه و آله كان يعلم من خلقهم و علاقاتهم، و طبائعهم: أنهم سوف لا يجيبون إلا على (عليه السلام)، هذا بالإضافه إلى إعلام اللّه له بذلک.

و نقول نحن: و يؤيد ذلک النص الذى سوف يأتى نقله عن البحار، عن ابن طاووس، تحت عنوان: (ماذا قال النبى صلى اللّه عليه و آله يوم الانذار). و قد قلنا هناک: إن ذلک النص هو المنسجم مع الآيه الكريمه، و قد جاء فيه: (إن اللّه لم يبعث رسولا إلا جعل له أخا، و وزيرا، و وصيا، و وارثا من أهله، و قد جعل لى وزيرا كما جعل للأنبياء من قبلى .. إلى أن قال: و قد و اللّه أنبأنى به، و سماه لى، و لكن أمرنى أن أدعوكم و أنصح لكم، و أعرض عليكم لئلا تكون لكم الحجه فيما بعد) (2).

و احتمل صديقنا المحقق الروحانى: أن يكون الخطاب لواحد منهم على سبيل البدل، و لذا قال لهم: أيكم يؤازرنى الخ .. فالمجيب أولا هو الذى يستحق ما وعد به (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و إجابه أكثر من واحد بعيده الوقوع جدا، و لا يعتنى باحتمالها عرفا. لا سيما و أن الذى يضرّ هو التقارن فى الإجابه، و ذلک أبعد و أبعد. هذا مع علمه صلى اللّه عليه و آله بأنه لا يجيب سوى واحد منهم.

1- دلائل الصدق ج 2 ص 236.
2- البحار ج 18 ص 215/ 216، عن: سعد السعود ص 106.

و لكن قد ذكر بعض الأعلام: أن كون المراد هو المؤازره فى الجمله بعيد؛ لكون المسلمين على اختلاف مراتبهم قد وازروه فى الجمله.

فالمراد هو المؤازره فى جميع الامور و الاحوال. و الموازره الكامله فى الدين تحتاج إلى أعلى درجات الوعى، و العلم، و السمو الروحى إلى درجه العصمه. الأمر الذى يعنى: أن شخصا كهذا هو الذى يستحق الإمامه، و لا يستحقها سواه؛ ممن تلبس بالظلم، كما قال تعالى: (لا يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ). و ليس ذلک سوى على (عليه السلام).

أضف إلى ذلک: أن إمامه و خلافه على (عليه السلام)، إنما هى بجعل من اللّه سبحانه و تعالى، لا بجعل من النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لتترتب على المؤازره المنشوده، و المرغّب بها، مع علم النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بعدم إجابه غير على (عليه السلام)، فيكون ما جرى فى يوم الإنذار لأجل إقامه الحجه، و قطع كل عذر. فكلام المظفر هو الأولى و الأقرب انتهى.

و أما ما ذكره ابن تيميه خامسا، و أخيرا فهو لا يصح أيضا بأى وجه:

أولا: لأن وجود حمزه إنما يضر، لو كان قد اسلم قبل نزول آيه الانذار، و نحن لم نستطع: أن نحتمل ذلک، فضلا عن أن نجزم به؛ إذ من القريب جدا، بل هو ظاهر، إن لم يكن صريح ما ورد فى كيفيه إسلام حمزه: أن يكون إسلامه بعد الإعلان بالدعوه، و بعد وقوع المواجهه بين النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و قريش، و بعد مفاوضاتها لأبى طالب.

و ثانيا: لو سلّم فإن إنذار عشيرته يمكن أن يكون أثناء الدعوه السريه، و قبل إسلام حمزه، حتى لو كان قد أسلم فى الثانيه من البعثه، و يكون ما جرى بين حمزه و أبى جهل، بمثابه إعلان جزئى للدعوه. و تكون قريش قد بدأت تتعرض لشخص النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حتى فى الدعوه السريه، و أما بالنسبه لسائر من أسلم فقد كان ثمه محدوديه فى

التعامل معهم، و سريه بالنسبه لمن يدخل فى الإسلام منهم. و يدل على ما ذكرناه: أنهم يذكرون: أن قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ) كان هو السبب فى إخراج الدعوه من السر إلى العلن. و لا ريب أن إنذار العشيره كان قبل ذلک.

و ثالثا: إن وجود حمزه، إن كان قد أسلم آنئذ، كوجود أبى طالب بينهم، فلعلهما كانا يريان أنهما غير مقصودين بهذه الدعوه. و لا سيما إذا كانا يدركان: أن بقاءهما إلى ما بعد وفاه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أبعد احتمالا؛ فإن سنّ حمزه كان يقارب سن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، كما يدّعون، و لكننا نعتقد: أنه كان أكبر من النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بأكثر من عشرين سنه، لأنه كان أكبر من عبد اللّه، والد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و الذى كان أصغر أولاد عبد المطلب.

و هكذا يقال بالنسبه للعباس أيضا.

و أما ابو طالب؛ فإنه كان شيخا هرما لا يحتمل البقاء إلى ما بعد وفاته صلى اللّه عليه و آله، فلا معنى لأن يقدّم أى منهما نفسه على أنه خليفته من بعده، أو على الأقل هكذا فكرا آنئذ.

و هكذا يتضح: أن جميع ما جاء به إبن تيميه إنما كان كسراب بقيعه، أو كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف.

نقاط هامه فى حديث الإنذار

الف- روايات لا يمكن أن تصح:

هذا، و قد حاول إبن تيميه أن يقوى جانب روايات أخرى تبعد عليا و أهل البيت عن الأنظار، بل و تستبعد الهاشميين منه عموما أيضا كتلک الروايات التى فى الصحيحين، و التى تقول: إنه (صلى اللّه عليه و آله

و سلم) جمع قريشا- حين نزل قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ فاجتمعوا، فخصّ و عمّ، فقال: يا بنى كعب بن لؤى، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى مره بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمه بنت محمد أنقذى نفسک من النار الخ (1).

و فى روايه أخرى: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) جمع بنى هاشم و أجلسهم على الباب، و جمع نساءه فأجلسهم فى البيت. ثم كلّم بنى هاشم، و بعد ذلک أقبل على أهل بيته؛ فقال: يا عائشه بنت أبى بكر، و يا حفصه بنت عمر، و يا أم سلمه، و يا فاطمه بنت محمد، و يا أم الزبير عمه رسول اللّه، اشتروا أنفسكم فى اللّه، و اسعوا فى فكاک رقابكم؛ فانى لا أملک لكم من اللّه شيئا، و لا أغنى؛ فبكت عائشه و قالت .. ثم تذكر الروايه محاوره لها معه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (2).

و ثمه نصوص أخرى كلها تؤكد على دعوته قريشا و إنذاره لها.

و هذه الروايات لا يمكن أن تصح.

فأولا: لقد تقدم: أن فاطمه صلوات اللّه و سلامه عليها لم تكن حينئذ قد ولدت.

1- راجع: منها ج السنه ج 4 ص 83، و الدر المنثور ج 5 ص 95 و 96 عن: أحمد، و عبد بن حميد، و البخارى، و مسلم، و الترمذى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه و البيهقى عن عائشه، و أنس، و عروه بن الزبير، و البراء، و قتاده، و تاريخ الخميس ج 1 ص 287.
2- الدر المنثور ج 5 ص 96 عن: الطبراني، و ابن مردويه، عن أبى أمامه، و هذه الروايات موجوده فى مصادر كثيره أخرى و لا سيما تلک التى ذكرناها فى أوائل هذا البحث كمصادر للنص الأول.

و ثانيا: إن عائشه (1) و حفصه، و أم سلمه لم يكنّ من أزواجه حينئذ، و لاكنّ من أهله، و إنما صرن من أهله فى المدينه بعد ذلک بسنين كثيره .. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 3 71 الف - روايات لا يمكن أن تصح: ..... ص : 69

و ثالثا: إن هذه الروايات تناقض ما ورد من أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إنما دعا قريشا و بادءها حين نزل قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ.

و ليس حين نزل قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ.

و رابعا: ان هذه الروايات تناقض نص الآيه نفسها، فانها تأمره بانذار العشيره الأقربين، لا مطلق عشيرته، و لا مطلق الناس، و عشيرته الأقربون إما هم بنو هاشم، أو بنو عبد المطلب، و المطلب.

و القول بتعدد الإنذار: لا يدفع الإشكال، بعد تصريح الروايات:

بأن مفادها قد وقع حين نزول الآيه عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و هذا كله مع غض النظر عما فى أسانيد هذه الروايات، فإن جميع رواتها- كما يقولون- لم يدركوا زمان إنذار عشيرته (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

ب- ما المراد بكونه خليفته فى أهله:

و قد ذكر الشيخ المظفر (ره): أن من الواضح: أن قوله: خليفتى فيكم، أو فى أهلى لا يضر، ما دام أن ثمه إجماعا على عدم جواز وجود خليفتين: خاص، و عام. فخلافته الخاصه تقتضى خلافته المطلقه. و لعل الأصح هو: أنه قال- كما فى الروايات الأخرى-: (من بعدى)، أو أنه قال: (فيكم)، باعتبار أنهم من المسلمين.

1- و الغريب فى الأمر: أنهم يعتقدون: أن عائشه إنما ولدت فى الخامسه من البعثه، و الانذار للعشيره كان فى الخامسه، فهم يناقضون أنفسهم مناقضه صريحه، و إن كنا نحن نعتقد: أن عائشه قد ولدت قبل البعثه بسنوات، كما سنشير إليه إن شاء اللّه تعالى.

و أما القول بأن المقصود: هو أنه القائم بشؤونهم الدنيويه؛ فيكذبه الواقع؛ فإن عليا (عليه السلام) لم يكن كذلک بالنسبه لأی من الهاشميين. و لو كان المقصود هو خصوص الحسنين عليهما السلام، و فاطمه صلوات اللّه و سلامه عليها، فإن من الواضح أنهما و كذلک أمهما ما كانوا قد ولدوا بعد. كما أن نفقه هؤلاء واجبه عليه بالأصاله لا بالخلافه، و أما غيرهم فلم يكن (عليه السلام) مكلّفا بالإنفاق عليه، و لا كان يفعل ذلک (1).

أضف إلى ذلک كله: أنه بعد أن يصبح الإنسان رجلا عاقلا و كاملا، فإنه لا يبقى بحاجه إلى ولیّ يدبّر شؤونه، بل يستقل هو نفسه فی ذلک.

و على هذا، فلا يبقى للولى و للخليفه معنى. إذا كان هذا هو المراد.

و نشير هنا إلى أن الدواعى كانت متوفره لتحريف هذه الواقعه، و جعلها خاصه بالخلافه على الأهل، و لا تشمل الخلافه العامه التى هى موضع الأخذ و الرد كما هو معلوم.

ج- لماذا تخصيص العشيره بالدعوه؟!:

هذا و لا يخفى أن الإهتمام بدعوه عشيرته الأقربين كان خير وسيله لتثبيت دعائم دعوته، و نشر رسالته؛ لأن الإصلاح يجب أن يبدأ من الداخل، حتى إذا ما استجاب له أهله و قومه، اتجه إلى غيرهم بقدم ثابته، و عزم راسخ و مطمئن.

كما أن دعوته لهم سوف تمنحه الفرصه لاكتشاف عوامل الضعف و القوه فی البنيه الداخليه، من حيث ارتباطاته و علاقاته الطبيعيه، و ليعرف مقدار الدعم الذى سوف يلاقيه؛ فيقدر مواقفه، و إقدامه، و إحجامه على أساسه.

1- راجع: دلائل الصدق ج 2 ص 239.

أضف إلى ذلک: أنه حين يبدأ بالأقربين من عشيرته، و لا يبدو أنه على استعداد لتقديم أی تنازل أو مساومه حتی بالنسبه إلی هؤلاء، فإن معنی ذلک هو أن علی الآخرين أن يقتنعوا بأنه منسجم مع نفسه، و مقتنع بصحه ما جاء به، و يريد لأحب الناس إليه، الذين لا يريد لهم إلا الخير، أن يكونوا فی طليعه المؤمنين الذين يضحون بكل غال و نفيس فی سبيل هذا الدين. و قد رأينا: أن النصاری قد تنبهوا إلی ذلک فی قضيه المباهله.

فراجع.

و من الجهه الأخری: فإنه يعيش فی مجتمع يقيم علاقاته علی أساس قبلیّ؛- فحين يريد أن يقدم علی مواقف أساسيه و مصيريه- و حين لا يكون هو نفسه يرضی بالإعتماد علی القبليه كعنصر فعال فی حمايه مواقفه، و تحقيق أهدافه؛ فإن من اللازم: أن يتخذ من ذوی قرباه موقفا صريحا، و يضعهم فی الصوره الواضحه؛ و أن يهی ء لهم الفرصه ليحددوا مسؤولياتهم، بحرّيه، و صراحه، و صفاء، بعيدا عن أی ضغط، و ابتزاز و لو كان هذا الضغط من قبيل العرف القبلی فی ما بينهم؛ لأنه عرف مرفوض إسلاميا.

و هنا تبرز واقعيه الإسلام فی تعامله مع الأمور، و فی معالجته للقضايا، الإسلام الذی لا يرضی أن يستغل جهل الناس و بساطتهم، و حتی أعرافهم- الخاطئه- التی ارتضوها لأنفسهم فی سبيل منافعه، و تحقيق أهدافه.

نعم، إن الإسلام يعتبر الوسيله جزآ من الهدف، فلا بد أن تنسجم و تتلاءم معه- كما لا بد أن تنال من الطهر و القداسه بالمقدار الذی يناله الهدف نفسه.

وفقنا اللّه للسير علی هدی الإسلام، و الإلتزام بتعاليمه؛ إنه خير مأمول، و أكرم مسؤول.

و على كل حال، فقد خرج (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من ذلک الإجتماع بوعد أكيد من شيخ الأبطح، أبى طالب (ره) بالنصر و العون؛ فإنه لما رأى موقف أبى لهب اللاإنسانى، و اللامعقول، قال له:

(يا عوره، و اللّه لننصرنه، ثم لنعيننه. يا ابن أخى، إذا أردت أن تدعو إلى ربک فأعلمنا، حتى نخرج معک بالسلاح (1)).

د- على «عليه السلام» فى يوم الإنذار:

و نجد فى يوم الإنذار: أن إختيار النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقع على أمير المؤمنين (عليه السلام)، ليكون المضيف لجماعه يناهز عددها الأربعين رجلا، فيأمره بأن يصنع طعاما، و يدعوهم إليه و الظاهر:

أن ذلک قد كان فى بيت النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه، لأن عليا (عليه السلام) كان عند رسول اللّه صلوات اللّه عليه و آله فى بيته على ما يظهر- و قد كان بإمكانه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن يطلب من خديجه أن تصنع لهم الطعام. هذا، مع وجود آخرين، أكثر و جاهه و معروفيه من على (عليه السلام)، كأبى طالب، و كجعفر، الذى كان يكبر عليّا فى العمر، و غيرهما ممن يمكن أن يستفيد من نفوذه و شخصيته فى التأثير على الحاضرين.

و لكنه قد اختار عليا بالذات ليتفادى أى إحراج يبعد القضيه عن مجالها الطبيعى، الذى يرتكز على القناعه الفكريه و الوجدانيه بالدرجه الأولى، و لأن عليا- و إن كان حينئذ صغير السن، إلا أنه كان فى الواقع كبيرا فى عقله، و فى فضائله و ملكاته، كبيرا فى روحه و نفسه، كبيرا فى آماله و أهدافه.- و لا أدل على ذلک من كونه هو المجيب للرسول، دون كل من حضر، ليؤازره و يعاونه على هذا الأمر. و قد رآه النبى (صلى اللّه

1- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 27/ 28 ط صادر.

علیه و آله و سلم) منذئذ أهلا لأن یکون أخاه، و وصیه، و خلیفته من بعده.

و هی الدرجه التی قصرت همم الرجال عن أن تنالها، بل و حتی عن أن یدخل فی وهمها: أن تصل و لو فی یوم مّا إلیها، و تحصل علیها.

و لکن علیا کان منذ نعومه أظفاره هو السبّاق إلیها دون کل أحد؛ لأنه عاش فی کنف الرسول، و کان (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کفیله و مربیه، و کان یبرد له الطعام، و یشمه عرفه، و کان یتبع الرسول اتباع الفصیل أثر أمه، و کان کأنه ولده (1). و ذلک فضل اللّه یؤتیه من یشاء، و اللّه ذو الفضل العظیم.

ه- موقف أبی لهب:

و لقد أدرک أبو لهب مغزی تلک الدعوه، و رأی أن الأمر قد بلغ مرحله الجد. و ها هو یری بأم عینیه معجزه أخری، تضاف إلی الکثیر مما رآه من معاجز و کرامات للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، طیله السنوات الکثیره التی عرف فیها النبی و أحواله- فیری أن فخذ شاه، و عسّا من لبن، یکفی أربعین رجلا.

و أبو لهب هو ذلک الرجل الذی یعرف طبیعه و أهداف هذا الدین الذی یبشر فیه محمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم). و أنه لا یقیم وزنا لأی امتیاز أو مکسب شخصی حصل علیه الإنسان من طریق الإبتزاز و الظلم، و سائر أنواع التعدی و الإنحراف. إذن، فلا بد لأبی لهب، بحسب منطقه

1- و لیس فی کفاله النبی (صلی اللّه علیه و آله) لعلی غضاضه علی أبی طالب شیخ الأبطح- کما یقول البعض- لأن عبد اللّه و أبا طالب کانا من أم واحده بخلاف سائر أبناء عبد المطلب، و قد ربی النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی حجر أبی طالب و کان (صلی اللّه علیه و آله) یخاطب فاطمه بنت أسد بیا أماه، و کانت عنایه أبی طالب و زوجته به (صلی اللّه علیه و آله) فائقه جدا. و کان علی (علیه السلام) کأنه إبن لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، مع ملاحظه التفاوت فی السن فیما بینهما.

اللامنطقى: أن يقف فى وجه هذا الدين، و يمنعه من تحقيق أهدافه بكل وسيله ممكنه. و لا بد من تضييع الفرصه على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و ذلک حفاظا على ما يراه أنه مصلحته أولا، و ليرضى حقده و حسده الذى يعتمل فى صدره ثانيا؛ ذلک الحقد الذى لا مبرر له إلا أنه:

يرى فى شخصيه النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الصفات الحميده، و الأخلاق الرضيه الكريمه، و السجايا الفاضله، فإن ذلک يعتبر عنده ذنبا، و أى ذنب.

فبادر إلى المواجهه الصريحه، و الوقحه و القبيحه، حيث استغل معجزه الطعام التى يراها الجميع بأم أعينهم، فرمى النبى الأكرم بالسحر و قال: لقدما سحركم صاحبكم. فتفرق الجمع فى اليوم الأول، و لم يستطع الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن يقول كلمته حتى اليوم التالى؛ حيث استطاع النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن يصدع بما أمره اللّه تعالى، و يقيم عليهم الحجه، كما تقدم بيانه.

و- الإنذار أولا:

و ما دمنا فى الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين؛ فإننا نسجل هنا:

أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد أمر من قبل اللّه تعالى بالإنذار أولا لعشيرته، فقال تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ (1). و كذلک الحال بالنسبه لغيرهم من سائر الناس، فإنه تعالى قد قال لنبيه، كما فى سوره المدثر، التى هى من العتائق النازله فى أوائل البعثه: قُمْ فَأَنْذِرْ (2).

فقد جاء الإنذار أولا، مع أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد أرسل مبشرا و نذيرا، و مع أن القرآن هدى و بشرى أيضا.

1- الشعراء/ 214.
2- المدثر/ 2.

و سر ذلک واضح؛ فإن الناس کانوا فی أول البعثه کفارا، و منغمسین فی الظلم و الإنحراف إلی أبعد مدی. فلا بد من إنذارهم أولا؛ لیلتفتوا إلی الواقع السیّ ء الذی یعیشونه، و إلی العواقب المدمره و المرعبه، التی تنتظرهم نتیجه لذلک. و التفاتهم هذا لسوف یؤثر فیهم التطلع، ثم الحرکه نحو الخروج من ذلک الواقع، و التخلص منه.

ثم یأتی بعد ذلک دور تخلیص المجتمع من رواسبه، و من حرکاته، و أعماله، و مواقفه السیئه، علی مستوی الفرد، و علی مستوی الجماعه، و تطهیره من کل غریب و مریض.

و معه جنبا إلی جنب تکون عملیه وضع الأسس المتینه و السلیمه لبناء الهیکل العام للمجتمع المسلم فی عواطفه، و فی علاقاته، و فی روابطه.

و الأهم من ذلک؛ فی فکره و ثقافته، و إعطائه المفهوم الحقیقی و الواقعی عن الکون، و عن الحیاه، و بالذات عن هذا الإنسان القوی الضعیف، و لیطرد قدما فی عملیه بناء الإنسان من الداخل، و تربیته و تزکیته، کما هو وظیفه النبی و الإمام، و کل داعیه إسلامی علی الإطلاق.

و قد أشرنا فی أول هذا الفصل إلی هذا، مستفیدین من قوله تعالی:

هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ، وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ.

و هذا الذی ذکرناه عن أسلوب الإسلام فی دعوته، هو التحرک الطبیعی لأیه دعوه، تستهدف الإصلاح الجذری، و التغلب علی مشاکل الحیاه. و التخطیط لمستقبل مشرق سعید.

ز- ماذا قال النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» فی یوم الإنذار:

و قد جاء فی بعض النصوص أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قال لهم: (یا بنی عبد المطلب، إنی لکم نذیر من اللّه جل و عز، إنی أتیتکم

بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تطيعونى ترشدوا، و تفلحوا، و تنجحوا، إن هذه مائده أمرنى اللّه بها؛ فصنعتها لكم، كما صنع عيسى بن مريم (عليه السلام) لقومه؛ فمن كفر بعد ذلک منكم، فإن اللّه يعذبه عذابا شديدا، لا يعذبه أحدا من العالمين، و اتقوا اللّه، و اسمعوا ما أقول لكم، و اعلموا يا بنى عبد المطلب: أن اللّه لم يبعث رسولا إلّا جعل له أخا، و وزيرا، و وصيا، و وارثا من أهله. و قد جعل لى وزيرا كما جعل للأنبياء من قبلى، و إن اللّه قد أرسلنى إلى الناس كافه، و أنزل على:

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ و رهطک المخلصين (1)، و قد و اللّه أنبأنى به، و سماه لى. و لكن أدعوكم، و أنصح لكم، و أعرض عليكم؛ لئلا يكون لكم الحجه فيما بعد، و أنتم عشيرتى و خالص رهطى، فأيكم يسبق إليها على أن يؤاخينى فى اللّه، و يوازرنى)، إلى آخر كلامه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، الذى ينسجم مع النص الذى ذكرناه فى أوائل هذا الفصل فراجعه (2).

و هذا النص هو الأوفق و الأنسب لموقف كهذا، و هو ينسجم تماما مع أمر الآيه بالإنذار، فإن الإنذار أولا هو الخطوه الطبيعيه لأيه دعوه، كما ذكرنا آنفا.

ح- التبشير و الإنذار:

و يقول المحقق البحاثه المرحوم الشيخ مرتضى المطهرى: إن من يريد إقناع إنسان مّا بعمل مّا، فله طريقان: أحدهما: التبشير، بمعنى تشويقه، و بيان فوائد ذلک العمل. الثانى: إنذاره ببيان ما يترتب على تركه من مضار، و عواقب سيئه.

1- هذا توضيح منه (صلى اللّه عليه و آله) و تفسير للمراد من الآيه.
2- البحار: ج 18 ص 215/ 216 عن سعد السعود لابن طاووس: ص 106.

و لذلک قیل: الإنذار سائق، و التبشیر قائد.

و القرآن و الإسلام یری: أن الإنسان یحتاج إلی هذین العنصرین معا، و لیس- کغیره- یکفیه أحدهما.

بل و یری الإسلام: أنه لا بد و أن ترجح کفه التبشیر علی کفه الإنذار. و لذلک قدّم الأول علی الثانی فی أکثر الآیات القرآنیه.

و من هنا، فقد قال (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لمعاذ بن جبل، حین أرسله إلی الیمن: (یسّر و لا تعسّر، و بشّر و لا تنفر).

فهو هنا لم یستبعد الإنذار، بل هو جزء من خطته. و إنما اهتم بجانب التبشیر إذ یمکن بواسطته إدراک مزایا الإسلام و خصائصه الرائعه، و لیکون إسلامهم من ثم عن قناعه حقیقیه، و قبول تام.

و أما قوله (صلی اللّه علیه و آله و سلم): و لا تنفّر، فهو واضح المأخذ، فإن روح هذا الإنسان شفافه جدا، و تبادر إلی رده الفعل بسرعه، و من هنا فإننا نجد النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یأمر بالعباده ما دامت النفس مقبله، و لا یقبل بالضغط علیها، و تحمیلها مالا تطیق. و لهذا شواهد کثیره فی الشریعه السهله السمحاء (1).

و مما تقدم نستطیع أن ندرک: لماذا اشتملت دعوته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لعشیرته علی التبشیر أیضا؛ بأن من یؤازره سوف یکون خلیفه بعده، و أنه قد جاءهم بخیر الدنیا و الآخره، تماما کما بدأت بالإنذار، فإن ذلک ینسجم مع ما تشتاق إلیه نفوسهم، و یتلاءم مع رغباتهم. و یأتی من قبل من لا یمکن اتهامه لدیهم بأی وجه.

1- راجع: جریده جمهوری اسلامی الفارسیه رقم 254 سنه 1359 ه. ش فی مقالات للمطهری رحمه اللّه تعالی.

ط- أخی و وصیی:

و یلفت نظرنا هنا قوله (صلی اللّه علیه و آله و سلم): علی أن یکون أخی الخ. فإن ذلک یؤکد لهم علی مدی التلاحم و المحبه بینه و بین ذلک الذی یؤازره و یعاونه، إلی حد أنه یعتبره أخا له، فلیست العلاقه بینهما علاقه رئیس و مرؤوس، و آمر و مأمور، و لا عال بدان، و إنما هی علاقه بین متکافئین فی الإنسانیه، کما أنها علاقه تعاون و تعاضد علی العمل البنّاء و المثمر، و علاقه أخ مع أخیه، تغمرها المحبه، و الثقه و الصفاء، بکل ما لهذه الکلمات من معنی.

أضف إلی ذلک، ما فی ذلک من دلاله علی المستوی السامی الذی کان قد بلغه أمیر المؤمنین (علیه السلام) حتی یستحق و سام الأخوه فیما بینه و بین سید البشر، من مضی منهم، و من غبر.

فاصدع بما تؤمر:

اشاره

و بعد أن أنذر (صلی اللّه علیه و آله و سلم) عشیرته الأقربین. و بعد أن انتشر أمر نبوته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی مکه، بدأت قریش تتعرض لشخص النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بالإستهزاء و السخریه، و أنواع التهم، کما یظهر؛ إذ أنهم قد عرفوا جدیه القضیه، و أدرکوا أبعادها. فبادروا إلی تلک الأسالیب بهدف الحط منه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أمام الرأی العام، و ابتذال شخصیته. علی الرغم من أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لم یطلب منهم بعد أن یؤمنوا بما جاء به، کل ذلک حسدا و بغیا منهم، و تخوفا من المستقبل، لیس إلا.

و کان لذلک الإستهزاء تأثیر علی إقبال الناس علی الدخول فی الإسلام؛ فاغتم النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لذلک جدا، و اعتبر ذلک عائقا فی سبیل انتشار دعوته، و أداء مهمته؛ فأنزل اللّه علیه یأمره بإظهار

الدعوه، و الطلب حتی من قریش: أن تسلم لربها، مشفوعا ذلک بوعد أکید. بأن اللّه سوف یکفیه المستهزئین؛ فیجب أن لا یهتم لهم، و أن یتجاهلهم.

و ذلک حین نزل قوله تعالی:

فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ، وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ. إِنَّا کَفَیْناکَ الْمُسْتَهْزِئِینَ (1).

هذا إذا کان المقصود أنه سوف یکفیه أولئک الذین صدر منهم فعل الإستهزاء. أما إذا کان المراد: من سوف یصدر منهم هذا الأمر، فإن الآیه لا تکون ناظره إلی ما سبق کما هو ظاهر لا یخفی.

و قد بیّن اللّه تعالی له: خطه العمل المستقبلیه، فأمره أن یأخذ بالصفح الجمیل، و بالإعراض عن المشرکین، و أن لا یحزن علیهم، و لا یضیق صدره بما یقولون؛ فإن جزاءهم علی اللّه المطلع علی کل صغیره و کبیره.

فامتثل النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أمر اللّه، و أظهر دعوته، و طلب من الناس جمیعا: أن یسلموا لربهم.

و یقولون: إنه قام علی الحجر، فقال: یا معشر قریش، یا معشر العرب أدعوکم إلی شهاده أن لا إله إلا اللّه، و أنی رسول اللّه، و آمرکم بخلع الأنداد و الأصنام؛ فأجیبونی تملکون بها العرب، و تدین لکم العجم، و تکونون ملوکا فی الجنه.

فاستهزؤا به، و قالوا: جنّ محمد بن عبد اللّه، و لم یجسروا علیه لموضع أبی طالب (2).

1- الحجر/ 94- 95.
2- راجع: تفسیر نور الثقلین ج 3 ص 34 عن تفسیر القمی.

و جاء أيضا: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قام على الصفا، و نادى قريشا؛ فاجتمعوا له، فقال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم: أن خيلا فى سفح هذا الجبل قد طلعت عليكم، أكنتم مصدقىّ؟

قالوا: نعم، أنت عندنا غير متّهم، و ما جرّبنا عليک كذبا قط.

فقال: إنى نذير لكم من عذاب شديد. إلى أن قال: فنهض أبو لهب، و صاح به: تبّا لک سائر اليوم، ألهذا جمعت الناس؟ و تفرقوا عنه.

فأنزل اللّه تعالى: تبّت يدا أبى لهب و تب إلى آخر السوره (1).

المفاوضات الفاشله:

قال ابن إسحاق و غيره: فلما بادى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قومه بالإسلام، و صدع به، كما أمره اللّه، لم يبعد منه قومه، و لم يردّوا عليه- فيما بلغنى- حتى ذكر آلهتهم و عابها، فلما فعل ذلک أعظموه و ناكروه، و أجمعوا على خلافه و عداوته، إلا من عصم اللّه تعالى منهم بالإسلام، و هم قليل مستخفون.

و حدب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عمه أبو طالب، و منعه، و قام دونه. و مضى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على أمر اللّه مظهرا لا يرده شى ء.

فلما رأت قريش: أن رسول اللّه لا يعتبهم من شى ء أنكروه عليه، من فراقهم، و عيب آلهتهم، و رأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه، و قام دونه، فلم يسلّمه لهم، حاولوا مفاوضه أبى طالب. و هذه المفاوضات

1- هذا الحديث يرويه المفسرون و السيوطى فى الدر المنثور، و كذلک المؤرخون من غير الشيعه حين الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين، و لكن قد بيّنا: أن المقصود ليس هو مطلق عشيرته فى الآيه بل عشيرته الأقربون ليس إلا؛ فالروايه تناسب قوله تعالى (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ) فقط.

- كما يرى إبن إسحاق و غيره- قد مرت بثلاثه مراحل، إنتهت كلها بالفشل الذريع.

الأولى: إنه مشى رجال من إشراف قريش إلى أبى طالب. ذكر المؤرخون أسماءهم، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيک قد سب آلهتنا، و عاب ديننا، و سفه أحلامنا، و ضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، و إما أن تخلى بيننا و بينه، فإنک على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا، و ردّهم ردا جميلا، فانصرفوا عنه.

الثانيه: إنهم حين رأوا أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد استمر على ما هو عليه، يظهر دينه، و يدعو إليه، حتى شرى الأمر بينه و بينهم، و حتى تباعد الرجال، و تضاغنوا، و أكثرت قريش ذكر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بينها، ذهبوا إلى أبى طالب، فتهددوه: إن لم يكف إبن أخيه عن شتم أبائهم، و تسفيه أحلامهم، و شتم آلهتهم، فلسوف ينازلونه و إياه حتى يهلک أحد الفريقين، ثم انصرفوا.

فأرسل أبو طالب إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فأخبره، و طلب إليه أن يبقى على نفسه و عليه، و لا يحمله ما لا يطيق.،

فظن أنه قد بدا لعمّه فيه بداء، و أنه قد ضعف عن نصرته و القيام دونه، فقال له (صلى اللّه عليه و آله و سلم): يا عم، و اللّه، لو وضعوا الشمس فى يمينى، و القمر فى شمالى على أن أترک هذا الأمر حتى يظهره اللّه، أو أهلک فيه، ما تركته. فوعده أبو طالب النصر.

الثالثه: عرضوا على أبى طالب: أن يتخذ عماره بن الوليد ولدا له، و يسلمهم النبى، الذى فارق دين أبى طالب و دين آبائه، و فرق جماعتهم و سفه أحلامهم ليقتلوه. فإنما هو رجل برجل.

فقال أبو طالب: و اللّه، لبئس ما تسومونني أتعطوننى إبنكم أغذوه لكم، و أعطيكم إبنى تقتلونه، هذا و اللّه ما لا يكون أبدا.

فقال المطعم بن عدى: و اللّه يا أبا طالب، لقد أنصفک، قومک وجهدوا على التخلص مما تكرهه؛ فما أراک تريد ان تقبل منهم شيئا.

فقال أبو طالب: و اللّه ما أنصفونى، و لكنک قد أجمعت على خذلانى، و مظاهره القوم على؛ فاصنع ما بدا لک؟. أو كما قال.

فحقب الأمر، و حميت الحرب، و تنابذ القوم، و بادى بعضهم بعضا (1).

و ربما تكون هذه المراحل متداخله، أو مترتبه. فإن ما ذكرناه لا يعدو عن أن يكون فهما منّا للسير الطبيعى للأحداث،- لا أكثر و لا أقل- و قبل المضى فى الحديث؛ نسجل النقاط التاليه:

الف: قريش لم تصل إلى نتيجه:

لقد رأينا: أن مشركى مكه ما كانوا يرغبون بادى ء ذى بدء: فى توريط أنفسهم فى مواجهه أبى طالب و الهاشميين؛ فحاولوا: أن يحملوا أبا طالب نفسه على حسم الموقف، و القضاء على ما يعتبرونه ماده متاعبهم، و مصدر مخاوفهم، و حاولوا أن يثيروا هذا الرجل، و يشحنوه نفسيا ضد ابن أخيه، على اعتبار أن ابن أخيه قد جاء بما يضر بمصالح، و يجرح كرامه و عاطفه عمه نفسه، فضلا عن غيره، و لذا، فإن من الطبيعى أن يبادر أبو طالب نفسه لوضع حد لتصرفات ابن أخيه، و يكفيهم مؤونه ذلک.

و لكنهم حينما وجدوا: أن أبا طالب لم يستجب لأى من أباطيلهم، و لم يحرک ساكنا فى سبيل وضع حد لمصدر الخطر عليهم و على مصالحهم، لجأوا إلى التهديد و الوعيد، ثم إلى أسلوب المكر و الخداع كما فى قضيه عرض عماره على أبى طالب ليتخذه ولدا، و يسلمهم محمدا

1- راجع: سيره ابن هشام ج 1 ص 282- 286، و البدء و التاريخ ج 4 ص 147- 149 و تاريخ الطبرى ج 2 ص 65- 68.

ليقتلوه. الأمر الذى كشف عن حقيقه ما يكنّونه فى صدورهم، و تشتمل عليه نفوسهم و اتضح لأبى طالب و لغيره أن هدفهم ليس إلا القضاء على الدين الحق، و إطفاء نور اللّه، الأمر الذى زاد فى تصلب أبى طالب فى الدفاع عن الحق و الدين، و عن نبى الإسلام الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

ب: سر استكبار قريش:

و لعل سر استكبار مشركى مكه، و محاولاتهم اطفاء نور اللّه تعالى يرجع إلى:

1- انهم كانوا يستغلون أولئک الفقراء، و العبيد، و الضعفاء فى مكه و غيرها فى مصالحهم؛ فجاء الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و بث فى هؤلاء الفقراء روحا جديده، و بدأ يؤكد لهم مفهوم كرامه الإنسان، و حريته. ثم هو يناصرهم، و يعيش قضيتهم و آلامهم، و يفتح أعينهم على واقعهم. و يبث فيه تعاليم الإسلام، و فى مقدمتها وجوب تحررهم من سيطره و غطرسه أولئک الطغاه المتجبرين.

2- لقد أدرک أولئک المتجبرون، مما عرفوه من طبيعه الدعوه و أهدافها: أنهم سوف لن يتمكنوا فى ظلها من الإحتفاظ بتلک الإمتيازات الظالمه، التى جعلوها لأنفسهم؛ و التى كان يرفضها النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و يؤكد على أن الناس كلهم سواسيه أمام عداله السماء، و فى ميزان الحكم و القضاء.

و سوف لن يتمكنوا أيضا فى ظل هذا الدين الجديد، الذى جاء ليتمم مكارم الأخلاق؛ من الإستمرار فى ممارساتهم اللاأخلاقيه، و اللاإنسانيه أيضا، و التى كانوا يحرصون عليها كل الحرص، أكثر من حرصهم على آلهتهم التى كانوا يدّعون أنهم يحافظون عليها، مع أننا رأينا

بعض العرب يأكل إلهه الذى صنعه من الحيس حين جاع!! (1).

3- ما أشارت إليه الآيه الكريمه: وَ قالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا (2) أى أنهم اعتذروا عن عدم إيمانهم أنهم: إن آمنوا فإن العرب المشركين سوف لا يرضون بإيمانهم، و رفض أوثانهم، فرد عليهم القرآن، فقال: أَ وَ لَمْ نُمَکِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ کُلِّ شَیْ ءٍ، رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا (3)، فلا موجب إذن لخوفهم هذا.

مع أن اختيارهم الشرک خوفا من ذلک، لا يمنع ذلک؛ فکم أهلک اللّه من قريه بطرت معيشتها، فتلک مساکنهم لم تسکن من بعدهم. بل ربما کان ذلک هو سبب هلاکهم فى الدنيا، حيث ينشأ عنه المنازعات و الإستکبار، و غير ذلک من انحرافات مدمره للمجتمعات و للأمم، إن لم يکن ثمه ضوابط و روادع معينه تجعل کل تلک الإمکانات فى مجراها الصحيح، و فى الجهه النافعه للفرد و للمجتمع، حاضرا و مستقبلا.

على أن الأمر للّه تعالى فليس لأحد أن يتمرد عليه، و يخرج على أوامره، فإنه يعرّض نفسه و الحاله هذه إلى الهلاک الدنيوى و الأخروى، ثم ضرب لهم مثالا بقارون، الذى کان لديه من الکنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبه أولى القوه، فلما استکبر و طغى، و تمرد على أوامر اللّه، خسف اللّه به و بداره الأرض.

و فى آيات السوره- سوره القصص- دقائق عجيبه و معان رائعه فى هذا المجال، تحتاج إلى دراسه مستقله و معمقه، لا مجال لها هنا. و نکتفى هنا بهذه الإشاره الإجماليه إليها. و اللّه هو الموفق و المعين.

1- الأعلاق النفيسه: ص 217، و الحيس هو تمر ينزع نواه و يدق مع أقط و يعجنان بالسمن ثم يدلک باليد حتى يبقى کالثريد. مجمع البحرين: ج 4 ص 64.
2- القصص/ 57.
3- القصص/ 57.

ماذا بعد فشل المفاوضات؟

و بعد فشل المفاوضات، فقد ظهر لأبی طالب:

أن السيل قد بلغ الزبى، و أنه على وشک الدخول فی صراع مكشوف مع المشركين. فلا بد من الحذر و الإحتياط للأمر؛ فجمع بنی هاشم، و بنی المطلب، و دعاهم إلى منع الرسول، و القيام دونه، فأجابوه، و قاموا معه، باستثناء أبی لهب لعنه اللّه تعالى.

و منع اللّه عز و جل رسوله، فلم يكن لهم إلى أن يضروه فی شعره و بشره سبيل، غير أنهم يرمونه بالجنون، و السحر، و الكهانه، و الشعر، و القرآن ينزل عليه (عليه السلام) بتكذيبهم. و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قائم بالحق، ما يثنيه ذلک عن الدعاء إلى اللّه عز و جل سرا و جهرا.

و ذلک لأن المشركين بعد أن أدركوا:

أن الاعتداء على شخصه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) سوف يتسبب فی صراع مسلح لم يعدوا له عدّته، و ليسوا على يقين من أن تكون نتائجه لصالحهم، خصوصا مع ما كان لبنی هاشم من علاقات، و من أحلاف مع القبائل، كحلف المطيبين، و حلف عبد المطلب مع خزاعه التی كانت تقطن خارج مكه. بل قد توجب هذه الحرب- لو نشبت- التمكين لمحمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من نشر دعوته (1). فمن أجل كل ذلک آثر المشركون أن يبتعدوا عن الحرب، و يتبعوا أساليب أخرى لتضعيف أمر محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و الوقوف فی وجه دعوته؛ فنجدهم:

ألف: ينهون الناس عن الالتقاء بالنبی (صلى اللّه عليه و آله و سلم)،

1- و يرى بعض المحققين: أن من المحتمل: أن أبا طالب كان يستعمل أسلوب اللين تاره و الشده أخرى؛ بهدف إثاره حرب كهذه، تهدف إلى تمكين النبی من نشر دعوته، كما أشير إليه.

و عن أن يسمعوا ما جاء به من قرآن، قال تعالى: وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَ يَنْأَوْنَ عَنْهُ (1). و قال تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ، وَ الْغَوْا فِيهِ، لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (2).

ب: يتبعون أسلوب السخريه و الإستهزاء، و إلصاق التهم الباطله، بهدف:

1- التأثير على شخص النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) علّه ينهزم نفسيا، و جعله يعيش عقده الحقاره و الضعه، فلربما يتخلى عن هذا الأمر، و يكذب نفسه.

2- الحط من كرامه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و ابتذال شخصيته، بهدف تنفير أصحاب النفوس الضعيفه من متابعته، و صرفهم عن الدخول فيما جاء به. و لهذا نجدهم: يغرون سفهاءهم بايذائه و تكذيبه، و أحيانا كان يتولّى ذلک منه سادتهم و كبراؤهم. بل لقد رأيناهم يأمرون غلاما منهم بأن يلقى عليه سلا جزور و فرثه، و هو قائم يصلى، فيلقيه بين كتفيه، فيغضب أبو طالب، و يأتى فيمر السلا على سبالهم جميعا. و قد ألقى اللّه الرعب فى قلوبهم (3).

و كانوا أيضا يلقون عليه التراب (4)، و رحم الشاه (5)، و غير ذلک.

1- الأنعام/ 26.
2- فصلت/ 26.
3- الكافى: ج 1 ص 449 نشر مكتبه الصدوق، و منيه الراغب: ص 75. و راجع: الغدير: ج 7 ص 359 و 388 و ج 8 ص 4، و أبو طالب مؤمن قريش: ص 73 عن مصادر كثيره.
4- راجع: السيره الحلبيه: ج 1 ص 291 و 292، و السيره النبويه لدحلان (بهامش الحلبيه): ج 1 ص 208 و 202 و 231.
5- راجع: البدايه و النهايه: ج 3 ص 134.

و قد أثر ذلک إلی حدّ ما فی صرف الناس، و إبعادهم عن الدخول فی الإسلام، حتی لیقول عروه بن الزبیر و غیره: (.. و کرهوا ما قال لهم، و أغروا به من اطاعهم؛ فانصفق عنه عامه الناس (1)).

المعذبون فی مکه:

کما أنهم قد تذامروا بینهم علی من فی القبائل منهم، من أصحاب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) الذین أسلموا معه، فوثبت کل قبیله علی من فیهم من المسلمین یعذبونهم، و یفتنونهم عن دینهم، یعذبونهم.

بالحبس، و الضرب، و الجوع، و برمضاء مکه، و بغیر ذلک من الأسالیب الوحشیه، و الإنسانیه.

مع المعذبین أیضا:

و قد عذب المشرکون عددا من المسلمین؛ فعذب عمر بن الخطاب جاریه بنی مؤمل- حی من بنی عدی- و کانت مسلمه؛ فکان یضربها، حتی إذا مل، قال: إنی أعتذر إلیک، إنی لم أترکک إلا ملاله (2).

و لعل بنی مؤمل کانوا قد سمحوا لعمر بن الخطاب أن یتولّی تعذیب جاریتهم، و إلا فإن وضعه الإجتماعی لم یکن یسمح له بأمر من هذا القبیل.

و عذب المشرکون أیضا خباب بن الأرتّ، و أم شریک، و مصعب بن عمیر، و غیرهم ممن لا مجال لذکرهم، و بیان ما جری علیهم.

1- تاریخ الطبری: ج 2 ص 68.
2- سیره ابن هشام: ج 1 ص 341، و السیره الحلبیه: ج 1 ص 300، و راجع: السیره النبویه لابن کثیر: ج 1 ص 493، و المحبر: ص 184.

و قد ضرب هؤلاء لنا المثل الأعلى فى الصمود و الجهاد من أجل المبدأ و العقيده، مع معرفتهم بأنهم لا يملكون قوه تستطيع أن ترد عنهم، غير إراده اللّه تعالى، و أنهم إنما يتحدّون بإسلامهم العالم كله، الذى كان بكل ما فيه ضدهم. و هنا تكمن عظمتهم، و هذا هو سر امتيازهم على غيرهم.

المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر:

و ممن عذب فى سبيل اللّه بلال الحبشى، و عامر بن فهيره، و يقولون: إن أبا بكر قد اشتراهما و أعتقهما، فكانت نجاتهما من العذاب بسببه.

و لكنا نشك فى أن يكون أبو بكر هو الذى اشتراهما، و ذلک:

أولا: لما ذكره الإسكافى، الذى قال: (أما بلال، و عامر بن فهيره، فإنما أعتقهما رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، روى ذلک الواقدى، و ابن إسحاق (1)).

وعد ابن شهرآشوب بلالا من موالى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (2).

و ثانيا: إنهم يروون روايات متناقضه فى هذا المجال، حتى لا تكاد تلتقى روايه مع أخرى، و يكفى أن نذكر اختلافها فى الثمن الذى أعطاه أبو بكر.

فروايه تقول: إنه أعطى ثمنه غلاما له أجلد منه.

1- راجع: شرح النهج للمعتزلى: ج 13 ص 273، و قاموس الرجال: ج 5 ص 196 و ج 2 ص 238.
2- المناقب لابن شهراشوب: ج 1 ص 171.

و أخرى: إنه أعطى غلاما و زوجته، و ابنته، و مائتى دينار.

و ثالثه: اشتراه بسبع أواق.

و رابعه: بتسع.

و خامسه: بخمس.

و سادسه: برطل من ذهب.

و سابعه: إنه اشتراه بعبده قسطاس، الذى كان صاحب عشره آلاف دينار، و جوار، و غلمان، و مواش.

و ثامنه: ببرده، و عشر أواق من فضه، إلى غير ذلک من وجوه الإختلاف و التناقض (1).

و ثالثا: إنهم يقولون: إن قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى. وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى (2) نزل فى أبى بكر بهذه المناسبه (3).

و نقول:

1- لقد رد الإسكافى على ذلک: بأن هناک من يقول: إن هذه الآيه نزلت فى مصعب بن عمير (4).

1- راجع ما تقدم فى: السيره الحلبيه: ج 1 ص 298/ 299، و قاموس الرجال: ج 1 ص 216، و سير أعلام النبلاء: ج 1 ص 353، و السيره النبويه لابن هشام: ج 1 ص 340، و حليه الأولياء: ج 1 ص 148، و غير ذلک كثير.
2- سوره الليل 5- 7.
3- الدر المنثور ج 6 ص 358- 390 عن عدد من المصادر و السيره الحلبيه ج 1 ص 299، و شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 273 عن الجاحظ و العثمانيه ص 35.
4- شرح النهج ج 13 ص 273.

و یروی الشیعه: أن الآیه نزلت فی علی (علیه السلام).

و یورد الحلبی علیهم: بأن علیا کان للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) علیه نعمه تجزی، و هی تربیته له، و الآیه تقول: وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزی و بمثل ذلک أورد الرازی علیهم أیضا (1).

و لکن قد فات الرازی و الحلبی: أن المقصود هو أن هذا المال الذی ینفقه لا یرید أن یجازی بانفاقه له نعمه من أحد علیه، و إنما ینفقه لوجه اللّه، و لوجه اللّه فقط.

لا أنه تعالی یرید وصف الأتقی بأنه لیس لأحد علیه نعمه.

2- قد ورد: عن ابن عباس و غیره، و حتی عن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نفسه، تفسیرها بمعنی عام لا یختص بأحد فراجع کتب التفسیر للاطلاع علی ذلک.

3- و أخرج ابن أبی حاتم ما ملخصه: أن هذه السوره قد نزلت فی رجل (هو سمره بن جندب) الذی کان له نخله فرعها فی دار رجل، فکان إذا جاء لیأخذ عنها الثمر، و صعد علیها ربما تقع تمره، فیأخذها صبیان الفقیر؛ فینزل من نخلته؛ فیأخذ الثمره من أیدیهم، و إن وجدها فی فم أحدهم أدخل إصبعه، حتی یخرج التمره من فیه؛ فشکاه الفقیر إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، ثم لقی الرسول صاحب النخله؛ فطلب منه أن یعطیه النخله و له مثلها فی الجنه، فقال. لقد أعطیت، و إن لی لنخلا کثیرا؛ و ما فیه نخل أعجب إلی ثمره منها.

فسمع رجل ما دار بین النبی و بینه؛ فجاء إلی الرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فقال: أعطنی ما أعطیت الرجل إن أنا أخذتها، قال:

نعم، فذهب الرجل، و لقی صاحب النخله، و فاوضه و اشتراها منه بأربعین نخله. ثم ذهب إلی النبی، فوهبها له، فذهب رسول اللّه (صلی اللّه علیه

1- السیره الحلبیه ج 1 ص 299.

و آله و سلم) إلى صاحب الدار، فقال: النخله لک و لعيالک، فأنزل اللّه:

و الليل إذا يغشى إلى آخر السوره (1).

و لأجل هذا نجد السيوطى يقول عن: (سوره الليل: الأشهر أنها مكيه؛ و قيل: مدنيه لما ورد فى سبب نزولها من قصه النخله، كما أخرجناه فى اسباب النزول) (2).

و هذه القضيه هى المناسبه للآيات؛ لأنها تذكر أن بعضهم أعطى و اتقى، و بعضهم بخل و استغنى.

إلا أن يكونوا- و العياذ باللّه- يقصدون، بمن بخل، النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه. مع أن فرض عدم مال له ينافى صدق البخل عليه. و يشير إلى عدم المال عنده قولهم: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو الذى قال: لو كان عنده مال لاشترى بلالا.

أو يقصدون بمن بخل، العباس، الذى تقول الروايات: إنه ذهب فاشترى بلالا، فأرسله إلى أبى بكر، فأعتقه.

4- لسوف يأتى إن شاء اللّه فى حديث الغار، قول عائشه: إنه لم ينزل فى آل أبى بكر شى ء من القرآن، إلا أن اللّه أنزل عذرها. يعنى الآيات المرتبطه بالإفک، و التى هى فى سوره النور. و حتى عذرها هذا؛ فإنه لم ينزل فيها، كما حققناه فى كتابنا: حديث الإفک فراجع.

و رابعا: لم نفهم معنى قوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إنه لو كان عنده مال لاشترى بلالا، و كيف نوفق بين هذا و بين قولهم: إنه (صلى اللّه

1- الدر المنثور ج 6 ص 357 عن ابن ابى حاتم عن ابن عباس، و تفسير البرهان ج 4 ص 470 عن على بن ابراهيم، باختلاف مع ما عن الدر المنثور. و ستأتى بقيه المصادر فى حرب أحد فى فصل: قبل نشوب الحرب، حين الكلام حول إرجاع الصغار، و الريب فيما ينقل عن سمره.
2- الإتقان: ج 1 ص 14.

علیه و آله و سلم) طلب من أبی بکر الشرکه فی بلال فأخبره أنه اعتقه (1)؟!.

ثم أو لیست أموال خدیجه تحت تصرفه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)؟! ألم یکن هو الذی ینفق علی المسلمین فی مکه، کما قالت أسماء بنت عمیس لعمر حینما عیّرها بأنها لا هجره لها، حیث قالت له:

إنه و من معه من المسلمین کانوا مع رسول اللّه یطعم جائعهم، و یعلّم جاهلهم؟!! (2). و ستأتی هذه القضیه فی موضعها إن شاء اللّه.

و احتمال أن تکون قصه بلال فی أواخر سنی ما قبل الهجره، لا یقبل به المؤرخون؛ فإن النووی یذکر: أنه أسلم أول النبوه، و هو من أول من أظهر اسلامه (3).

إلا أن یقال: إن إسلامه، و إن کان متقدما، لکن شراءه و عتقه یمکن أن یتأخرا لعده سنوات.

هذا کله عدا عما تذکره بعض الروایات من أن العباس هو الذی ذهب فاشتراه، ثم أرسله إلی أبی بکر فأعتقه (4)! و روایات أخری تقول:

بل اشتراه نفس أبی بکر مباشره، و أعتقه.

و فی بعض الروایات: أنه لما توفی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قال بلال لأبی بکر: إن کنت إنما اشتریتنی لنفسک فأمسکنی، و إن

1- طبقات ابن سعد: ج 3 ص 165.
2- تقدمت من المصادر لذلک فی الجزء السابق من هذا الکتاب فی آخر فصل: بحوث تسبق السیره.
3- تهذیب الأسماء و اللغات: ج 1 ص 136.
4- السیره النبویه لدحلان: ج 1 ص 126، و السیره الحلبیه: ج 1 ص 299، و راجع: المصنف: ج 1 ص 234 و غیره.

كنت إنما اشتريتنى للّه فذرنى (1).

و هذا يشير إلى أنه لم يكن قد أعتقه حتى وفاته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)!!.

و بالنسبه لشراء العباس له؛ فإن العباس إن كان قد اشتراه لنفسه، فلماذا لم يعتقه هو نفسه؟ و إن كان إنما اشتراه لأبى بكر فلا ندرى: متى كان العباس وكيلا لأبى بكر؟ و متى كان العباس يهتم بأمور كهذه، و هو الذى لم يسلم إلا عام الفتح، أو فى بدر، كما يقولون؟.

و حاول بعضهم أن يدعى: أن العباس فاوض أميه بن خلف، ثم جاء أبو بكر فاشتراه (2)! و هذا أعجب!! و ما عشت أراك الدهر عجبا!!.

و أيضا، فإن حاله أبى بكر الإقتصاديه لم تكن تسمح له بأن يدفع تلك المئات من الدنانير، فضلا عن أن يكون أحد مواليه يملك عشره آلاف دينار، و جوار، و مواش، و غير ذلك، لو فرض أن العرب كانوا يملّكون عبيدهم الأموال.

حيث إن أبا بكر لم يكن تاجرا، و إنما كان معلّما، فمن أين تأتيه تلك الآلاف أو حتى المئات من الدراهم و الدنانير لشراء سبعه أو تسعه و إعتاقهم؟! و لسوف يأتى إن شاء اللّه البحث عن ثروه أبى بكر حين الكلام حول قضيه الغار. بل لقد شك البعض فى أن يكون كثير ممن ذكروا فى مواليه شخصيه حقيقيه أو خياليه، و لا سيما مثل (زنيره)، التى قال السهيلى عنها: (و لا تعرف زنيره فى النساء (3)).

1- طبقات ابن سعد: ج 3 ص 170.
2- السيره النبويه لدحلان: ج 1 ص 126، و السيره الحلبيه: ج 1 ص 299، و راجع المصنف للصنعانى ج 1 ص 234، و غيره.
3- الروض الانف ج 2 ص 78.

و يقول العلامه السيد الحسنى: (إن قريشا كانت تعذب من آمن؛ من أجل أن لا ينتشر الإسلام، و كانت تودّ أن تبذل لمحمد كل غال و نفيس، ليتراجع عما جاء به، و دعا إليه؛ فكيف تتنازل قريش عن ملكيتهم لأبى بكر، و تترک تعذيبهم بهذه السهوله (1)؟!.)

إلا أن يقال: إن حبها للمال، ثم اليأس من محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو الذى يدفعها إلى ذلک كما يقوله البعض.

هل عذب المشركون أبا بكر؟!

هذا و يذكرون: أن أبا بكر قد تعرض للعذاب فى سبيل الإسلام حيث إن عمر بن عثمان أخذه و قرنه مع طلحه بن عبيد اللّه التيمى فى حبل حين اسلما، و عذبهما نوفل بن خويلد، و فتنهما عن دينهما، فلذلک سمى أبو بكر و طلحه ب (القرينين).

و يرى البعض أن الذى قرنهما و عذبهما هو نوفل فقط، و ليس لعمر بن عثمان ذكر فى شى ء (2).

و نحن نسجل هنا ما يلى:

1- إنهم يقولون: إن أبا بكر قد منعه اللّه بقومه (3)، و هذا يتناقض

1- سيره المصطفى ص 149.
2- راجع فى ذلک: العثمانيه للجاحظ ص 27/ 28، و شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 253، و سيره ابن هشام ج 1 ص 301، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص 230، و البدايه و النهايه ج 3 ص 29، و البيهقى، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 369 و البدء و التاريخ ج 5 ص 82.
3- البدايه و النهايه ج 3 ص 28، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 284، و صححه هو و الذهبى فى تلخيصه بهامشه، و حليه الاولياء ج 1 ص 149، و الاستيعاب ج 1 ص 141 و أحمد، و ابن ماجه، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 126، و السيره-

تماما مع قولهم: إنه قد عذب. كما أنه يناقض قوله الآتى لابن الدّغنّه: إن قومه قد أخرجوه.

2- إنه يظهر من مراجعه كتب السيره: أن كل قبيله كانت تتولى تعذيب من يدخل فى الاسلام منها، و لم يكن منهم من يجرؤ على تعذيب من كان من قبيله أخرى، كما سنرى.

3- لقد قال الأسكافى: (إنا لا نعلم: أن العذاب كان واقعا إلا بعبد أو عسيف. (و هو الأجير)، و لمن لا عشيره له تمنعه (1)).

مع أنهم يقولون: إن أبا بكر كان رئيسا متبعا، و كبيرا مطاعا (2) ينتظره عظماء قريش و لا يقطعون أمرا دونه، حتى يأتيهم ليبتّوا فى أمر محمد صلى اللّه عليه و آله، (كما تقدم فى حديث إسلام أبى بكر). و على حسب تعبيراتهم: كان ذا مكانه عليّه، و صدرا معظما، و رئيسا فى قريش مكرما (3) فكيف يعذب أبو بكر من قبل جماعه ليسوا من قبيلته؟ و كيف يترک قومه رئيسهم، و صاحب مجدهم الباذخ؟ يتعرض للمهانه من قبل هؤلاء؟.

و على حد تعبير ابن هشام و غيره: كان (مآلفا لقومه، محببا، سهلا.

إلى أن قال: و كان رجال قومه يأتونه، و يألفونه لغير واحد من الأمر) (4).

و على حد التعبير المزعوم لابن الدغنه: (لا يخرج مثله. أتخرجون رجلا يكسب المعدوم، و يصل الرحم، و يحمل الكل، و يقرى الضيف،

1- شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 255.
2- راجع: شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 255، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 123، و السيره الحلبيه ج 1 ص 273.
3- السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 433، و البدايه و النهايه ج 3 ص 26.
4- سيره ابن هشام ج 1 ص 267 و السيره النبويه لابن كثير ص 437.

و يعين على نوائب الحق؟ (1)).

و يلاحظ: أن هذه الكلمات هى- تقريبا- نفس الكلمات التى تنسب إلى خديجه فى وصف النبى صلى اللّه عليه و آله حين بعثته، قالها إبن الدغنه حين هجره أبى بكر إلى الحبشه- و سيأتى عدم صحتها- فاقرأ، و اسمع، و اعجب ما بدالک!!

ملاحظه: هل كان أبو بكر رئيسا؟!:

إننا إنما ذكرنا هذا الذى سبق آنفا، لبيان تناقض كلماتهم، إذ لو صح هذا لم يمكن أن يصح ذاک، و إلا فنحن نشک فى أن يكون أبو بكر رئيسا، معظما، و كبيرا مطاعا، و يدل على ذلک:

1- إن أبا بكر حج، و معه أبو سفيان، فرفع صوته عليه، فقال أبو قحافه: إخفض صوتک يا أبا بكر عن ابن حرب، فقال أبو بكر: يا أبا قحافه، إن اللّه بنى فى الإسلام بيوتا كانت غير مبنيه، و هدم بيوتا كانت فى الجاهليه مبنيه، و بيت أبى سفيان مما هدم (2).

2- و حين بويع أبو بكر نادى أبو سفيان: (غلبكم على هذا الأمر أذل أهل بيت فى قريش)،

و فى نص الحاكم: (ما بال هذا الأمر فى أقل قريش قله، و أذلها ذله، يعنى أبا بكر (3)).

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 301. و سيأتى العديد من المصادر لذلک حين الكلام عن هجره أبى بكر ان شاء اللّه.
2- راجع: النزاع و التخاصم للمقريزى ص 19 و الغدير ج 3 ص 353 عنه.
3- راجع المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 451، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 78، عن ابن عساكر، و أبى أحمد الدهقان، و راجع الكامل لابن الأثير ج 2 ص 326، و تاريخ الطبرى ج 2 ص 944. و النزاع و التخاصم: ص 19، و كنز العمال:: ج 5-

و على حد تعبير البلاذري: إن أبا سفيان جاء إلى على (عليه السلام) فقال: يا على، بايعتم رجلا من أذل قبيله من قريش؟ (1).

3- و يقول عوف بن عطيه:

و أما الألأمان بنو عدى و تيم حين تزدحم الأمور

فلا تشهد بهم فتيان حرب و لكن أدن من حلب و عير

إذا رهنوا رماحهم بزبدفان رماح تيم لا تضير (2).

ملاحظه أخيره:

و أخيرا، فإن ما يذكرونه: من أن أبا بكر هو أول من أظهر إسلامه، فمنعه قومه. أو أنه ضرب حتى كاد يموت (3).

يكذبه الكثير مما قدمناه، و نزيد هنا: أن النبى كان أول من أعلن الدعوه. و ليس أبا بكر.

هذا عدا عن أنهم يذكرون تاره: أن ابن مسعود هو أول من أعلن، و أخرى عمر بن الخطاب، و هنا يذكرون: أبا بكر.

كما أن الروايه تنص على أن إظهار أبى بكر للإسلام قد كان حينما كان المسلمون ثمانيه و ثلاثين رجلا و النبى صلى اللّه عليه و آله فى دار الأرقم.

1- أنساب الأشراف للبلاذرى (قسم حياه النبى (صلى اللّه عليه و آله) ص 588.
2- طبقات الشعراء لابن سلام ص 38.
3- السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 439/ 449 و البدايه و النهايه ج 3 ص 30، و تاريخ الخميس ج 1 ص 294 و الغدير ج 7 ص 322 عنه و عن الرياض النضره ج 1 ص 46.

و قد تقدم: أن أبا بكر لم يكن قد أسلم بعد. لأنه إنما أسلم بعد أكثر من خمسين رجلا.

إلا أن يكون المقصود هو بلوغ المسلمين الذين أسلموا بعد الهجره إلى الحبشه ثمانيه و ثلاثين رجلا.

لكن ذلک لا يتلاءم مع تصريح الروايه بأن ذلک قد كان يوم إسلام حمزه، حينما كان النبى صلى اللّه عليه و آله فى دار الأرقم.

أول شهيد فى الإسلام من آل ياسر:

و على كل حال؛ فلقد عذّب آل ياسر أشد العذاب، و استشهدت سميّه أم عمار على يد فرعون قريش أبى جهل لعنه اللّه، فكانت أول شهيده فى الإسلام (1) ثم استشهد ياسر رحمه اللّه تعالى.

و لكنهم ذكروا: أن أول قتيل فى الإسلام هو الحارث بن أبى هاله، حيث إنه لما أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أن يصدع بما يؤمر، قام صلى اللّه عليه و آله فى المسجد، فقال: قولوا: لا إله إلا اللّه تفلحوا؛ فوثبت إليه قريش؛ فأتى الصريخ أهله؛ فكان أول من أتاه الحارث هذا؛ فضرب فى القوم فصرفهم عنه و عطفوا عليه حتى قتلوه (2).

و هذا لا يصح؛ لما تقدم؛ من ان اللّه قد منع النبى صلى اللّه عليه و آله بأبى طالب و قومه، و لم يجرؤا على أن ينالوه بسوء فى شعره و بشره.

1- الاستيعاب هامش الاصابه ج 4 ص 331 و 330 و 333، و الاصابه ج 4 ص 335 و 334 و السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 495، و اسد الغابه ج 5 ص 481، و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 28.
2- نور القبس ص 275 عن الشرقى ابن القطامى، و الاصابه ج 1 ص 293 عن الكلبى، و ابن حزم و عن العسكرى و الاوائل ج 1 ص 311/ 312.

و كذلک الحال بالنسبه إلی من أسلم من بنی هاشم، حیث لم یعذب جعفر، و لا علی و لا غیرهما، و ذلک لمکان أبی طالب رحمه اللّه، کما قلنا.

و أیضا فإن کلمه المؤرخین تکاد تکون متفقه علی أن أول شهید فی الاسلام کان سمیه و زوجها.

أضف إلی ذلک: أن کل ما یقال فی کیفیه إعلانه بالدعوه یتنافی و یتناقض مع ما ذکروه هنا (راجع ما تقدم تحت عنوان: فاصدع بما تؤمر).

و الذی یمکن أن نفهمه: هو أنه ربما یکون الهدف من وضع هذه القضیه هو أن یثبتوا أن خدیجه قد تزوجت قبل النبی صلی اللّه علیه و آله برجل أو أکثر، و ولد لها منهما. و قد تقدم ما یوجب الشک فی ذلک، حین الکلام علی زواجها بالرسول الاعظم صلی اللّه علیه و آله ...

عمار بن یاسر:

و عذب عمار أیضا عذابا شدیدا من قبل بنی مخزوم، حتی أکره علی التفوّه بما یعجب المشرکین، فترکوه؛ فأتی النبی (صلی اللّه علیه و آله) باکیا، و قال له: لم أترک یا رسول اللّه، و قد أکرهونی حتی نلت منک، و ذکرت آلهتهم بخیر.

فقال له النبی (صلی اللّه علیه و آله): کیف تجد قلبک یا عمار؟

قال: إنه مطمئن بالایمان یا رسول اللّه

قال: لا علیک، فإن عادوا إلیک فعد لما یریدون؛ فقد أنزل اللّه فیک: (إلا من أکره و قلبه مطمئن بالایمان (1)).

1- النحل/ 106 راجع: حلیه الاولیاء ج 1 ص 140 و تفسیر الطبری ج 4 ص 112 و تفسیر النیسابوری بهامشه و غیر ذلک کثیر جدا.

التقیه فی الکتاب و السنه:

و نقول:

1- إن ما جری لعمار و نزول الآیه فیه دلیل علی مشروعیه التقیه، إذا خاف الإنسان علی نفسه و ماله.

و قد صرحوا بجواز التقیه و إظهار الموالاه حتی للکفار، إذا خیف علی النفس التلف، أو تلف بعض الأعضاء، أو خیف من ضرر کبیر یلحق الإنسان فی نفسه (1).

بل لقد قال محمد بن عقیل: (التقیه مما أجمع المسلمون علی جوازه، و إن اختلفت تسمیتهم لها، فسماها بعضهم بالکذب لأجل الضروره أو المصلحه، و قد عمل بها الصالحون، فهی من دین المتقین الأبرار. و عکس القول فیها کذب ظاهر) (2).

2- و یدل علی ذلک أیضا قوله تعالی: وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَلَیْسَ مِنَ اللَّهِ فِی شَیْ ءٍ، إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً (3).

3- قال تعالی: إِنَّ الَّذِینَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِکَهُ ظالِمِی أَنْفُسِهِمْ. قالُوا: فِیمَ کُنْتُمْ؟ قالُوا: کُنَّا مُسْتَضْعَفِینَ فِی الْأَرْضِ .. إلی قوله: وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْکَ نَصِیراً.

قال البخاری: (فعذر اللّه المستضعفین الذین لا یمتنعون من ترک ما أمر اللّه، و المکره لا یکون إلا مستضعفا غیر ممتنع من فعل ما أمر به). (4)

1- راجع علی سبیل المثال: احکام القرآن للجصاص ج 2 ص 9.
2- تقویه الایمان ص 38.
3- آل عمران/ 28.
4- صحیح البخاری ط المیمنیه ج 4 ص 128.

ملاحظه:

الآیه موجوده کما فی سوره النساء الآیه 97 و لکن الفقره الأخیره غیر موجوده فیها و لا فی الآیات بعدها لکن البخاری قد ذکرها کذلک. فذکرناها حسبما هی فیه رعایه لامانه النقل عنه.

4- و قال تعالی وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَکْتُمُ إِیمانَهُ: أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ یَقُولَ رَبِّیَ اللَّهُ (1).

و القول بأن هذه الآیه قد نسخت لا مثبت له، بل لقد روی عن الامام الباقر علیه السلام ما یدل علی خلاف ذلک، فقد روی الکلینی عن عبد اللّه بن سلیمان، قال: (سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول- و عنده رجل من أهل البصره، یقال له: عثمان الأعمی، و هو یقول: إن الحسن البصری یزعم: أن الذین یکتمون العلم یؤذی ریح بطونهم أهل النار.

فقال ابو جعفر علیه السلام: فهلک إذاً مؤمن من آل فرعون، ما زال العلم مکتوما منذ بعث اللّه نوحا علیه السلام؛ فلیذهب الحسن یمینا و شمالا؛ فو اللّه ما یوجد العلم إلا هاهنا (2)).

فاستدلال الإمام بالآیه یدل علی أن عدم کونها منسوخه کان متسالما علیه لدی العلماء آنئذ.

و أما من السنه، فنذکر:

1- عن أبی ذر، عنه صلی اللّه علیه و آله: ستکون علیکم أئمه یمیتون الصلاه، فان أدرکتموهم فصلوا الصلاه لوقتها، و اجعلوا صلاتکم

1- غافر/ 28.
2- الکافی (الاصول) ج 2 ص 40- 41 منشورات المکتبه الاسلامیه، و الوسائل ج 18 ص 8.

معهم نافله (1) و ثمه حديث آخر بهذا المعنى فليراجع (2).

2- ما جاء: أن مسيلمه الكذاب أتى برجلين، فقال لأحدهما:

تعلم أنى رسول اللّه؟ قال بل محمد رسول اللّه. فقتله. و قال للآخر ذلک، فقال: أنت و محمد رسول اللّه؛ فخلى سبيله. فبلغ ذلک رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، فقال: أما الأول فمضى على عزمه و يقينه. و أما الآخر، فأخذ برخصه اللّه فلا تبعه عليه (3).

3- ما رواه السهمى عنه صلى اللّه عليه و آله: لا دين لمن لا ثقه له (4). و هو تصحيف على الظاهر، و الصحيح: (لا تقيه) كما يدل عليه ما رواه شيعه أهل البيت عنهم عليهم السلام (5).

4- قصه عمار بن ياسر المعروفه، و قول النبى صلى اللّه عليه و آله له: إن عادوا فعد. و هى مرويه فى مختلف كتب الحديث و التفسير. و فى هذه المناسبه نزل قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ، إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ) (6).

5- استعمال النبى صلى اللّه عليه و آله نفسه للتقيه، حيث بقى ثلاث أو خمس سنوات يدعو إلى اللّه سرا، و هذا مجمع عليه، و لا يرتاب فيه أحد، و إن كنا قد ذكرنا: أن الحقيقه ليست هى ذلک.

1- مسند أحمد ج 5 ص 159.
2- مسند أحمد ج 5 ص 160 و 168.
3- محاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى: ج 4 ص 408- 409 و احكام القرآن للجصاص ج 2 ص 10 و سعد السعود 137.
4- تاريخ جرجان: ص 201.
5- راجع: الكافى (الأصول): ج 2 ص 217 ط الآخندى، و وسائل الشيعه: ج 11 ص 465. و راجع: ميزان الحكمه: ج 10 ص 666 و 667.
6- النحل/ 106. و راجع: فتح البارى: ج 12 ص 277- 278.

6- إن الاسلام يخير الكفار فى ظروف معينه بين الإسلام و الجزيه، و السيف. و واضح: أن ذلک إغراء بالتقيه، لأن دخولهم فى الإسلام فى ظروف كهذه لن يكون إلا لحقن دمائهم، و ليس عن قناعه راسخه.

و هذا نظير قبول المنافقين فى المجتمع الإسلامى، و تألفهم على الإسلام، على أمل أن يتفاعلوا مع هذا الدين، و يستقر الإيمان فى قلوبهم.

7- و حين فتح خيبر قال حجاج بن علاط للنبى (صلى اللّه عليه و آله): ان لى بمكه مالا و ان لى أهلا و انى أريد أن آتيهم فانا فى حلّ إن أنا نلت منک و قلت شيئا؟! فاذن له رسول اللّه أن يقول ما شاء (1).

و أما التقيه فى التاريخ:

فنذكر على سبيل المثال:

1- إن رجلا سأل ابن عمر فقال: (أدفع الزكاه إلى الأمراء؟ فقال ابن عمر: ضعها فى الفقراء و المساكين. قال: فقال لى الحسن: ألم أقل لک: إن ابن عمر إذا أمن الرجل قال: ضعها فى الفقراء و المساكين؟؟ (2)).

2- و قد ادّعوا: أن أنس بن مالک قد روى حديث القنوت قبل الركوع تقيه من بعض أمراء عصره (3).

3- و حين شاور العباس بن الحسن كتّابه و خواصه فيمن يولّون الخلافه بعد موت المكتفى، أشار عليه ابن الفرات بأن ينفرد بكل واحد منهم فيعرف رأيه و ما عنده (فأما أن يقول كل واحد رأيه بحضره الباقين

1- دراسات فى الكافى و الصحيح ص 338 عن السيره الحلبيه.
2- المصنف للصنعانى ج 4 ص 48.
3- راجع: المحلّى ج 4 ص 141.

فربما كان عنده ما يسلک سبيل التقيه فى كتمانه وطيّه.

قال: صدقت. ثم فعل ما أشار به عليه (1)).

4- تقيه النبى (صلى اللّه عليه و آله) و الحمزه فى بيعه العقبه.

و ستأتى نصوصها فى فصل مستقل.

5- عن أيوب قال: ما سألت الحسن عن شى ء قط ما سألته عنها (أى عن الزكاه). قال: فيقول لى مره: أدّها إليهم. و يقول لى مره:

لا تؤدّها إليهم (2) أى للأمراء.

إلا أن يقال: إن هذا التردد من الحسن، إنما هو لأجل عدم وضوح الحكم الشرعى له، جوازا أو منعا.

6- و فى خطبه لمحمد بن الحنفيه: (لا تفارق الأمه، اتق هؤلاء القوم (يعنى الامويين) بتقيتهم. و لا تقاتل معهم. قال: قلت: و ما تقيتهم؟

قال: تحضرهم وجهک عند دعوتهم؛ فيدفع اللّه بذلک عنک، و عن دمک و دينک و تصيب من مال اللّه الذى انت أحق به. (3))

7- استفتى مالک بالخروج مع محمد بن عبد اللّه بن الحسن، و قيل له: فى اعناقنا بيعه لأبى جعفر المنصور. فقال: إنما بايعتم مكرهين.

و ليس على مكره يمين (4).

8- و نقل القرطبى، عن الشافعى، و الكوفيين: القول بالتقيه عند الخوف من القتل، و قال: (أجمع أهل العلم على ذلک (5)).

1- الوزراء للصابى ص 130.
2- المصدر السابق.
3- طبقات ابن سعد ج 5 ص 70.
4- مقاتل الطالبيين ص 283، و الطبرى ط أوربا ج 3 ص 200.

5- تفسير القرطبى ج 10 ص 181.

9- عن حذیفه قال: کنا مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فقال:

احصوا لی کم یلفظ الإسلام. قال: فقلنا: یا رسول اللّه، أتخاف علینا و نحن ما بین الستمائه إلی السبعمائه؟ قال: إنکم لا تدرون لعلکم أن تبتلوا.

قال: فابتلینا حتی جعل الرجل منا لا یصلی إلا سرا (1).

و حذیفه قد مات بعد البیعه لعلی (علیه السلام) باربعین یوما، فهذا النص یدل علی أن الناس المؤمنین کانوا قبل ذلک یعیشون فی ضغط شدید، و أن الذین یسیطیرون علی الشارع هم الناس الذین کانوا یحقدون علی الدین و المتدینین، و یهزؤون و یحاربون کل شی ء یمت إلی الدین بصله.

10- لقد اتقی عامه أهل الحدیث، و کبار العلماء و اجابوا إلی القول بخلق القرآن، و هم یعتقدون بقدمه، و لم یمتنع منهم الا أحمد بن حنبل، و محمد بن نوح (2).

و حتی أحمد؛ فانه قد تاقی فی ذلک، فکان إذا وصل إلی المخنق قال: لیس أنا بمتکلم. کما أنه حین قال له الوالی: ما تقول فی القرآن أجاب: هو کلام اللّه، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو کلام اللّه لا أزید علیها (3).

بل قال الیعقوبی: إنه لما سئل أحمد عن ذلک قال: (أنا رجل علمت علما و لم أعلم فیه بهذا. و بعد المناظره و ضربه عده سیاط، عاد

1- صحیح مسلم: ج 1 ص 91، و صحیح البخاری ط سنه 1309 ه. ق: ج 2 ص 116 و مسند أحمد ج 5 ص 384.
2- تجارب الامم المطبوع مع العیون و الحدائق ص 465.
3- تاریخ الطبری ج 7 ص 201 و راجع: آثار الجاحظ ص 274، و مذکرات الرمانی ص 47.

اليه إسحاق بن إبراهيم فناظره، قال له: فيبقى عليک شی ء لم تعلمه

قال: بقی علی

قال: فهذا مما لم تعلمه؛ و قد علّمکه أمير المؤمنين.

قال: فإنی أقول بقول أمير المؤمنين.

قال: فی خلق القرآن؟ قال: فی خلق القرآن. قال: فأشهد عليه، و خلع عليه، و أطلقه الی منزله (1).

مع أنه هو نفسه يقول: إن من قال: القرآن كلام اللّه، و وقف؛ فهو من الواقفه الملعونه (2).

و قد عمل ابن الزبير بالتقيه فی مواجهه الخوارج (3).

و اتقی ايضا الشعبی و مطرف بن عبد اللّه من الحجاج.

و اتقی عرباض بن ساريه و مؤمن الطاق من الخوارج و صعصعه بن صوحان من معاويه (4).

و ممن استعمل التقيه فی قضيه خلق القرآن إسماعيل بن حماد، و ابن المدينی، و كان إبن المدينی يلزم مجلس القاضی أبی دؤاد المعتزلی، و يقتدی به فی الصلاه، و يجانب أحمد بن حنبل و أصحابه (5).

11- و يقولون: إن إبراهيم عليه السلام عندما سأله ذلک الحاكم

1- تاريخ اليعقوبی ج 2 ص 472.
2- بحوث مع أهل السنه و السلفيه ص 183 و 184 عن: الرد علی الجهميه لابن حنبل فی كتاب الدومی ص 82.
3- راجع العقد الفريد لإبن عبد ربه ج 2 ص 393.
4- العقد الفريد ج 2 ص 464- 465.
5- راجع لسان الميزان ج 1 ص 339- 400 متنا و هامشا.

الجبار عن امرأته قال: (هذه أختی) و ذلک فی اللّه (1) فراجع.

12- و عن عبید اللّه بن معاذ العنبری، عن أبیه قال: (کتبت إلی شعبه أسأله عن أبی شیبه، قاضی واسط، فکتب إلی: لا تکتب عنه، و مزّق کتابی (2)).

13- و قد عمل صعصعه بالتقیه فی خطبته فی قصه خروج المستورد أیام معاویه (3).

14- و فی غاره بسر بن أبی أرطاه علی المدینه، و شکوی جابر بن عبد اللّه الأنصاری لأم سلمه زوج النبی: أنه خشی أن یقتل، و هذه بیعه ضلال، قالت: إذن، فبایع؛ فإن التقیه حملت أصحاب الکهف علی أن کانوا یلبسون الصلب و یحضرون الأعیاد مع قومهم (4).

15- و قد خطب الإمام الحسین علیه السلام مؤبنا أخاه الحسن السبط علیه السلام حینما توفی، فکان مما تمدّحه به: انه قد آثر اللّه عند مداحض الباطل، فی مکان التقیه بحسن الرویه (5).

16- و الإمام الحسین علیه السلام لم یستجب لأهل الکوفه حینما طلبوا منه القیام ضد معاویه بعد سم الإمام الحسن علیه السلام.

و له موقف آخر علیه السلام یؤید فیه موقف أخیه القاضی بعدم الثوره

1- صحیح البخاری ط المیمنیه: ج 4 ص 129 و مسند أحمد ج 2 ص 403 و أخرجه ابو داود و الترمذی، و قصص الانبیاء للنجار: ص 98- 99 و مسند ابی یعلی ج 10 ص 427.
2- صحیح مسلم: ج 1 ص 18 و معرفه علوم الحدیث ص 136.
3- راجع: بهج الصباغه: ج 7 ص 121.
4- تاریخ الیعقوبی: ج 2 ص 198.
5- راجع: تهذیب تاریخ دمشق: ج 4 ص 230 و عیون الأخبار لابن قتیبه: ج 2 ص 314، و حیاه الإمام الحسن (علیه السلام) للقرشی: ج 1 ص 439.

على معاویه ما دام حیا. فراجع (1).

17- قال الحسن (البصری): التقیه إلی یوم القیامه (2).

18- و قال البخاری: (و قال إبن عباس: فی من یکرهه اللصوص، فیطلق، لیس بشی ء. و به قال إبن عمر، و ابن الزبیر، و الشعبی، و الحسن) (3).

19- و قال البخاری أیضا: (یمین الرجل لصاحبه: أنه أخوه، إذا خاف علیه القتل أو نحوه، و کذلک کل مکروه یخاف، فإنه یذب عنه الظالم، و یقاتل دونه و لا یخذله، و إن قاتل دون المظلوم فلا قود علیه و لا قصاص. و إن قیل له: لتشربنّ الخمر، أو لتأکلنّ المیته، أو لتبیعنّ عبدک، أو تقر بدین، أو تهب هبه أو تحل عقده، أو لتقتلنّ أباک، أو أخاک فی الإسلام وسعه ذلک .. إلی أن قال: قال النخعی: إذا کان المستحلف ظالما فنیّه الحالف، و إن کان مظلوما؛ فنیه المستحلف). (4)

و لا بأس بمراجعه الشروح علی صحیح البخاری علی کتاب الإکراه، ففیها توضیحات و مطالب مفیده فی هذا المجال (5).

20- حتی المغیره بن شعبه فإنه یدعی أنه فی عیبه علیا یعمل بالتقیه فهو یقول لصعصعه: (هذا السلطان قد ظهر، و قد اخذنا باظهار عیبه للناس، فنحن ندع کثیرا مما أمرنا به، و نذکر الشی ء الذی لا نجد منه بدّا

1- راجع: الأخبار الطوال: ص 220 و 221 و 222.
2- صحیح البخاری: ج 4 ص 128/ ط المیمنیه.
3- صحیح البخاری: ج 4 ص 128.
4- المصدر السابق.
5- راجع: عمده القاری: ج 24 ص 95- 108، و فتح الباری: ج 12 ص 277- 289، و إرشاد الساری: ج 10 ص 93- 102.

ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيه فإن كنت ذاكرا فضله فاذكره بينک و بين أصحابک و فی منازلکم سرا ... الخ (1)

21- و فی حرب الجمل حمل محمد بن الحنفيه علی رجل من أهل البصره، قال: فلما غشيته قال: انا علی دين ابی طالب فلما عرفت الذی اراد کففت عنه (2)

23- و يقول ابن سلام: إن رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله أمره أن يصلی الصلاه لوقتها ثم يصلی مع الامراء الذين يؤخرون الصلاه نافله (3).

24- و قد صرح الخدری بأنه يعمل بالتقيه فی ما يرتبط بموقفه من علی عليه السلام ليحقن دمه من بنی أميه و استدل بآيه ادفع بالتی هی أحسن السيئه (4).

و قد ذکر فی الصراط المستقيم للبياضی ج 3 ص 72- 73 موارد عديده أخری فراجع.

التقيه ضروره فطريه عقليه دينيه اصلاحيه:

إن تشريع التقيه لهو خير دليل علی شموليه الإسلام و مرونته، و اتساعه لکل الظروف و الأحوال. إذ لو کانت الرساله جافه و قاسيه، و لا تلاحظ الظروف الطارئه، و الأحوال العارضه، فلا بد أن تصطدم مع الواقع، و تنهار أمامه، دون أن تتمکن من تجاوزه فی حرکتها الإصلاحيه و التکامليه.

فهو بتشريعه للتقيه، إنما يحافظ علی الرساله من خلال حفاظه علی

1- تاريخ الأمم و الملوک ج 4 ص 12.
2- الطبقات الکبری لابن سعد ج 5 ص 67.
3- تهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 205.
4- سليم بن قيس ص 53، مؤسسه البعثه- قم- ايران.

رائدها، و حافظها، و حاملها فی ذلک الظرف العصیب. و خیر شاهد علی ذلک هو تلک الفتره التی مر بها النبی صلی اللّه علیه و آله و المسلمون فی أول البعثه حیث کانوا یتحاشون فیها الصدام مع المشرکین.

و إن المحافظه علی حامل الرساله من خلال مرونه الرساله، تکون ضروریه جدا حینما لا یکون للتضحیه به فائده، و لا عائده. إن لم یکن فی ذلک ضرر علی الرساله نفسها حینما تفقد جندیا أمینا من جنودها، ربما تکون فی وقت مّا بأمس الحاجه إلیه.

فکثیرا ما یکون الحفاظ علی الإسلام من خلال الحفاظ علی جنوده الأبرار الأوفیاء، و الذین یکونون دائما علی استعداد للتضحیه فی سبیله کلما اقتضی الأمر ذلک. فالتقیه إنما شرعت للحفاظ علی هؤلاء. أما الآخرون، الذین لا یفکرون إلا فی أنفسهم، فلا ینفعهم تشریع التقیه، و لا عدمه.

و مما یدلنا علی أن تشریع التقیه إنما هو للحفاظ علی الرساله من خلال الحفاظ علی جنودها، و لیس ذلک نفاقا، و لا انهزاما. لأن هؤلاء المخلصین الذین یراد الحفاظ علیهم هم دائما علی استعداد للبذل و العطاء: أن الإمام الحسین علیه السلام الساکت فی زمان معاویه هو نفسه الحسین الثائر علی یزید، تحت شعار:

إن کان دین محمد لم یستقم إلا بقتلی یا سیوف خذینی فسکوته هناک کان حفاظا علی الدین و الحق؛ تماما کما کانت ثورته هنا حفاظا علی الحق و الدین. و قد تکلمنا علی هذه النقطه فی حلف الفضول.

و لأجل ذلک نجد: أنه إذا توقف الحفاظ علی الحق علی الفداء و التضحیه؛ فإن الإسلام یأمر به، و لا یتسامح مع من یمتنع عنه.

و أیضا، فلو کان فی الإسلام جفاف و قسوه؛ فربما یبعث ذلک

الكثيرين على التخلى عنه، أو بالأحرى على عدم الإقدام عليه. و لسوف يأتى فى إسلام وحشى و غيره: أن البعض كان يسلم؛ لأنه يعرف أن محمدا لا يقتل أصحابه.

فمرونه الإسلام هذه هى التى أعطته قوه الدفع هذه، و مكنته من أن يشق طريقه رغم كل التحديات الكبيره، و المصاعب الخطيره، التى واجهته عبر التاريخ.

و واضح: أن مرونه الإسلام هذه لا يجوز أن تفسر على أنها نوع من التساهل فى الأحكام؛ ليهون على البعض اعتناق الإسلام، بل هى من قبيل الحفاظ على الإسلام و المسلمين، حيث لا ضرر على المبدأ و الرساله. و حيث يكون فى عدم التقيه هدر للطاقات و الإمكانات، حيث لا جدوى من هدرها. و ليكن ذلک هو الفرق بين التقيه و بين النفاق الذى يحلو للبعض أن ينبز به- ظلما و عدوانا- من يعتقد بمشروعيه التقيه.

و قد رأينا: أنه صلى اللّه عليه و آله، حينما جاءته بعض القبائل و هى قبيله ثقيف، و طلبوا منه أن يعطيهم فرصه لعباده أصنامهم، و أن لا يفرض عليهم الصلاه لأنها صعبه عليهم، و أن لا يكسروا صنمهم بيدهم، نرى أنه صلى اللّه عليه و آله قبل بهذا الأخير، و رفض الأولين (1).

1- تاريخ الخميس: ج 2 ص 135، و السيره النبويه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبيه): ج 3 ص 11، و الكامل فى التاريخ: ج 2 ص 284، و السيره النبويه لإبن كثير: ج 4 ص 55، و السيره النبويه لابن هشام: ج 4 ص 184 و 185، و البدايه و النهايه: ج 5 ص 30، و المواهب اللدنيه: ج 1 ص 236. و بهذا يلاحظ: أن عمر بن الخطاب لم يكن موفقا حين أصر على الاقتصاص من جبله بن الأيهم الذى دخل فى الإسلام جديدا. و كان ملكا فى قومه، و لم يتعرف بعد بعمق على عظمه و خصائص الاسلام و مميزاته الفريده، إذ قد كان عليه أن يراعى الموقف، و يحل المشكله بأسلوب مرن آخر.

کما أنهم قد طلبوا منه أن یسمح لهم بالزنا، و شرب الخمر، و الربا، و ترک الصلاه (1). نعم فرفض ذلک، و لم یأخذ بنظر الإعتبار أن هذه قبیله تریدأن تسلم، فیتقوّی بها الإسلام، و یضعف بذلک جانب أعدائه و مناوئیه.

و هی فی خلال هذه السنه تکون قد تعرفت علی الإسلام و تدربت علیه. نعم، لقد رفض السماح لها بعباده صنمها، الذی عبدته عشرات الأعوام، و لو لمده سنه واحده أیضا. بل هو یرفضه و لو کان لساعه واحده، لأنه لا یرید أن یستفید من أیه وسیله من أجل الوصول إلی أهدافه، لأنه یعتبر الوسیله جزآ من الهدف، و منه تستمد قدسیتها، کما سبق.

و لکنه فی مقابل ذلک: لو أساء إلیه أحد الناس مثلا؛ فإنه علی استعداد لأن یعفو عنه، و لکن شرط: أن یعرف المعفو عنه أنه قد أذنب، و أن هذا عفو عنه، أما إذا فهم من ذلک مشروعیه الأمر الذی ارتکبه، فإن ذلک العفو یکون مرفوضا جمله و تفصیلا.

و خلاصه الأمر (2): إنه إذا کان المسلم ضعیفا، فإنه لا مبرر لأن یدخل فی صراع عنیف مع الآخرین، ینتهی بالقضاء علیه، أو علیه و علی عقیدته؛ لان المبدأ لا یستفید من صراع کهذا، بل ربما یلحق به الضرر. و کذا إذا کان الحفاظ علی الحق یحتاج إلی غطاء واق من

1- السیر النبویه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبیه): ج 3 ص 11، و المواهب اللدنیه: ج 1 ص 236، و تاریخ الخمیس: ج 2 ص 135 و 136 و 137. و راجع بالنسبه لترک الصلاه المصادر التالیه: الکامل فی التاریخ: ج 2 ص 284، و کذا فی السیره النبویه لابن هشام: ج 4 ص 185، و السیره النبویه لابن کثیر: ج 4 ص 56، و البدایه و النهایه: ج 5 ص 30.
2- هذه الخلاصه مقتبسه من کلمات للعلامه الجلیل السید محمد حسین فضل اللّه فی: مفاهیم اسلامیه عامه الحلقه 8 ص 127.

الإضطهاد، الذى يحاول القضاء عليه جمله و تفصيلا، بالأساليب الوحشيه التى لا تخضع للفكر، و لا تستجيب لشروط الصراع المبدأى و ظروفه.

و ليكن هذا دليلا آخر على عظمه الإسلام، و على شموليته، و انسجامه مع واقع الحياه، و مع كل ظروفها و مناخاتها.

الفصل الثانی: هجره الحبشه

اشاره

لا بد من حل:

لقد استمرت قريش فى تعذيب من يدخل فى دين الاسلام ممن لم يكن لهم عشيره تمنعهم. و كان الإستمرار فى هذا الوضع غير ممكن. فقد كان و أصبح لا بد لهؤلاء المعذبين من العثور على موضع أمل لهم، يساعدهم على تحمل المشاق، و مواجهه الصعاب، و يجعلهم أقدر على مقاومه الضغوط التى يتعرضون لها من قبل من رفضوا أن يعترفوا بألوهيه و حاكميه فوق ألوهيتهم و حاكميتهم، و آثروا الإستكبار و العناد على الرضوخ و الإنقياد.

و من جهه ثانيه: فإن استمرار هذا الوضع الذى يواجهه المسلمون، الملى ء بالآلام و المشاق، لسوف يقلل من إقبال الناس على الدخول فى الإسلام، ما دام أن هذا الدخول لا حصاد له سوى الرعب، و التعذيب و المصائب.

و من جهه ثالثه: فقد كان لا بد من تسديد ضربه لكبرياء قريش و جبروتها- و لو نفسيا- لتدرک: أن قضيه الدين تتجاوز حدود تصوراتها و قدراتها- و أن عليها: أن تفكر بموضوعيه و عقلانيه أكثر.

فكان أن اختار رسول للّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) للمسلمين الهجره

إلى الحبشه. و كانت هجرتهم إليها فى السنه الخامسه من البعثه.

سر إختيار الحبشه:

و أما عن سر اختيار رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله الحبشه مهاجرا للمسلمين، فقد أشار إليه صلى اللّه عليه و آله بقوله: (إن بها ملكا لا يظلم عنده احد، و هى ارض صدق) و (إنه يحسن الجوار).

و قد كان من الواضح أنه:

1- كان لا بدّ لقريش، من أن تبذل محاولاتها لاسترجاع المسلمين، لتبقى هى المهيمنه، و صاحبه الإختيار الأول و الأخير فى مصير هذا الدين، الذى تراه يتهدد كبرياءها و شركها، و انحرافها.

2- لقد كان لقريش نفوذ فى بلاد الروم و الشام، لما كان لها من علاقات تجاريه و إقتصاديه معها، فالهجره الى هذه البلاد إذن سوف تسهل على قريش استرجاع المهاجرين، أو على الأقل إلحاق الأذى بهم. و لا سيما إذا كان ملوک تلک البلاد لا يلتزمون بأى من الاصول الأخلاقيه و الإنسانيه، و لم يكن لديهم مانع من ممارسه أى نوع من أنواع الظلم و الجور، و على الأخص بالنسبه لمن ينتسب إلى دعوه يرون أنها تضر بمصالحهم الشخصيه، و تهدد كيانهم و جبروتهم.

و أما بلاد اليمن، و بعض المناطق العربيه و القبليه الأخرى فقد كانت تحت نفوذ النظام الفارسى، المتجبر و الظالم. و يذكر هنا: ان بعض القبائل عندما عرض عليها النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) دعوته و طلب منها حمايتها له، قبلت بذلک، و لكن ممادون كسرى (1)، و اما من كسرى، فلا.

1- السير الحلبيه: ج 2 ص 5 و ص 16، و السيره النبويه لابن كثير: ج 2 ص 168.

و واضح: أن الإلتجاء إلى كسرى لا يقل خطرا عن الإلتجاء الى بلاد الروم، خصوصا إذا رأى: ان هذا العربى- و هو بطبعه كان يحتقر العرب، و لا يرى لهم حرمه، و لا شأنا يذكر- لسوف يخرج فى منطقه قريبه من بلاده، و قد تسرى دعوته إلى بلاده نفسها، و يؤثر ذلک على الإمتيازات الظالمه التى يجعلها لنفسه، كما يظهر من دراسه طبيعه دعوه ذلک النبى، و أهدافها.

3- قد كان لقريش نفوذ قوى فى مختلف القبائل العربيه، حتى ما كان منها تحت نفوذ الفرس و الروم. كما ربما يتضح مما ذكرناه فى أوائل هذا الكتاب، فلا نعيد.

4- ما ذكره النبى (صلى اللّه عليه و آله) من ان بها ملكا لا يظلم عنده أحد:

فإن كل ذلک:

يجعلنا نضع أيدينا على السر الحقيقى لاختيار بلاد الحبشه، البعيده عن النفوذ الفارسى و الرومى و القريشى، و التى لا يمكن لقريش أن تصل إليها على ظهر جواد او راحله، و إنما بالسفن عبر البحار. و لم تكن قريش تعرف حرب السفن، فاختار الرسول (صلى اللّه عليه و آله) هذه البلاد بالذات لتكون ارضا لهجره المسلمين، الذين لا يزالون ضعافا أمام قوه قريش و جبروتها.

ثم اننا نستفيد من قوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن ارض الحبشه: إنها أرض صدق: أنه قد كان فيها شعب يعيش على الفطره، و يتعامل بالصدق و الصفاء، فيمكن لهؤلاء الثله من المسلمين المهاجرين ان يعيشوا مع هؤلاء الناس، و أن يتعاملوا معهم، لا سيما و أنها بلاد لم يكن فيها من الإنحرافات و الافكار و الشبهات ما كان فى بلاد الروم و الفرس، التى كانت قد لوثتها المفاهيم و النظريات اللاإنسانيه، و الأديان

المنحرفه الى حد بعيد، و لم تتعرض بلاد الحبشه لمثل ذلک، فلم تنشأ فيها أديان، و لا كان فيها علماء و فلاسفه بالمستوى الذى كان فى دولتى الروم و الفرس فكانت اقرب الى الفطره، و الحق من غيرها.

و لكن هيمنه الفطره على بلاد الحبشه ليس معناه خلو تلک البلاد عن أى انحراف، فان وجود الإنحراف فيها أمر طبيعى، بل ان ذلک على حد قولهم: أهل البلد الفلانى مؤمنون، أو شجعان، او كرماء، فإن ذلک لا يمنع وجود البخيل و الكافر او الفاسق و الجبان فيها.

و من الواضح: ان المسلمين لو هاجروا إلى بلاد لا تهيمن عليها الفطره، و كان لها ملک لا يأبى عن الظلم فلسوف تصعب عليهم الحياه و الإستمرار فيها، و لم يكن لهجرتهم من بلادهم كبير فائده، و لا جليل أثر.

الهجره الى الحبشه:

و هاجر المسلمون بأمر من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى الحبشه، ذهبوا إليها ارسالا على حسب روايه أم سلمه، (1) و يقال: إنه سافر أولا عشره رجال و أربع نساء عليهم عثمان بن مظعون (2)، ثم خرج آخرون حتى تكاملوا فى الحبشه اثنين او ثلاثا و ثمانين رجلا، إن قلنا إن عمار بن ياسر كان معهم. و تسعه عشر إمرأه عدا الأطفال.

و قد كانت هذه الهجره فى السنه الخامسه من البعثه كما نص عليه عامه المؤرخين.

1- السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 17، و البدايه و النهايه ج 3 ص 72 و تاريخ الخميس ج 1 ص 290 عن الصفوه و المنتقى.
2- سيره ابن هشام ج 1 ص 345، و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 5، و البدايه و النهايه ج 3 ص 67، و السيره الحلبيه ج 1 ص 324، قال: و به جزم ابن المحدث فى سيرته، و تاريخ الخميس ج 1 ص 288.

و لكن عند الحاكم: أن هجره الحبشه قد كانت بعد وفاه أبى طالب (1)، و هو إنما توفى فى السنه العاشره من البعثه.

إلا إذا كان الحاكم يتحدث عن هجره جديده قام بها بعض المسلمين فى هذا الوقت، لعلها عوده الراجعين الى مكه بعد سماعهم بالهدنه، ففوجئوا بالعكس فعادوا أدراجهم.

و لكننا لا نملک شواهد تؤيد أن ذلک كان فى تلک السنه بالذات.

و كيف كان فإننا نقول:

إننا نرجح: أنه لم يكن سوى هجره واحده للجميع، عليها جعفر بن ابى طالب (عليه السلام)، الذى لم يكن غيره من بنى هاشم فلم يكن ثمه هجرتان، عشره اولا، ثم الباقون ثانيا، و إن كان خروجهم إنما كان ارسالا حفاظا على عنصر السريه، و ذلک بدليل الرساله التى وجهها الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى ملک الحبشه مع عمرو بن أميه الضمرى، و التى جاء فيها:

(قد بعثت إليكم إبن عمى جعفر بن ابى طالب، معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوک فأقرهم إلخ ...) (2). و هذا هو الظاهر من روايه أخرى عن أبى موسى، قال: (أمرنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى ارض النجاشى إلخ ...) (3).

و إن كانت هجره أبى موسى هذه محل شک كما سنرى.

1- مستدرک الحاكم: ج 2 ص 622.
2- البدايه و النهايه ج 3 ص 83، و البحار ج 18 ص 418، و اعلام الورى ص 46- 45 عن قصص الانبياء.
3- البدايه و النهايه ج 3 ص 70 عن ابى نعيم فى الدلائل، و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 11.

أمير الهجره جعفر:

و نعتقد: إن هجره جعفر إلى الحبشه، لم تكن بسبب تعرضه للتعذيب من قبل قريش، فقد كانت قريش تخشى مكانه أبى طالب، و تراعى جانبه، و جانب بنى هاشم بصوره عامه. و إنما ارسله النبى صلى اللّه عليه و آله مع المهاجرين ليكون أميرا عليهم، و مدبرا لأمورهم، و مشرفا على شؤونهم و مصالحهم، و حافظا لهم من ان يذوبوا فى هذا المجتمع الجديد، كما كان الحال بالنسبه الى ابن جحش الذى تنصر فى الحبشه.

من هو أول مهاجر إلى الحبشه؟:

و يقولون: إن عثمان بن عفان كان أول من هاجر الى الحبشه بأهله، و أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد قال عنه بهذه المناسبه: إنه أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام (1). و قيل إنه كان أول خارج أيضا (2).

و نحن نشک فى ذلک، لأنه إن أريد أنه أول من هاجر بأهله، فإن أبا سلمه- كما يقولون- هو أول من هاجر بأهله (3). و إن أريد أنه أول خارج بنفسه، فإننا نجد أنهم يقولون: أن أول خارج كان حاطب بن أبى

1- البدايه و النهايه ج 3 ص 66 عن ابن اسحاق، و السيره الحلبيه ج 1 ص 323، و تاريخ الخميس ج 1 ص 289 و 275.
2- سيره ابن هشام ج 1 ص 344 و البدايه و النهايه ج 3 ص 66 عن البيهقى، و السيره الحلبيه ج 1 ص 223.
3- الاصابه ج 2 ص 335، و راجع ج 4 ص 459/ 458 و الاستيعاب بهامشها ج 2 ص 338 عن: مصعب الزبيرى، و تهذيب الاسماء و اللغات ج 2 ص 362، و أسد الغابه ج 3 ص 196 عن أبى عمر، و ابن منده، و السيره الحلبيه ج 1 ص 323، و ذخائر العقبى: ص 253.

عمر (1)، أو سليط بن عمرو (2). كما أنهم يقولون: مثل ذلک عن أبی سلمه فراجع، و ستأتی الإشاره إلی هذا إن شاء اللّه تعالی.

هجره أبی موسی إلی الحبشه لا تصح:

روی الإمام أحمد بسند حسن، و غیره: أن أبا موسی الاشعری کان فی جمله من هاجر الی الحبشه فی الهجره الأولی (3).

و لکن الظاهر هو أن هذا وهم او إدراج عمدی من الراوی، فإن أبا موسی لم یسلم إلا فی المدینه فی السنه السابعه من الهجره، و قیل: إنه خرج فی جماعه إلی النبی فألقتهم سفینتهم الی الحبشه، فجاؤا مع مهاجری الحبشه الی المدینه، فی سنه سبع من الهجره (4).

و یظهر: أن ذلک قد حدث بعد الهجره إلی المدینه، إذ لم یکونوا لیقدموا علی قصده (صلی اللّه علیه و آله و سلم) الی مکه، و لا لیقیموا هذه السنوات الطویله فی الحبشه.

و الظاهر أنه التقی بمهاجره الحبشه فی الطریق، فقد قال العسقلانی: (صادفت سفینته سفینه جعفر بن أبی طالب، فقدموا جمیعا) (5).

1- الاصابه ج 1 ص 301، و السیره الحلبیه ج 1 ص 323.
2- السیره الحلبیه ج 1 ص 323.
3- راجع: سیره ابن هشام ج 1 ص 347، و البدایه و النهایه ج 3 ص 67 و 69 و 70 عن ابن اسحاق و أحمد و عن ابی نعیم فی الدلائل و السیره النبویه لابن کثیر ج 2 ص 7 و 9، و فتح الباری، ج 7 ص 143 و مجمع الزوائد ج 6 ص 24 عن الطبرانی و حلیه الاولیاء ج 1 ص 114.
4- راجع: السیره النبویه لابن کثیر ج 2 ص 14 و البدایه و النهایه ج 3 ص 71.
5- الإصابه: ج 2 ص 359.

رقه عمر للمهاجرين

و يقولون: إن عمر رأى المهاجرين، و هم يتهيأون للخروج إلى الحبشه، فرق لهم، و أحزنه ذلک (1).

و ذلک لا يصح، لأن خروجهم كان سرا، متسللين، منهم الراكب، و منهم الماشى، حتى انتهوا إلى البحر فوجدوا سفينه فأقلتهم فخرجت قريش فى آثارهم حتى جاؤا البحر، فلم يجدوا أحدا منهم (2).

هذا كله، عدا عن شده عمر و غلظته، التى تدعى له قبل و بعد الهجره الى الحبشه على من اسلم، و تعذيبه لمن قدر عليه منهم، فإن ذلک لا يتناسب مع ما يقال عنه هنا.

هجره ابى بكر لا تصح:

و يقولون: إنه حين اشتد البلاء على بقيه من بمكه من المسلمين، و ضاقت مكه على أبى بكر، و أصابه فيها الأذى، خرج حين حصر المسلمين فى الشعب مهاجرا الى الحبشه، فلما وصل الى برک الغماد- موضع على خمس ليال من مكه الى جهه اليمن- لقيه إبن الدغنه، سيد قبيله (القاره)، و كانوا حلفاء لبنى زهره من قريش، فقال له: أين تريد يا أبا بكر، فقال: أخرجنى قومى؛ فأريد أن أسيح فى الارض، و أعبد ربى، فقال إبن الدغنه: مثلک يا أبا بكر لا يخرج؛ إنک تكسب المعدوم إلى أن قال: فارجع فأنا لک جار

1- البدايه و النهايه ج 3 ص 79 عن ابن اسحاق، و مجمع الزوائد ج 6 ص 24، و مستدرک الحاكم ج 4 ص 58 و الطبرانى، و السيره الحلبيه ج 1 ص 323/ 324.
2- السيره الحلبيه ج 1 ص 324، و تاريخ الخميس ج 1 ص 288/ 289 عن المنتقى و الطبرى ج 2 ص 69 و راجع البدء و التاريخ ج 4 ص 149، و اعلام الورى ص 43 و اليعقوبى ج 2 ص 29 و زاد المعاد لابن القيم ج 2 ص 44.

فرجع، و رجع معه إبن الدغنه، فطاف عشيه فى أشراف قريش، و أعلمهم بأنه أجاره، فأجازوا جواره بشرط: أن يعبد ربه فى داره، و لا يستعلن.

و لكن أبا بكر ابتنى بعد مده، مسجدا فى بنى جمح، بجوار داره يصلى فيه، و يقرأ القرآن، و جعل نساء المشركين، و أبناؤهم يجتمعون لسماع قراءته، حتى يسقط بعضهم على بعض. و كان له صوت رقيق، و وجه عتيق أى جميل. فراجع المشركون إبن الدغنه فى ذلک، فأتاه فطالبه، فرد عليه ابو بكر جواره (1).

و نحن نشک فى ذلک، إذ مع غض النظر عن:

1- أن إخراج قوم ابى بكر له لا يعنى أنه قد هاجر مختارا مع أن ظاهر الكلام هو ذلک.

2- و مع غض النظر عن أن هذا الحديث مروى عن عائشه فقط- و هو عجيب!!- فهم يدعون:

أنها كانت حينئذ صغيره السن جدا لا يمكن ان تعى كل تلک الأمور و الخصوصيات، و إن كنا نعتقد: أن عمرها كان أكثر مما يقولونه بكثير، كما سنشير اليه. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 3 127 هجره ابى بكر لا تصح: ..... ص : 126

3- أضف الى ذلک: أنها لم توضح لنا عمن روت ذلک.

و دعوى البعض: أن إرسال الصحابى لا يضر، لأنه يروى عن صحابى مثله؛ و هم عدول كلهم.

1- راجع: السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 127/ 128، و سيره ابن هشام ج 2 ص 12- 13، و شرح النهج ج 13 ص 267، و المصنف ج 5 ص 386/ 385 و البدايه و النهايه ج 3 ص 94 و 95، و فى تاريخ الخميس ج 1 ص 319/ 320 ان ذلک كان فى الثالثه عشره من البعثه، و حياه الصحابه ج 1 ص 276 و 277 عن البخارى ص 552.

لا تصح، فأما بالنسبه لعدالتهم جميعا، فقد أثبتنا عدم صحه ذلک فراجع مقالنا: الصحابه فی الکتاب و السنه، فی کتابنا:

دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسلام، الجزء الثانی.

و أما دعوی: أن إرسال الصحابی إنما هو عن صحابی مثله، فهی أیضا غیر صحیحه، لجواز أن یکون الصحابی قد روی عن غیر صحابی، کما کان أبو هریره یروی عن کعب الأحبار (1).

نعم، إننا مع غض النظر عن ذلک کله، نسجل هنا الأمور التالیه:

أولا: إن الروایه تنص علی أن إبن الدغنه کان حلیفا لبنی زهره من قریش، فکیف أجار علی قریش مع أن الحلیف لا یجیر؟! کما اعتذر به الأخنس بن شریق، حینما طلب منه النبی أن یجیره لیدخل مکه، حسبما یدّعون (2).

و ثانیا: لماذا بعد أن ردّ جوار إبن الدغنه لم تؤذه قریش و لم تخرجه، و إذا کانت قبیلته قد منعته الآن؛ فلماذا لم تمنعه أولا. و إذا کانت قد أقنعتهم تقریظات ابن الدغنه لأبی بکر، فلماذا لم تقنعهم أولا، حتی احتاج أبو بکر الی جواره؟!.

و ثالثا: لقد رد الاسکافی علی الجاحظ المدعی لهذه القضیه بقوله:

(کیف کانت بنو جمح تؤذی عثمان بن مظعون و تضربه، و هو عندهم ذو سطوه و قدر، و تترک أبا بکر یا بنی مسجدا یفعل فیه ما ذکرتم؟ و أنتم الذین

1- راجع: شیخ المضیره للشیخ محمود أبی ریه، و أبو هریره للسید شرف الدین رحمهما اللّه تعالی، و راجع ترجمه کعب الأحبار فی: سیر أعلام النبلاء: ج 3 ص 490 و غیره.
2- اعلام الوری ص 55 و البحار ج 19 ص 7 عن القمی، و سیره ابن هشام ج 2 ص 20، و البدایه و النهایه ج 3 ص 137، و السیره الحلبیه ج 1 ص 360، و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 142، و بهجه المحافل ج 1 ص 126.

رویتم عن ابن مسعود: أنه قال: ما صلینا ظاهرین حتی أسلم عمر بن الخطاب. و الذی تذکرونه من بناء المسجد کان قبل إسلام عمر.

و أما ما ذکرتم من رقه صوته، و عتاق وجهه، فکیف یکون ذلک، و قد روی الواقدی، و غیره: أن عائشه رأت رجلا من العرب، خفیف العارضین، معروق الخدین، غائر العینین أجنأ (یعنی مائل الظهر)، لا یمسک إزاره، فقالت: ما رأیت أشبه بأبی بکر من هذا. فلا أراها دلت علی شی ء من الجمال فی صفته (1).

و یدل علی صحه ما ذکره الاسکافی حول جمال أبی بکر: أن المقدسی، بعد أن ذکر: أنه لقب بعتیق لحسن وجهه و عتقه، یقول: (کان أبیض البشره، مشربا حمره، نحیف الجسم، خفیف العارضین، معروق الوجه، غائر العینین، ناتی ء الجبهه، عاری الاشاجع، أحنی لا یستمسک إزاره، و یسترخی عن حقویه، و کان الخ ...) و کذا قال غیره (2).

هذا کله عدا عن قولهم: إنه لقب ب (عتیق) لأن الرسول قال له:

(هذا عتیق من النار) فیومئذ سمی عتیقا، و کان اسمه قبل ذلک: عبد اللّه بن عثمان (3) و ذلک ینافی قولهم: إنه عتیق لجمال وجهه.

و رابعا: لقد نصت الروایه علی أن أبا بکر قد ابتنی مسجدا فی بنی جمح. و لکننا نجدهم یقولون: إن مسجد قباء کان أول مسجد بنی فی الإسلام (4). و یقولون أیضا: إن عمارا کان أول من بنی مسجدا فی

1- شرح النهج للمعتزلی ج 13 ص 268 عن الاسکافی.
2- البدء و التاریخ ج 5 ص 76/ 77، و تاریخ الخمیس ج 2 ص 199، و تاریخ الطبری ج 2 ص 615.
3- کشف الأستار عن مسند البزار: ج 3 ص 163، و مجمع الزوائد: ج 9 ص 40.
4- وفاء الوفاء ج 1 ص 250 و السیره الحلبیه ج 2 ص 55.

الإسلام (1).

و حاول البعض الإجابه عن هذا بأن المقصود: هو أن مسجد قباء كان أول مسجد بنى فى المدينه. و أن عمارا كان أول من بنى مسجدا لعموم المسلمين (2).

و قد فاته: أن إطلاق قوله: فى الإسلام يدفع الأول، و إطلاق كون عمار أول من بنى مسجدا؛ يدفع الثانى، كما أن ثمه تصريحا بأنه أول من بنى فى بيته مسجدا يتعبد فيه (3).

و خامسا: نحن بحاجه إلى إجابات على الأسئله التاليه: لماذا يترک أبو بكر يا بنى مسجدا فى بنى جمح؟. و كيف لم يعترض الجمحيون على هذا التحدى؟. و لماذا لم يدرک التيميون صفات أبى بكر النبيله تلک، و يدعونه يخرج، ثم يدركها إبن الدغنه؟!

و لماذا لم تلاحظ قريش تلک الصفات النبيله التى أقرت بها، و تركته يخرج؟! بل و لماذا عذبته أشد العذاب؟! مع علمها بما ذكره إبن الدغنه عنه!!.

فضيله عثمان بن مظعون تجعل لغيره:

و الذى نظنه قويا هو أنهم ارادوا: أن يجعلوا له فضيله سبق إليها عثمان بن

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 55، و طبقات ابن سعد ج 3 ص 179 و 178 و الاعلاق النفيسه ص 196 و تاريخ ابن كثير ج 7 ص 311، و الغدير ج 9 ص 20 عنهما. و الاوائل للطبرانى ص 109 و الروض الأنف ج 3 ص 248 و السيره النبويه لابن هشام ج 2 ص 143.
2- السيره الحلبيه ج 2 ص 55 و وفاء الوفاء ج 1 ص 250.
3- طبقات ابن سعد ط ليدن ج 3 ص 178 و ذكره فى البدايه و النهايه ج 7 ص 311، و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 55 فانه صرح بأن هذا المسجد كان خاصا بالذى بناه.

مظعون؛ فإنه كما يذكره المؤرخون: لما رجع من الحبشه مع من رجع، بعد شهرين من الهجره، و فوجى ء بأن الامر بين المشركين و النبى صلى اللّه عليه و آله لا يزال على حاله، دخل مكه بجوار الوليد بن المغيره.

و لكنه لما رأى ما فيه المسلمون من البلاء، و هو يغدو و يروح فى أمان. صعب عليه ذلک، فمشى إلى الوليد فرد عليه جواره؛ فقال: يا بن أخى، لعله آذاک أحد من قومى؟ قال: لا، و لكنى أرضى بجوار اللّه عز و جل، و لا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق الى المسجد، فاردد على جوارى علانيه، كما أجرتک علانيه.

فانصرف معه، ورد عليه جواره علانيه فى المسجد (1).

محاوله قريش اليائسه:

و بعد أن صحا مشركوا مكه من عنف الصدمه. (و رأت قريش استقرارهم فى الحبشه و أمنهم)، على حد تعبير البعض (2) ائتمرت فيما بينها، و قررت إرسال رجلين من قبلها إلى الحبشه لاسترداد المهاجرين.

و وقع اختيارهم على عمرو بن العاص، و يقال: و على عماره بن الوليد أيضا، فأرسلوهما إلى النجاشى بهدايا له و لبطارقته. (و جرى بين عماره و عمرو بن العاص فى الطريق شى ء مثير، يرتبط بالعلاقه بين عماره و زوجه عمرو فاحتملها له عمرو ليكيده فى الوقت المناسب)..

و ادّعيا أمام النجاشى: أنه (قد ضوى إلى بلدک منا غلمان

1- البدايه و النهايه ج 3 ص 92، و قد ذكرت هذه القضيه فى مختلف المصادر التاريخيه فلا حاجه إلى تعدادها.
2- سيره مغلطاى ص 22.

سفهاء، فارقوا دينهم، و لم يدخلوا فى دينک. و جاؤا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن و لا أنت. و قد بعثنا إليک فيهم أشراف قومهم من آبائهم، و أعمامهم، و عشائرهم لتردهم اليهم الخ).

فرفض تسليمهم اليهم حتى يسألهم عن صحه ما جاء به عمرو و عماره، فجاء المسلمون؛ فسألهم فقال جعفر: (أيها الملک، كنا قوما أهل جاهليه، نعبد الاصنام، و نأكل الميته و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسى ء الجوار، و يأكل، منا القوى الضعيف، فكنا على ذلک، حتى بعث اللّه إلينا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه، و أمانته، و عفافه؛ فدعانا الى اللّه لنوحده، و نعبده، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه، من الحجاره و الأوثان. و أمرنا بصدق الحديث و أداء الامانه، و صله الرحم، و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أكل مال اليتيم، و قذف المحصنات، و أمرنا: أن نعبد اللّه وحده، لا نشرک به شيئا، و أمرنا بالصلاه، و الزكاه، و الصيام الخ .. (1)).

و قرأ عليه جعفر بعض سوره الكهف: فبكى النجاشى حتى اخضلّت لحيته، و كذلک اساقفته؛ ثم قال النجاشى: إن هذا و الذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاه واحده انطلقا، فو اللّه لا أسلمهم اليكما، و لا يكادون.

ثم غدا عمرو فى اليوم التالى؛ ليخبر النجاشى، بأن المسلمين يقولون: إن عيسى بن مريم عبد؛ فأرسل اليهم؛ فسألهم؛ فقال له جعفر:

نقول فيه الذى جاء به نبينا (صلى اللّه عليه و آله و سلم): هو عبد اللّه

1- ذكرت الزكاه و الصيام فى مختلف المصادر؛ فراجع سيره ابن هشام ج 1 ص 360، و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 21، و الكامل لابن الاثير ج 2 ص 80 (و لم يذكر الزكاه) و اعلام الورى ص 44 و لم يذكر الصيام و البدايه و النهايه ج 3 ص 74 و تاريخ الخميس ج 1 ص 290، و حليه الأولياء ج 1 ص 114، و السيره الحلبيه ج 1 ص 340. و ستأتى بقيه المصادر حين الكلام عن أن تشريع الصلاه و الزكاه كان فى مكه، و ذلک قبيل الكلام عن غزوه بدر ان شاء اللّه تعالى.

و رسوله، و روحه و كلمته التى ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فتناول النجاشى عودا، و قال: و اللّه، ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود.

فتناخرت بطارقته، فقال: و ان نخرتم، إذهبوا فأنتم شيوم: أى آمنون، من سبكم غرم- قالها ثلاثا- ما أحب ان لى دبرا- أى جبلا- من ذهب و أنى آذيت رجلا منكم.

ثم رد هدايا قريش (1).

و قد روى عن الإمام الحسين عليه السلام: أن ابن العاص قد ذهب إلى الحبشه مرتين ليكيد المسلمين، فرد اللّه تعالى كيده إلى نحره، و باء بغضب من اللّه تعالى. (2)

ملاحظه:

قد شكك البعض فى صحه هذه الورايه، و ذلک لذكر الصيام فيها، و هو انما شرع فى المدينه (3).

و لكنه كلام باطل؛ فإن الصيام، و الزكاه، و غير ذلک، كله قد شرع فى مكه، و لسوف يأتى إن شاء اللّه بيان ذلک فى هذا الكتاب حين الحديث على ما بعد الهجره.

و يرى بعض الاعلام: أن منشأ هذه التحقيقات الرشيقه لأحمد أمين، و من هم على شاكلته، هو التشكيک فى موقف يظهر بطوله جعفر، و جراءته و حكمته، و عقله، و درايته.

1- راجع المصادر المتقدمه.
2- راجع: الإحتجاج: ج 1 ص 411/ 412، و السيره النبويه لابن كثير: ج 2 ص 27، و البدايه و النهايه: ج 3 ص 76.
3- هذا ما ذكره أحمد أمين فى كتاب فجر الإسلام ص 76 و لعله اقتبسه من السيره الحلبيه: ج 1 ص 339.

و قد ابتلی جعفر أیضا بمثل هذا الإجحاف فی حقه فی مورد آخر، و هو کونه الأمیر الأول فی غزوه مؤته، فإن لهم اهتماما خاصا فی إبعاد جعفر عن هذا المقام و التأکید علی ان الامیر الأول هو زید بن حارثه رحمه اللّه کل ذلک من أجل اخوته لعلی و قرابته منه. (1)

قریش، و خططها المستقبلیه:

حقا لقد کانت هجره المسلمین الی الحبشه ضربه قاسیه لقریش، أفقدتها صوابها، و زعزعت وجودها و کیانها؛ فحاولت أن تتدارک الأمر، فلحقت بهم بهدف إرجاعهم، و إبقائهم تحت سلطتها، و لکن بعد فوات الاوان.

و کان أن اضطرت قریش للمره الأولی لمراجعه حساباتها من جدید، بعد أن أدرکت: أن زمام المبادره لم یعد بیدها؛ و ذلک لأنها:

1- أدرکت أن الإستمرار فی تعذیب المسلمین، الذین اصبحوا متفرقین فی مختلف القبائل، لم یعد له کبیر جدوی و لا جلیل اثر، إن لم یکن سببا فی اثاره حرب داخلیه، تکون عواقبها السیئه علی سمعتها و کرامتها کبیره و خطیره، حینما لا توافق کل قبیله علی التصفیه الجسدیه للمنتمین إلیها، للمنطق القبلی. الذی ما زالوا یتعاملون علی أساسه، حتی فی مواقفهم من هذا الدین الجدید، و مناهضتهم لمحمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و دعوته، رغم إجماعهم علی العداء له و لها. و یکفی أن نشیر هنا إلی أنهم قد قرروا: أن تتولی کل قبیله تعذیب الذین ینتسبون إلیها!!.

2- لقد رأت قریش: أن محمدا صلی اللّه علیه و آله یرید أن تکون دعوته انسانیه عالمیه، لا تختص بعرب مکه و الحجاز و أدرکت أن هجره

1- راجع کتابنا: دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسلام، الجزء الأول، بحث: من هو الأمیر الاول فی غزوه مؤته.

هؤلاء إلى الحبشه لم تكن متمحضه فى الهروب من التعذيب، لأن الكثيرين من أولئک المهاجرين لم يكن ممن يعذب. هذا عدا عن أنهم يمثلون مختلف القبائل المكيه أيضا.

و يمثلون رصيدا يملكه الإسلام و المسلمون، و يدّخرونه للوقت المناسب، و أصبح واضحا لكل أحد: أن القضاء على مسلمى مكه لا يعنى القضاء على الإسلام.

3- و ترى كذلک: أن معنى هجره المسلمين هذه، و خروجهم من تحت سلطتها، هو أنها سوف تكون امام مواجهه شامله، و ان مصالحها فى معرض التهديد و البوار.

و قد رأت أن أبا ذر باقامته بعسفان على طريق القوافل، و كلما أقبلت عير لقريش احتجزها حتى يقولوا: لا إله الا اللّه و ان محمدا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم). و ظل على ذلک الى ما بعد حرب أحد، قد ضايقها تلک المضايقه الشديده مع العلم بأن القضاء على حركته ربما يكون أسهل و أيسر، لأنه فى منطقتها، و يمكن تطويقه، و الحد من نشاطه بسرعه؛ لأنه بين أمه كلها تدين لقريش بالولاء، و تقول بمقالتها، كما أنهم ينظرون إليه على انه غريب و معتد.

إذن فإن وجود المسلمين- و هم من قريش فى الصميم فى منطقه بعيده عن نفوذ القرشيين و سلطانهم، و فى ملجأ أمين، و منطلق مطمئن.

ليشكل أعظم الاخطار على قريش و مصالحها، الأمر الذى يحتم عليها التريث و الصبر، و إحكام التدبير، لا سيما و أنها لا تجد الى تصفيه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) جسديا حيله، و لا الى إسكاته سبيلا، ما دام فى حمايه شيخ الابطح، أبى طالب (عليه السلام) و الهاشميين، باستثناء أبى لهب لعنه اللّه.

فأرسلت الى النجاشى ممثلين عنها لاسترداد المهاجرين، فرجعا

إليها بالفشل الذريع و الخيبه القاتله، فافقدها ذلک صوابها و أصبحت تتصرف بدون وعى، و لا تدبر، فعدت من جديد على من تبقى من المسلمين بالعذاب و التنكيل. و جعلت تتعرض للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالسخريه، و الاستهزاء، و الإتهام بالجنون و السحر، و الكهانه، و بأنواع مختلفه من الحرب النفسيه و الأذى.

الثوره على النجاشى:

و كان وجود المسلمين فى الحبشه، قد تسبب للنجاشى ببعض المتاعب؛ حيث اتهمه أهل بلاده بأنه خرج من دينهم فثاروا عليه. و لكنه استطاع أن يخمد الثوره بحسن إدراكه و وعيه، و استمر المسلمون عنده فى خير منزل، و خير جار، حتى رجعوا إلى المدينه، بعد هجره النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إليها كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى.

فيروى محمد بن إسحاق، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال:

اجتمعت الحبشه، فقالوا للنجاشى: إنک فارقت ديننا، و خرجوا عليه، فأرسل الى جعفر و أصحابه، فهيأ لهم سفنا، و قال: اركبوا فيها و كونوا كما أنتم؛ فان هزمت؛ فاذهبوا حيث تلحقوا بحيث شتم. و ان ظفرت فاثبتوا، ثم خرج إليهم فجادلهم فى الامر، فانصرفوا عنه (1)

و كان ذلک قبل إيفاد قريش عمروا و عماره، بدليل قول النجاشى لهما (فو اللّه) ما أخذ اللّه منى الرشوه حين رد على ملكى، و لا أطاع الناس فى، فأطيع الناس فيه، ردوا عليهم هداياهم؛ فلا حاجه لى بها، و أخرجا من بلادى، فخرجا مقبوحين (2))

1- سيره ابن هشام ج 1 ص 365، و البدايه و النهايه ج 3 ص 77، و السيره الحلبيه ج 2 ص 202.
2- البدايه و النهايه ج 3 ص 75 عن ابن اسحاق، و سيره ابن هشام ج 1 ص 362.

و قد كانت هذه الفتره التى اعقبت هجره المسلمين الى الحبشه قد تميزت بهدوء نسبى، و لعله استمر إلى عوده عمرو بن العاص من الحبشه إلى مكه بالخيبه و الخسران.

عوده بعض المهاجرين:

و تسربت انباء الهدنه القصيره و العفويه غير المعلنه التى حصلت فى مكه الى مسامع المسلمين فى الحبشه. و رأى المسلمون ما جرى للنجاشى بسببهم، فارتاى فريق منهم العوده الى مكه، بعد شهرين، او ثلاثه أشهر، و عاد منهم أكثر من ثلاثين رجلا، و دخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيره، و كان ما كان من رده جوراه، و رضاه بجوار اللّه تعالى، حسبما تقدم.

نعم هذا هو السر فى رجوع بعض المهاجرين من الحبشه، و ليس ما ذكره اعداء الاسلام من قصه الغرانيق التى لا شک فى كذبها كما سنرى.

قصه الغرانيق

و ملخص هذه القضيه المكذوبه: أنه بعد أن هاجر المسلمون إلى الحبشه بحوالى شهرين؛ جلس رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مع المشركين، فأنزل اللّه تعالى عليه سوره النجم؛ فقرأها، حتى إذا بلغ قوله تعالى: أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى، وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى، وسوس اليه الشيطان بكلمتين، فتكلم بهما، ظانا انهما من جمله الوحى و هما: (تلک الغرانيق العلى، و ان شفاعتهن لترتجى)، ثم مضى فى السوره، حتى اذا (1)

1- الغرانيق، جمع غرنوق بكسر الغين: طيور الماء. شبهت الاصنام بها لارتفاعها فى السماء فتكون الاصنام مثلها فى رفعه القدر، و الغرنوق أيضا: الشاب الابيض الناعم.

بلغ السجده، سجد و سجد معه المسلمون و المشركون. لكن الوليد بن المغيره لم يتمكن من السجود، لشيخوخته، او لتكبره- على الخلاف- فرفع ترابا الى جبهته فسجد عليه، و قيل: إن الذى فعل ذلک هو سعيد بن العاص، و قيل كلاهما، و قيل: أميه بن خلف، و صحح، و قيل: أبو لهب، و قيل: المطلب.

و أضاف البخارى سجود الانس و الجن، الى مجموع المسلمين.

و المشركين و طار الخبر فى مكه، و فرح المشركون، بل و يقال: انهم حملوا الرسول، و طاروا به فى مكه من اسفلها إلى أعلاها.

و لما أمسى جاءه جبرائيل فعرض عليه السوره، و ذكر الكلمتين فيها؛ فأنكرهما جبرئيل؛ فقال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): قلت على اللّه ما لم يقل؟ فأوحى اللّه إليه: وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَيْنا إِلَيْکَ، لِتَفْتَرِیَ عَلَيْنا غَيْرَهُ، وَ إِذاً لَاتَّخَذُوکَ خَلِيلًا، وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ، لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا، إِذاً لَأَذَقْناکَ ضِعْفَ الْحَياهِ، وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ عَلَيْنا نَصِيراً (1).

و قد استدلوا على صحه هذه الروايه بالآيه التى يدّعون: انها نزلت بهذه المناسبه و هى قوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِی أُمْنِيَّتِهِ، فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِی الشَّيْطانُ، ثُمَّ يُحْکِمُ اللَّهُ آياتِهِ، وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَکِيمٌ، لِيَجْعَلَ ما يُلْقِی الشَّيْطانُ فِتْنَهً لِلَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ الخ. و عدد من أسانيد هذه الروايات صحيح عند بعض الفرق (2).

1- الاسراء/ 73- 75.
2- راجع: الدر المنثور ج 4 ص 194 و 366- 368 و السيره الحلبيه ج 1 ص 325- 326، و تفسير الطبرى ج 17 ص 131- 134، و فتح البارى ج 8 ص 333.

و يقولون: إنه لما سمع المسلمون فى الحبشه بالسلام و الوئام بين النبى و قريش عادت طائفه منهم إلى مكه، فوجدوا الأمر على خلاف ذلک.

و نحن نعتقد جازمين بكذب هذه الروايات، و افتعالها. و يشاركنا فى هذا الإعتقاد جمع من العلماء، فقد قال محمد بن إسحاق حين ما سئل عنها: (هذا من وضع الزنادقه). و صنف فى تفنيدها كتابا (1).

و قال القاضى عبد الجبار عن هذا الخبر: (لا أصل له، و مثل ذلک لا يكون إلا من دسائس الملحده) (2).

و قال أبو حيان: إنه نزه كتابه عن ذكر هذه القصه فيه. (3)

و أنكرها البيضاوى، طاعنا فى أسانيدها، و كذا البيهقى، و النووى و الرازى، و النسفى، و إبن العربى، و السيد المرتضى، و فى تفسير الخازن: أهل العلم و هنوا هذه القصه (4).

و قال عياض: (إن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحه، و لا رواه ثقه بسند سليم متصل، و انما أولع به، و بمثله المفسرون و المؤرخون المولعون بكل غريب، و المتلقفون من الصحف كل صحيح

1- راجع: البحر المحيط لأبى حيان ج 6 ص 381.
2- تنزيه القرآن عن المطاعن ص 243.
3- عن تفسير البحر المحيط ج 6 ص 381.
4- السيره الحلبيه ج 1 ص 11، و الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 130، و الرحله المدرسيه ص 38. و فتح البارى ج 8 ص 333، و تفسير الرازى ج 23 ص 50.

و سقیم. و صدق القاضی بکر بن العلاء المالکی، حیث قال: لقد بلی الناس ببعض أهل الأهواء و التفسیر، و تعلق بذلک الملحدون، مع ضعف نقلته و اضطراب روایاته، و انقطاع أسناده و اختلاف کلماته (1))

و نحن نؤید ما قاله:

فأولا: إن جمیع روایات هذه القصه سوی طریق سعید بن جبیر، إما ضعیف، او منقطع (2) و حدیث سعید مرسل، و المرسل عند جمهور المحدثین من قسم الضعیف، لاحتمال أن یکون قدرواه عن غیر الثقه (3).

و أیضا فان الاحتجاج بالمرسل لو سلم؛ فإنما یکون فی الفرعیات و ما نحن فیه یرتبط بالعقائد، التی تحتاج الی القطع. هذا و الملاحظ لأسانیدها یراها تنتهی: إما الی تابعی او إلی صحابی لم یولد إلا بعد هذه القضیه.

بل إن هذه الروایه یجب ردها و القطع بکذبها، و لو کان سندها متصلا، لأنها مصادمه لحکم العقل کما سنری و بهذا رد علی القسطلانی، و العسقلانی، و آخرین حیث قد حکموا بصحتها، و بان لها أصلا لکثره طرقها (4).

و ثانیا: تناقض رواياتها، و قد تقدم التناقض فیمن لم یسجد، و نزید هنا: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قرأها و هو یصلی. أو و هو جالس فی نادی قومه.

1- الشفاء ج 2 ص 126 ط العثمانیه و المواهب اللدنیه ج 1 ص 53.
2- فتح الباری ج 8 ص 333.
3- راجع: مقدمه ابن الصلاح ص 26.
4- فتح الباری ج 8 ص 333، و السیره الحلبیه ج 1 ص 326 و راجع سیره مغلطای ص 24 المواهب اللدنیه ج 1 ص 53.

حدث نفسه بها .. أو جرت على لسانه.

الشيطان أخبرهم: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قالها. أو قرأها المشركون.

تنبه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حين قراءتها.

او لم يتنبه الى المساء.

بل ذكر الكلاعى: أن الأمر لم ينكشف بهذه السرعه، بل فشا الأمر حتى بلغ الحبشه: أن المسلمين قد أمنوا فى مكه، فقدم مسلموها، و نزل نسخ ما ألقاه الشيطان، فلما بين اللّه قضاءه اشتد المشركون على المسلمين (1). إلى غير ذلک من وجوه الاختلاف.

و يقولون: لا حافظه لكذوب.

و ثالثا: إن هذه الروايه ليس فقط تنافى ما هو مقطوع به من عصمته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن الخطأ و السهو. و على الأخص فى أمر التبليغ، و هو ما قام عليه إجماع الأمه، و الادله القطعيه. و إنما هى تثبت الإرتداد له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نعوذ باللّه من الغوايه، عن طريق الحق و الهدايه.

و رابعا: ان هذه الروايه تنافى قوله تعالى: إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ (2) و قوله: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (3) إلا أن يفرض هؤلاء- و العياذ باللّه-: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لم يكن من عباد اللّه، و لا من الذين آمنوا، و لا من المتوكلين.

و ليس هذا القول إلا الكفر بعد الايمان، كما هو ظاهر للعيان.

1- راجع: الاكتفاء للكلاعى ج 1 ص 352/ 353.
2- الاسراء الآيه 65.
3- النمل الآيه 99.

و خامسا: ينص الكلاعي على ان المشركين و المسلمين قد سجدوا جميعا لما بلغ النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) آخر السوره. و أن المسلمين قد عجبوا لسجود المشركين؛ لأن المسلمين لم يكونوا قد سمعوا الذى ألقى الشيطان على ألسنه المشركين مع انه يصرح قبل ذلک بأسطر: ان الشيطان قد ألقى تلک الكلمات على لسان النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه (1)!!

فيرد سؤال: إنه كيف سمع المشركون ما ألقاه الشيطان على لسانه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و لم يسمعه المسلمون، و هم معهم، و لا بد أنهم كانوا أقرب اليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) منهم؟!.

و سادسا: إن جميع الآيات المذكوره لا يمكن ان تكون ناظره الى مناسبه هذه الروايات إطلاقا؛ فأما:

1- آيات سوره النجم؛ فإنه تعالى قد قال عن أصنام المشركين:

مناه، و اللات، و العزى: إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ، ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ. إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ، وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى (2).

فكيف رضى المشركون بأن يذم آلهتهم بهذا النحو الحاد، ثم فرحوا بقوله المزعوم ذاک و سجدوا معه؟! و كيف لم يدركوا أو كيف فسّروا هذا التناقض الظاهر فى كلامه، حتى حملوه- كما زعم- و طاروا به فى مكه من أسفلها إلى أعلاها و هم يقولون: نبى بنى عبد مناف؟!.

و النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه، لماذا لم يلتفت إلى هذا التناقض الظاهر، و بقى غافلا عنه الى الليل، حتى جاء جبرئيل فنبهه

1- المصدر السابق ص 352.
2- النجم الآيه 23.

اليه؟! فهل كان (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى غيبوبه طيله تلک الفتره؟! أم أنه كان سقيم الذهن- و العياذ باللّه- إلى هذا الحد؟!

ثم، أليست هذه الروايه تناقض تماما قوله تعالى فى سوره النجم نفسها، و بالذات فى أول السوره بعد القسم: (و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى)؟! فها هو فى نفس السوره ينطق عن الهوى، بل هو يردد ما يلقيه إليه الشيطان. على انه آيات قرآنيه إلهيه. مع ان اللّه تعالى يقول:

وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ، لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ (1) فها هو يتقول عليه و لا يفعل به شيئا (2).

و اذا كانت هذه الآيه قد نزلت بعد سوره النجم، فان ذلک لا يضر ما دامت الآيه تعطى قاعده كليه، و لا تشير إلى قضيه خارجيه خاصه.

2- و أما آيه التمنى، فهى فى سوره الحج، التى هى مدنيه بالاتفاق، و لا سيما و أنه قدورد فيها الأمر بالأذان فى الناس بالحج و الأمر بالقتال، و الأمر بالجهاد، و ذكر فيها الصد عن المسجد الحرام، و كل ذلک إنما كان بعد الهجره، و بعضه بعدها بعده سنوات. هذا بالاضافه إلى أن الضحاک، و إبن عباس، و قتاده، و إبن الزبير و غيرهم، قد ذكروا أنها مدنيه.

و إذا كانت مدنيه، فهذا يعنى: أن هذه الآيه قد نزلت بعد قصه الغرانيق بسنوات عديده، لأن قصه الغرانيق قد حصلت!! فى السنه الخامسه من البعثه، فكيف أخر اللّه تسليه و تهدئه خاطر الرسول هذه السنين الطويله؟!.

على أن معنى الايه لا ينسجم مع مفاد الروايه، فان التمنى هو

1- الحاقه الآيات 44- 46.
2- هذا إن لم نقل إن الآيه ناظره إلى صوره تعمد الكذب على اللّه، لانه عبر بالتقوّل، الذى هو تعمد القول.

تشهی حصول أمر محبوب و مرغوب فیه، فالرسول انما یتشهی و یتمنی ما یتناسب مع وظیفته کرسول، و أعظم أمنیه لإنسان کهذا هی ظهور الحق و الهدی، و طمس الباطل و کلمه الهوی فیلقی الشیطان بغوایته للناس ما یشوش هذه الامنیه، و یکون فتنه للذین فی قلوبهم مرض، کما ألقی فیما بین أمه موسی من الغوایه ما القی، فینسخ اللّه بنور الهدی غوایه الشیطان، و یظهر الحق للعقول السلیمه.

و أما لو أردنا تطبیق الآیه علی ما یقولون. فإن المراد بالتمنی یکون هو القراءه و التلاوه و هو معنی شاذ غریب، یخالف الوضع اللغوی و ظاهر اللفظ، و لا نشک فی أنه تفسیر موضوع و مفتعل لیوافق الروایه المزعومه.

أما الشعر المنقول عن حسان بن ثابت، کشاهد علی ذلک (1) فنعتقد: أنه مصنوع و منسوب إلیه للغرض نفسه، و ما أکثر ما نجده من ذلک فی کتب التاریخ:

و حتی لو قبلنا ان المراد بالتمنی هو التلاوه، فإن من الممکن ان یکون معناه ما قاله المرتضی رحمه اللّه، و هو:

انه إذا تلا النبی علی قومه الآیات حرفوها، و زادوا و نقصوا فیها، کما فعلت الیهود بالکذب علی نبیهم فإضافه ذلک الی الشیطان إنما هو لأنه هو الموسوس لهم بذلک ثم یدحض اللّه ذلک و یزیله بظهور حجته (2).

3- و أما بالنسبه لآیات سوره الإسراء التی یقولون: إنها نزلت فی هذه المناسبه، و هی قوله تعالی: وَ إِنْ کادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَیْنا

1- ففی تنزیه الانبیاء ص 107: أن حسان بن ثابت قال: علی أن من الممکن أن یکون المقصود بالتمنی هنا حب ذلک و الشوق إلیه.
2- تنزیه الانبیاء ص 107 و ص 108.

إِلَيْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَیْنا غَیْرَهُ الخ فإنها تناقض و تنافی هذه القضیه فکیف تکون قد نزلت من أجلها.

و ذلک لأن هذ الآیات تقول: إنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لم یرکن إلیهم، بل لم یقرب الی الرکون إلیهم، و أن اللّه قد ثبته، و أنه لو رکن لعوقب، و قضیه الغرانیق تقول: إنه قد زاد علی الرکون، فاستجاب، و افتری، و أدخل فی القرآن ما لیس منه.

و معنی الآیه: أن المشرکین قد أصروا علی ان یترکهم و شأنهم، و تفاوضوا معه، و مع أبی طالب کثیرا، فلربما یکون النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد فکر فی أن یمهلهم قلیلا، لعلهم یفکرون و یرجعون؛ فجاءت الآیه لتقول له: إن الصلاح فی عدم الامهال، بل فی الشده.

هذا کله. عدا عن أنهم یقولون: إن آیات سوره الاسراء قد نزلت فی ثقیف، حینما اشترطوا لاسلامهم شروطا تزید فی شرفهم، و قیل:

نزلت فی قریش حینما منعته من استلام الحجر، و قیل: نزلت فی یهود المدینه، عندما طلبوا منه ان یلحق بالشام. (1) و قد اقتصر القاضی البیضاوی علی هذه الوجوه ..

و سادسا: و أخیرا .. کیف سجد المشرکون عند نهایه السوره لقوله تعالی: فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا مع انهم یرفضون السجود للّه؟ قال تعالی: وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ: اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا: وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَ زادَهُمْ نُفُوراً

ثم کیف. لا یرتد أحد من المسلمین، او یتزلزل إیمانه حینما یعلم أن رسول اللّه قد مدح الأصنام، و جعل لها شفاعه (2)؟!.

1- راجع: السیره الحلبیه ج 1 ص 326، و الدر المنثور، و تفسیر الخازن، و سائر کتب التفسیر.
2- راجع هامش: الاکتفاء للکلاعی ج 1 ص 353/ 354.

تساؤلات حائره:

و أخيرا .. فلا نذرى كيف يمكن فهم و تعقل ما ذكرته بعض الروايات من أنه إنما حدث (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه بتلک الفقرات؟ فكيف علم قومه بذلک حتى فعلوا ما فعلوا، ثم بلغ الخبر إلى المسلمين فى الحبشه، فجاؤوا.

و كذا قولهم: إن المشركين قد حملوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و طاروا به فى مكه من اسفلها الى أعلاها، فكيف لم يتساءل النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن سر هذا التبدل العظيم فى موقف قومه؟!

و قولهم: إن هذه القضيه قد كانت بعد شهرين من الهجره الى الحبشه، نقول فيه، إنهم يقولون: إن عوده مهاجرى الحبشه قد كانت بعد شهرين أيضا. فهل وصل اليهم الخبر بالتلكس، او بالتلفون، و هل جاؤوا بالطائره، أم بالصواريخ؟!

إلا أن يكون المراد أنهم بدأوا بالتوجه نحو مكه بعد شهرين من هجرتهم، و إن كان هذا بعيدا عن ظاهر اللفظ.

و كذا قولهم: إنه لما عرض (صلى اللّه عليه و آله و سلم) السوره على جبرائيل، و قرأ الفقرتين، أنكرهما جبرائيل فقال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): قلت على اللّه ما لم يقل؟ فأنزل اللّه، وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَکَ.

نقول فيه: إن الخطاب فى الآيه للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): أن الناس كادوا يفتنونه، مع ان الروايه تنص على ان الشيطان هو الذى كاد ان يفتنه.

إلى غير ذلک من موارد الضعف و الوهن و التناقض التى يمكن تلمّسها فى هذا المجال.

حقيقه الأمر:

و الظاهر هو ان حقيقه ما جرى هو ما قيل من: ان الكفار كانوا يكثرون اللغو و اللغط حين قراءته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حتى لا يسمع أحد ما يقرأ قال تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ، لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (1) فحينما قرأ النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) سوره النجم، و انتهى الى هذا المورد، قال المشركون تلك الغرانيق العلى الخ (2).

نعم، ثم جاء القصاصون و الحاقدون، و لعل منهم مسلمه أهل الكتاب، الذين ادخلوا الكثير من اسرائيلياتهم فى الاسلام- جاؤا- و نسجوا حولها ما يتلاءم مع مصالحهم و أهدافهم الشريره، من الطعن بعصمته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، ثم التشكيک بكل ما فى القرآن، بحيث يتهيأ الجو لتطرق احتمالات من هذا النوع فى كل سوره و آيه، ثم التدليل على مدى جهل النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و عدم إدراكه حتى المتناقضات الواضحه.

ثم خضوعه لسلطان الشيطان، و عدم قدرته على تمييز ما هو منه عما هو من غيره.

و لكننا نجدهم يقولون فى مقابل ذلک، كما تقدم: ان الشيطان يفر من حس عمر (3) أو لم يلق الشيطان عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه (4)، أو ما

1- فصلت الآيه 26.
2- السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 128 و تنزيه الانبياء ص 107 و ليراجع هامش الاكتفاء للكلاعى ج 1 ص 354 عن السيهلى، و قد نقل الكلبى فى كتاب الاصنام: أن قريشا كانت تقول هذه الكلمات فى مدحها لاصنامها حول الكعبه- كما نقل.
3- الرياض النضره ج 2 ص 301.
4- عمده القارى ء ج 16 ص 196 و راجع تاريخ عمر ص 62.

سلک عمر فجا إلا سلک الشیطان فجا آخر (1) و لعلهم ارادوا: ان یقولوا:

ان للنبی شیطانا یعتریه کما کان لابی بکر ... و قد تقدم الحدیث عن کل ذلک فی بحوث سابقه.

ثم جاء المستشرقون الحاقدون، أعداء الاسلام، فحاولوا الإستفاده من هذه الاباطیل و الاساطیر للطعن فی نبینا الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) (2).

فأحبط اللّه سعیهم، ورد کیدهم فی نحورهم ... فان الحق کالصبح أبلج، و سیره نبینا فی النبل و الصفاء و الطهر من کل عیب و شین کذکاء فی کبد السماء تتوهج.

1- صحیح مسلم ج 7 ص 115 و فی تاریخ عمر ص 35 ما یقرب من ذلک و کذلک ص 62 و الغدیر ج 8 ص 94 و مسند احمد ج 1 ص 171 و 182 و 187 و صحیح البخاری ج 2 ص 44 و 188 و عمده القاری ء ج 16 ص 196.
2- راجع: تاریخ الشعوب الاسلامیه ص 34 لبروکلمان و کتاب الاسلام ص 35/ 36 لألفرید هیوم.

ص: 150

الفصل الثالث: حتی الشعب

اشاره

تناقضات فی تاریخ اسلام حمزه علیه السلام:

و یقولون: إن إسلام حمزه بن عبد المطلب علیه السلام کان فی الثانیه من البعثه. ثم یقولون: إنه اسلم بعد دخوله (صلی اللّه علیه و آله و سلم) دار الأرقم. و هذا متناقض؛ لانه إنما دخل دار الأرقم فی أواخر السنه الثالثه، کما یدّعون.

و تناقض آخر: انهم یذکرون انه أسلم قبل عمر بثلاثه ایام، مع أنهم یذکرون ان عمر اسلم فی السنه السادسه بعد خروج النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من دار الأرقم.

و هذا متناقض؛ لأنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إنما دخلها فی أواخر السنه الثالثه من البعثه و لمده شهر واحد فقط کما یقال .. و سیأتی أن التحقیق هو: أن إسلام عمر کان بعد إسلام حمزه بسنوات.

اسلام حمزه (رض)

و نلاحظ: أن ابن هشام و غیره یذکرون اسلام حمزه (رحمه اللّه) بعد الهجره إلی الحبشه، أی فی حوالی السنه السادسه للبعثه، و نحن نرجع ذلک؛ لأنه حین اسلم- کما یقول المقدسی- (عز به النبی (صلی

اللّه علیه و آله و سلم) و اهل الإسلام، فشق ذلک علی المشرکین، فعدلوا عن المنابذه الی المعاتبه، و اقبلوا یرغبونه فی المال و الأنعام، و یعرضون علیه الأزواج (1)).

و عروضهم هذه إنما کانت بعد الهجره إلی الحبشه، کما یفهم من سیره ابن هشام. کما أنه إنما أسلم بعد الإعلان بالدعوه، و بعد مفاوضات قریش مع أبی طالب و عروضها علیه، و بعد أن عدلوا عن ذلک إلی العداوه و الأذی.

و علی کل حال، فقد کان إسلام حمزه تطورا جدیدا لم یکن قد دخل فی حسابات قریش، حیث قلب الموازین رأسا علی عقب، وفتّ فی عضد قریش، و زاد من مخاوفها، و کبح من جماحها.

فقد مر أبو جهل بالرسول عند الصفا، فآذاه و شتمه، و نال منه بعض ما یکره من العیب لدینه، و التضعیف لأمره، فلم یکلمه الرسول صلی اللّه علیه و آله.

و کان حمزه صاحب صید و قنص، و کان إذا رجع بدأ بالبیت، و طاف به، و سلم علی من فیه، و رجع إلی بیته.

و فی هذه المره کان حمزه راجعا من صیده، فأخبرته إحدی النساء بما کان من أبی جهل تجاه الرسول الأعظم صلی اللّه علیه و آله و سلم، فاحتمل حمزه الغضب، و دخل المسجد، فرأی أبا جهل جالسا مع القوم، فأقبل نحوه، حتی إذا قام علی رأسه رفع القوس، فضربه بها ضربه شجه بها شجه منکره. ثم قال: أتشتمه و أنا علی دینه، أقول ما یقول؟ فردّ علی ذلک إن استطعت و کان ذلک بعد أن تضرع إلیه أبو جهل، و أخذ بثوبه،

1- البدء و التاریخ ج 4 ص 148/ 149، و هو الظاهر من سیره ابن هشام، حیث ذکر هذه العروض بعد ذکره لاسلام حمزه (علیه السلام).

فلم يقبل منه.

فقام رجال من بنى مخزوم، لينصروا أبا جهل، فقالوا لحمزه: ما نراک إلا قد صبأت؟ فقال حمزه: و ما يمنعنى؟ و قد استبان لى منه أنه رسول اللّه، و الذى يقول حق؟! فو اللّه لا أنزع، فامنعونى إن كنتم صادقين.

فقال أبو جهل: دعوا أبا عماره، فإنى و اللّه لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا.

يقول المقدسى: (فلما أسلم حمزه عزّ به الدين و النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (1))، و سرّ رسول اللّه بإسلامه كثيرا.

و علمت قريش: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد عز و امتنع، فكفوا عما كانوا ينالونه منه. و قال حمزه للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): فأظهر يابن أخى دينک، فو اللّه ما أحب أن لى ما أظلته السماء، و أنى على دين الأول (2).

و كان حمزه أعز فتى فى قريش، و أشدهم شكيمه (3).

إسلام حمزه كان عن وعى لا حميه:

و الظاهر، بل الصريح من كلام حمزه رحمه اللّه، و لا سيما قوله الأخير: (و ما يمنعنى، و قد استبان لى منه: أنه رسول اللّه، و الذى يقول حق) أنّه لم يكن فى إسلامه منطلقا من عاطفته التى أثيرت و حسب، و إنما

1- البدء و التاريخ ج 5 ص 98.
2- راجع: تاريخ الامم و الملوک ج 2 ص 72- 73 و السيره النبويه لابن هشام ج 1 ص 312.
3- راجع: تاريخ الامم و الملوک ج 2 ص 72.

سبقت ذلک قناعه کامله، کوّنها مما شاهده عن قرب من مواقف و سلوک، و سمعه من أقوال النبی الأعظم صلی اللّه علیه و آله و سلم.

و قد یستفاد من قوله: أتشتمه و أنا علی دینه أن إسلامه کان متقدما علی ذلک الوقت، و لکنه کان یتکتم به مراعاه للظروف، و حفاظا علی الإسلام و المسلمین، الذین کانوا أضعف من أن یتمکنوا من مواجهه قریش و جبروتها. و لربما کان بعضهم بحاجه إلی المزید من التربیه النفسیه الخاصه، لیتمکن من مواجهه تلک الظروف القاسیه مع المشرکین.

سرّ جبن أبی جهل فی مواجهه حمزه:

و لا بدّ من التذکیر هنا: بأن أبا جهل، عظیم المشرکین و جبارهم مع أنه کان بین أهله و عشیرته، و مع أن عشیرته قد أعلنت عن استعدادها لنصرته، فإنه کان أجبن و أذل من أن یقف فی وجه أسد اللّه و أسد رسوله، و ما ذلک إلا لأنه کان من جهه: یعلم فتوّه حمزه و عزته، و شده شکیمته و بطولته، و رأی مدی تصمیمه و إصراره، و عرف مقدار استعداده للتضحیه و الفداء فی سبیل دینه، و عقیدته.

و من الجهه الأخری: فإن أبا جهل إنما کان یحارب النبی صلی اللّه علیه و آله و یناقضه، حبا بالحیاه، و من أجل الدنیا، فهو إذن لا یرید الموت إطلاقا، بل هو یهرب منه، و یعده خساره له، ما بعدها خساره. أما حمزه رحمه اللّه، فکان یعتبر الموت فی سبیل هذا الدین نصرا و فوزا، تماما بالمقدار الذی یعتبره أبو جهل، و من هم علی شاکلته خسرانا و ضیاعا فلماذا إذن یخشی الموت و یخافه؟، بل لماذا لا یکون الموت عنده أحلی من العسل، و ألذ من الشهد؟.

و من جهه ثالثه: فإن أبا جهل لم یکن علی استعداد لأن یحارب بنی هاشم فی تلک الفتره، التی کان له فیهم أنصار کثیرون، لأن حربه لهم لسوف تؤدی إلی أن یخسر هؤلاء الذین یلتقی معهم فکریا و عقیدیا، لأنهم

بحكم المنطق القبلى الذى يهيمن على مواقفهم و تصرفاتهم لن يتركوا ابن أخيهم، حتى و لو كان على غير دينهم، (و قد وعدوا أبا طالب باستثناء أبى لهب أن يمنعوا محمدا ممن يريد به سوآ كما تقدم). بل إن تحرک أبى جهل فى ظروف كهذه لربما يؤدى إلى ترسيخ أمر محمد، و إلى دخول الكثيرين من بنى هاشم فى دينه، حميه و انتصارا. و هذا ما لا يريده أبو جهل، و لا يرغب فيه.

إذن، فقد كانت جميع الظروف تدفعه إلى الاستسلام للذل و الهوان فى مقابل أسد اللّه و أسد رسوله.

و الخلاصه: أن حب أبى جهل للحياه، و جبنه، ثم ما كان يراه من الصلاح فى عدم التصعيد فى مناهضه محمد و بنى هاشم. قد جعله فى موقف الذليل المهان.

و جعل اللّه كلمه الباطل هى السفلى، و كلمه الحق هى العليا.

ملاحظه هامه:

و الملاحظ هنا: أنه بعد إسلام حمزه بن عبد المطلب تتراجع قريش، و تليّن من موقفها، و تدخل فى مفاوضات معه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و تعطيه بعض ما يريد، لأنها رأت أن المسلمين يزيد عددهم و يكثر، فكلّمه عتبه، فأبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كل عروضهم (1).

عبس و تولى:

و يذكر المؤرخون بعد قضيه الغرانيق، القضيه التى نزلت لأجلها سوره عبس و تولى، المكيه، و التى نزلت بعد سوره النجم. و ملخص هذه

1- راجع: كنز العمال: ج 14 ص 48 عن البيهقى فى الدلائل، و ابن عساكر.

القضيه:

أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يتكلم مع بعض زعماء قريش، ذوى الجاه و المال، فجاءه عبد اللّه بن أم مكتوم- و كان أعمى- فجعل يستقرى ء النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) آيه من القرآن، قال: يا رسول اللّه، علمنى مما علمک اللّه. فاعرض عنه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و عبس فى وجهه، و تولى، و كره كلامه، و أقبل على أولئک الذين كان (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد طمع فى إسلامهم، فأنزل اللّه تعالى:

عَبَسَ وَ تَوَلَّى. أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى. وَ ما يُدْرِيکَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى، وَ ما عَلَيْکَ أَلَّا يَزَّكَّى. وَ أَمَّا مَنْ جاءَکَ يَسْعى. وَ هُوَ يَخْشى. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (1).

و فى روايه: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كره مجى ء، ابن أم مكتوم و قال فى نفسه: يقول هذا القرشى: إنما اتباعه العميان و السفله، و العبيد، فعبس (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلخ .. (و كأن ذلک الزعيم لم يكن يعلم بذلک !! و كأن قريشا لم تكن قد صرحت بذلک و أعلنته !!).

و عن الحكم: ما رؤى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بعد هذه الآيه متصديا لغنى، و لا معرضا عن فقير.

و عن ابن زيد: لو أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كتم شيئا من الوحى، كتم هذا عن نفسه (2).

1- سوره عبس/ 1- 10.
2- راجع فى هذه الروايات: مجمع البيان ج 10 ص 437 و الميزان عن المجمع و تفسير ابن كثير ج 4 ص 470 عن الترمذى، و ابى يعلى، و حياه الصحابه ج 2 ص 520 عنه، و تفسير الطبرى ج 30 ص 33/ 34، و الدر المنثور ج 6 ص 314/ 315. و أى تفسير قرآن آخر لغير الشيعه؛ فانک تجد فيه الروايات المختلفه التى تصب فى هذا الاتجاه، فراجع الأخير على سبيل المثال.

فابن زيد يؤكد بكلامه هذا على مدى قبح هذا الأمر، و على مدى صراحه الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، حتى إنه لم يكتم هذا الأمر، رغم شده قبحه و شناعته !.

لقد أجمع المفسرون، و أهل الحديث، باستثناء شيعه أهل البيت عليهم السلام- على أصل القضيه المشار إليها.

و نحن نرى: أنها قضيه مفتعله، لا يمكن أن تصح. و ذلک.

أولا: لضعف أسانيدها، لأنها تنتهى: إما إلى عائشه، و أنس، و ابن عباس، من الصحابه، و هؤلاء لم يدرک أحد منهم هذه القضيه أصلا، لأنه إما كان حينها طفلا، أو لم يكن ولد (1).

أو الى أبى مالک (2)، و الحكم، و ابن زيد، و الضحاک، و مجاهد، و قتاده، و هؤلاء جميعا من التابعين فالروايه مقطوعه، لا تقوم بها حجه.

و ثانيا: تناقض نصوصها (3) حتى ما ورد منها عن راو واحد، فعن عائشه. فى روايه: إنه كان عنده رجل من عظماء المشركين، و فى أخرى عنها: عتبه و شيبه، و فى ثالثه عنها: فى مجلس فيه ناس من وجوه قريش، منهم أبو جهل، و عتبه بن ربيعه.

و فى روايه عن ابن عباس: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يناجى عتبه، و عمه العباس، و أبا جهل. و فى التفسير المنسوب إلى ابن عباس: إنهم العباس، و أميه بن خلف، و صفوان بن أميه.

و عن قتاده: أميه بن خلف. و فى أخرى عنه: أبى بن خلف.

1- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 158.
2- الظاهر أن المراد به أبا مالک الاشجعى، المشهور بالروايه، و تفسير القرآن، و هو تابعى.
3- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 158/ 159.

و عن مجاهد: صنديد من صناديد قريش، و فى أخرى عنه: عتبه بن ربيعه، و أميه بن خلف.

هذا، عدا عن تناقض الروايات مع بعضها البعض فى ذلک، و فى نقل ما جرى، و فى نص كلام الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و نص كلام ابن أم مكتوم. و نحن نكتفى بهذا القدر، و من أراد المزيد فعليه بالمراجعه و المقارنه.

و ثالثا: إن ظاهر الآيات المدعى نزولها فى هذه المناسبه هو أنه كان من عاده هذا الشخص و طبعه، و سجيته، و خلقه: أن يتصدى للغنى، و يهتم به و لو كان كافرا و يتلهى عن الفقير و لا يبالى به أن يتزكى، و لو كان مسلما. و كلنا يعلم: أن هذا لم يكن من صفات و سجايا نبينا الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم، و لا من طبعه، و خلقه.

كما أن العبوس فى وجه الفقير، و الإعراض عنه، لم يكن من صفاته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حتى مع أعدائه، فكيف بالمؤمنين من أصحابه و أودّائه (1). و هو الذى وصفه اللّه تعالى بأنه بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (2).

بل لقد كان من عادته صلى اللّه عليه و آله مجالسه الفقراء، و الاهتمام بهم، حتى ساء ذلک أهل الشرف و الجاه، و شق عليهم. و طالبه الملأ من قريش بأن يبعد هؤلاء عنه ليتبعوه، و أشار عليه عمر بطردهم، فنزل قوله تعالى: وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (3).

1- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 158، و الميزان ج 20 ص 203، و تنزيه الانبياء ص 119 و مجمع البيان ج 1 ص 437.
2- سوره التوبه الآيه/ 128.
3- راجع: الدر المنثور ج 3 ص 12/ 13.

و يظهر: أن الآيه قد نزلت قبل الهجره إلى الحبشه لوجود ابن مسعود فى الروايه. أو حين بلوغهم أمر الهدنه، و رجوعهم إلى مكه.

و لكن يبقى إشكال أن ذكر عمر فى هذا المقام فى غير محلّه، لأنه لم يكن قد أسلم حينئذ لأنه إنما أسلم قبل الهجره إلى المدينه بيسير، كما سنرى.

كما أن اللّه تعالى قد وصف نبيه فى سوره القلم التى نزلت قبل سوره عبس و تولّى بأنه على خلق عظيم، فإذا كان كذلک، فكيف يصدر عنه هذا الأمر المنافى للأخلاق، و الموجب للعتاب و اللوم منه تعالى لنبيه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فهل كان اللّه- و العياذ باللّه- جاهلا بحقيقه أخلاق نبيه؟ أم أنه يعلم بذلک، لكنه قال هذا لحكمه و لمصلحه اقتضت ذلک؟ نعوذ باللّه من الغوايه، عن طريق الحق و الهدايه.

و رابعا: إن اللّه تعالى يقول فى الآيات: وَ ما عَلَيْکَ أَلَّا يَزَّكَّى، و هذا لا يناسب أن يخاطب به النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، لأنه مبعوث لدعوه الناس و تزكيتهم. و كيف لا يكون ذلک عليه، مع أنه هو مهمته الأولى و الأخيره، و لا شى ء غيره. ألم يقل اللّه تعالى: هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ؟ (1) فكيف يغريه بترک الحرص على تزكيه قومه (2).

خامسا: لقد نزلت آيه الانذار: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ* وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (3) قبل سوره عبس بسنتين فهل نسى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): أنه مأمور بخفض الجناح لمن

1- سوره البقره الآيه/ 129.
2- تنزيه الانبياء ص 119.
3- الشعراء/ 214- 215.

اتبعه؟ و إذا كان نسى، فما الذى يؤمننا من أن لا يكون قد نسى غير ذلک أيضا؟، و إذا لم يكن قد نسى، فلماذا يتعمد أن يعصى هذا الأمر الصريح؟! (1).

سادسا: إنه ليس فى الآيه ما يدل على أنها خطاب للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، بل اللّه سبحانه يخبر عن رجل ما أنه: عَبَسَ وَ تَوَلّى* أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى ثم التفت اللّه تعالى بالخطاب الى ذلک العابس نفسه، و خاطبه بقوله: وَ ما يُدْرِيکَ لَعَلَّهُ يَزَّكّى الخ ..

سابعا: لقد ذكر العلامه الطباطبائى: أن الملاک فى التفضيل و عدمه ليس هو الغنى و الفقر، و انما هو الاعمال الصالحه، و السجايا الحسنه، و الفضائل الرفيعه. و هذا حكم عقلى و جاء به الدين الحنيف، فكيف جازله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن يخالف ذلک، و يميز الكافر لما له من و جاهه على المؤمن؟ (2).

و القول: بأنه إنما فعل ذلک لأنه يرجو إسلامه، و على أمل أن يتقوى به الدين، و هذا أمر حسن، لأنه فى طريق الدين، و فى سبيله.

لا يصح، لأنه يخالف صريح الآيات التى تنص على أن الذم له كان لأجل أنه يتصدى لذاک الغنى لغناه، و يتلهى عن الفقير لفقره.

و لو صح هذا، فقد كان اللازم أن يفيض القرآن فى مدحه و اطرائه على غيرته لدينه، و تحمسه لرسالته؛ فلماذا هذا الذم و التقريع إذن.

و نشير أخيرا: إلى أن البعض قد ذكر: أنه يمكن القول بأن الآيه خطاب كلى مفادها: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان إذا رأى

1- الميزان ج 20 ص 303.
2- راجع: الميزان ج 20 ص 304.

فقيرا تأذى و أعرض عنه.

و الجواب:

أولا: إن هذا يخالف القصه التى ذكروها من كونها قضيه فى واقعه واحده لم تتكرر.

و ثانيا: إذا كان المقصود هو الإعراض عن مطلق الفقير؛ فلماذا جاء التنصيص على الأعمى؟!.

و ثالثا: هل صحيح أنه قد كان من عاده النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ذلک؟!!.

المذنب رجل آخر:

فيتضح مما تقدم: أن المقصود بالآيات شخص آخر غير النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و يؤيد ذلک:

ما روى عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، انه قال: كان رسول اللّه إذا رأى عبد اللّه بن أم مكتوم قال: مرحبا، مرحبا، و اللّه لا يعاتبنى اللّه فيک أبدا. و كان يصنع به من اللطف، حتى يكف عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مما كان يفعل به (1).

فهذه الروايه تشير إلى أن اللّه تعالى لم يعاتب نبيه فى شأن إبن أم مكتوم، بل فيها تعريض بذلک الرجل الذى ارتكب فى حق ابن أم مكتوم تلک المخالفه، إن لم نقل: إنه يستفاد من الروايه نفى قاطع حتى لإمكان صدور مثل ذلک عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، بحيث يستحق العتاب و التوبيخ؛ إذ لا معنى لهذا النفى لو كان اللّه تعالى قد عاتبه فعلا.

1- تفسير البرهان ج 4 ص 428، و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 509، و مجمع البيان ج 10 ص 437.

هذا و لكن الأيدى غير الأمينه قد حرفت هذه الكلمه؛ فادعت أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يقول: مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى.

فلتراجع كتب التفسير، كالدر المنثور و غيره.

و الصحيح هو ما تقدم.

سؤال و جوابه:

و لعلک تقول: إنه إذا كان المقصود بالآيات شخصا آخر؛ فما معنى قوله تعالى: (فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) و قوله: (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) فان ظاهره: أن هذا التصدى و التلهى من قبل من يهمه هذا الدين؛ فيتصدى لهذا، و يتلهى عن ذاک.

فالجواب: انه ليس فى الآيات ما يدل على أن التصدى كان لأجل الدعوه إلى اللّه او لغيرها. فلعل التصدى كان لأهداف أخرى دنيويه، ككسب الصداقه، او الجاه، او نحو ذلک. و قوله تعالى: (لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) ليس فيه أنه يزكى على يد المخاطب، بل هو أعم من ذلک، فيشمل التزكى على يد غيره ممن هم فى المجلس، كالنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أو غيره.

ثم لنفرض: أنه كان التصدى لأجل الدعوه، فإن ذلک ليس محصورا به (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؛ فهم يقولون: إن غيره كان يتصدى لذلک أيضا، و أسلم البعض على يديه، لو صح ذلک!.

الروايه الصحيحه:

و بعد ما تقدم، فإن الظاهر هو أن الروايه الصحيحه، هى ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): أنها نزلت فى رجل من بنى أميه كان عند

النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)؛ فجاءه ابن أم مکتوم. فلما جاءه تقذر منه، و عبس فی وجهه، و جمع نفسه، و أعرض بوجهه عنه، فحکی اللّه سبحانه ذلک عنه، و انکره علیه (1).

و یلاحظ: أن الخطاب فی الآیات لم یوجه اولا الی ذلک الرجل؛ بل تکلم اللّه سبحانه عنه بصوره الحکایه عن الغائب: إنه عبس، و تولی، أن جاءه الأعمی. ثم التفت الیه بالخطاب، فقال له مباشره: و ما یدریک.

و یمکن أن یکون الخطاب فی الآیات اولا للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، من باب: إیاک أعنی و اسمعی یا جاره. و الأول أقرب، و ألطف ذوقا.

إتهام عثمان:

و بعض الروایات تتهم عثمان بهذه القضیه، و انه هو الذی جری له ذلک مع إبن أم مکتوم (2).

و لکننا نشک فی هذا الامر، لأن عثمان قد هاجر إلی الحبشه مع من هاجر- فمن أین جاء عثمان إلی مکه، و جری منه ما جری؟!.

إلا أن یقال: إنهم یقولون: إن أکثر من ثلاثین رجلا قد عادوا إلی مکه بعد شهرین من هجرتهم کما تقدم، و کان عثمان منهم ثم عاد إلی الحبشه (3).

1- مجمع البیان ج 10 ص 437 و تفسیر البرهان ج 4 ص 428، و تفسیر نور الثقلین ج 5 ص 509.
2- تفسیر القمی ج 2 ص 405 و تفسیر البرهان ج 4 ص 427، و تفسیر نور الثقلین ج 5 ص 508.
3- سیره ابن هشام ج 2 ص 3.

و على كل حال، فإن أمر اتهام عثمان (1) او غيره من بني أميه، لأهون بكثير من اتهام النبى المعصوم، الذى لا يمكن أن يصدر منه أمر كهذا على الاطلاق. و إن كان يهون على البعض إتهام النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بها او بغيرها، شريطه أن تبقى ساحه قدس غيره منزهه و بريئه !!.

تاريخ هذه القضيه:

و نسجل أخيرا: تحفظا على ذكر المؤرخين لروايه ابن مكتوم و نزول سوره عبس، بعد قضيه الغرانيق؛ فإن الظاهر هو أن هذه القضيه قد حصلت قبل الهجره الى الحبشه لأن عثمان كان قد هاجر الى الحبشه قبل قضيه الغرانيق بشهرين كما يقولون.

إلا أن يكون عثمان قد عاد الى مكه مع من عاد بعد ان سمعوا بقضيه الغرانيق كما يدّعون.

أعداء الإسلام و هذه القضيه:

و مما تجدر الإشاره إليه هنا: أن بعض المسيحيين الحاقدين قد حاول ان يتخذ من قضيه عبس و تولى وسيله للطعن فى قدسيه نبينا الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (2). و لكن اللّه يأبى إلا أن يتم نوره و لو كره

1- و نحن نجد فى عثمان بعض الصفات التى تنسجم مع مدلول الآيه، كما يشهد له قضيته مع عمار حين بناء المسجد فى المدينه، حين ردد عمار ما ارتجز به على (عليه السلام) تعريضا بعثمان: لا يستوى من يعمر المساجدايدأب قائما و قاعدا و من يرى عن التراب حائدا و ستأتى هذه القضيه إن شاء اللّه تعالى.
2- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 158.

الكافرون. فها نحن قد اثبتنا: أنها اكاذيب و أباطيل ما انزل اللّه بها من سلطان.

أكاذيب أخرى مشابهه:

و بالمناسبه فقد رووا: أن الاقرع بن حابس، و عيينه بن حصن، جاآ الى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فوجداه قاعدا مع عمار، و صهيب، و بلال و خباب، و غيرهم من ضعفاء المؤمنين، فحقروهم، فخلوا بالنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فقالوا: إن وفود العرب تأتيک؛ فنستحى أن يرانا العرب قعودا مع هذه الاعبد؛ فإذا جئناک فأقمهم عنا، قال: نعم.

قالوا: فاكتب لنا عليک كتابا؛ فدعا بالصحيفه، و دعا عليا ليكتب، فنزل قوله تعالى: وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْکَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَىْ ءٍ الخ .. (1) فرمى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالصحيفه، و دعاهم و جلس معهم، و صار دأبه هذا: أن يجلس معهم، فإذا أراد ان يقوم قام و تركهم فأنزل اللّه تعالى: وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَيْناکَ عَنْهُمْ (2). فكان يجلس معهم إلى أن يقوموا عنه و فى بعض الروايات:

إنهم يقصدون أبا ذر و سلمان (3).

1- الانعام الآيه 52.
2- الكهف الآيه 28.
3- حليه الاولياء ج 1 ص 146- 345، و راجع مجمع البيان ج 4 ص 305/ 306. و البدايه و النهايه ج 6 ص 56 و عن كنز العمال ج 1 ص 245 و ج 7 ص 46 عن ابن أبى شيبه و ابن عساكر. و الدر المنثور فى تفسير الآيات المشار إليها. عن العديد من المصادر.

و يرد هذه الاباطيل جميع ما تقدم حين الكلام عن قصه ابن أم مكتوم، و لذلک فلا حاجه الى الاعاده.

و أيضا فقد استفاض: أن سوره الانعام قد نزلت دفعه واحده فى مكه (1)، فما معنى أن تكون هذه الايات قد نزلت بهذه المناسبه فى المدينه.

و القول بأن نزولها كذلک لا ينافى كون هذه الآيات نزلت بهذه المناسبه.

مرفوض لأنها قد نزلت دفعه واحده قبل الهجره، بعد إسلام الأنصار، لأنها نزلت و أسماء بنت يزيد الانصاريه آخذه بزمام ناقه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (2) و الآيه نزلت فى المدينه على الفرض.

على أن قصه عبس و تولى وحدها كافيه لأن يرتدع النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن أمر كهذا- و لا سيما إذا كانت تؤنب غيره (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، ممن هو ليس بمعصوم على فعل كهذا.

ثم ان سلمان إنما أسلم فى المدينه، كما أن ابا ذر قد فارق النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فور إسلامه، و أقام بعسفان على طريق قوافل مكه، كما قدمنا.

و الظاهر هو انهم أصروا على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن يبعد الفقراء عنه، حتى توسطوا لدى أبى طالب فى ذلک، و أشار عليه عمر بقبول ذلک كما جاء فى بعض الرويات، فجاءت هذه الآيات فى ضمن سوره الانعام بمثابه رد عليهم، و تفنيد لرأيهم. و ليس فى الآيات ما يدل على قبوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بذلک، كما تدعيه الروايات

1- راجع الميزان ج 7 ص 110.
2- الدر المنثور ج 3 ص 22.

المزعومه آنفا.

و لم نتوسع فی بیان وجوه الاختلاف بین الروایات، و نقاط الضعف فیها، و الرد علی هذه المزاعم، اعتمادا علی ما ذکرناه فی قضیه ابن أم مکتوم المتقدمه.

بل إن ظاهر الآیه الأولی: أن طرد الذین یدعون ربهم إلخ .. قد کان عقابا لهم علی أمر صدر منهم، و ذلک بقرینه قوله تعالی فیها: (ما علیک من حسابهم من شی ء). فکأن اللّه سبحانه قد رفع التکلیف عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بمؤاخذتهم، رفقا منه تعالی بهم، و عطفا علیهم.

قضیه إسلام عمر بن الخطاب:

و یقولون: إن عمر بن الخطاب قد أسلم فی السنه السادسه من البعثه، بعد إسلام حمزه بثلاثه أیام؛ حیث خرج متوشحا سیفه، یرید رسول اللّه، و رهطا من أصحابه، و هم قریب من أربعین رجلا فی دار الارقم عند الصفا، فیهم أبو بکر، و حمزه، و علی، و غیرهم ممن لم یخرج إلی الحبشه، فالتقی عمر بنعیم بن عبد اللّه، فسأله عن أمره، فأخبره: أنه یرید أن یقتل محمدا.

فذکر له نعیم: أنه إن قتله لا ینجو من بنی عبد مناف، و أن صهره و أخته قد أسلما، فرجع عمر إلیهما، و عندهما، خباب بن الأرت یعلمهما سوره طه، فلما سمعوا حسه، اختبأ خباب فی مخدع، و خبأت فاطمه بنت الخطاب الصحیفه تحت فخذها.

فدخل عمر، و بعد کلام بطش عمر بختنه، و شج أخته، فأخبرته حینئذ أنهما قد أسلما؛ فلیصنع ما بدا له. فندم عمر، و ارعوی لما رأی الدم بأخته، و طلب الصحیفه فلم تعطه إیاها حتی حلف بآلهته لیردنها إلیها، فقالت له: إنک نجس علی شرکک، و لا تغتسل من الجنابه، و هذا

لا يمسه إلا المطهرون.

فقام عمر، فاغتسل (توضأ)، ثم قرأ من الصحيفه صدرا و كان كاتبا، فاستحسنه، و ظهر له خباب، و أخبره: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد دعاله بأن يعز الإسلام به أو بأبى جهل. فطلب منه عمر: أن يدله على الرسول ليسلم؛ ففعل، فذهب إليهم، و ضرب الباب، فنظر رجل منهم من خلل الباب؛ فرآه متوشحا السيف، فرجع إلى الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فزعا. فأخبره.

فقال حمزه: فأذن له، فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له، و إن كان يريد شرا، قتلناه بسيفه. فأذن له، و نهض إليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حتى لقيه فى الحجره، فأخذ بمجمع رداءه، ثم جبذه جبذه شديده، و تهدده، فأخبره عمر: أنه جاء ليسلم، فكبر (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و كبر المسلمون تكبيره سمعها من فى المسجد.

ثم طلب عمر من الرسول: أن يخرج و يعلن أمره، قال عمر:

فأخرجناه فى صفين: حمزه فى أحدهما، و أنا فى الآخر، له كديد (أى غبار) ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد. قال: فنظرت إلى قريش فأصابتهم كآبه لم تصبهم مثلها. فسماه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): ب (الفاروق) يومئذ.

و فى روايه: أن قريشا اجتمعت و تشاورت فيمن يقتل محمدا، فقال عمر: أنا لها. فقالوا: أنت لها يا عمر، فخرج متقلدا السيف، فالتقى بسعد بن أبى وقاص، و جرت بينهما مشاده، حتى سلّ كل منهما سيفه؛ فأخبره سعد بخبر أخته الخ ..

و فى ثالثه: أنهم خرجوا و عمر أمامهم، ينادى: لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه، فلما سألته قريش عما وراءه تهددهم بأنه إن تحرك منهم أحد ليمكنن سيفه منه، ثم تقدم أمام رسول اللّه، يطوف الرسول، و يحميه

عمر، ثم صلى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الظهر معلنا.

و فى رابعه: أنه لما أسلم- و كان المسلمون يضربون- جاء الى خاله أبى جهل- كما عند ابن هشام، و قال ابن الجوزى: هو غلط بل خاله العاص بن هاشم- فأعلمه بإسلامه، فأجاف الباب، فذهب الى آخر من كبراء قريش فكذلک. فقال فى نفسه: ما هذا بشى ء الناس يضربون، و أنا لا يضربنى أحد؛ فاستدل على أنقل رجل للحديث، فدلوه، فأعلمه بإسلامه؛ فنادى فى قريش بذلک، فقاموا اليه يضربونه؛ فأجاره خاله، فانكشف الناس عنه.

و لكنه عاد فرد عليه جواره؛ لأن الناس يضربون و لا يضرب. قال:

فلم يزل يضرب، حتى أظهر اللّه الاسلام.

و فى خامسه: أنه ذهب ليطوف، فقال له أبو جهل: زعم فلان أنک صبأت؟ فتشهد الشهادتين، فوثب عليه المشركون. فوثب عمر على عتبه بن ربيعه، و برک عليه، و جعل يضربه، و جعل إصبعيه فى عينيه، فجعل عتبه يصيح، فتنحى الناس عنه، فقام عمر، فجعل لا يدنو منه إلا أحد شريف، و جعل حمزه يكشف الناس عنه.

و فى سادسه: أنه كان صاحب خمر فى الجاهليه؛ فقصد ليله المجلس المألوف له، فلم يجد فيه أحدا، فطلب فلانا الخمار، فكذلک، فذهب ليطوف فوجد محمدا يصلى، فأحب الإستماع إليه، فدخل تحت ثياب الكعبه و سمع، فدخل الإسلام فى قلبه فلما انصرف الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و ذهب الى داره التى يسكنها المعروفه بالرقطاء لحقه فى الطريق، و أسلم. ثم انصرف الى بيته.

و فى العمده: قيل أسلم عمر بعد ثلاثه و ثلاثين رجلا و ست نسوه، و قال ابن المسيب بعد أربعين و عشر نسوه، و قال عبد اللّه بن ثعلبه: بعد خمس و أربعين و إحدى عشره إمرأه. و قيل: أسلم تمام الاربعين؛ فنزل

قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِیُّ حَسْبُکَ اللَّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ (1).

وثمه أوسمه أخرى:

اشاره

و يقولون: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان قد دعا قبل إسلام عمر، فقال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب. و فى نص آخر: اللهم أيد (أو أعز) الإسلام بأبى الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، و كان دعاؤه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)) يوم الأربعاء، و إسلام عمر يوم الخميس.

و عن ابن عمر: انه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين اليک: بأبى جهل، أو بعمر بن الخطاب، قال:

و كان أحبهما اليه عمر.

و قالوا: إن اسلام عمر كان فتحا، و أن هجرته نصرا، و أن أمارته

1- راجع فى مجموع ما تقدم: الاوائل للعسكرى ج 1 ص 221/ 222، و الثقات لابن حبان ص 72- 75 و البدء و التاريخ ج 5 ص 88- 90 و مجمع الزوائد ج 9 ص 61 عن البزار و الطبرانى، و تاريخ الطبرى حوادث سنه 23، و طبقات ابن سعد ج 3 ص 191، و عمده القارى للعينى ج 8 ص 68، و سيره ابن هشام ج 1 ص 366- 374، و تاريخ الخميس ج 1 ص 295- 297 و تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص 23- 30، و البدايه و النهايه ج 3 ص 31 و 72- 80، و السيره الحلبيه ج 1 ص 329- 335، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 132- 137 و مصنف الحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 327/ 328، و شرح النهج للمعتزلى ج 12 ص 182/ 183، و اسباب النزول للواحدى و حياه الصحابه ج 1 ص 274- 276، و الاتقان ج 1 ص 15، و الدر المنثور ج 3 ص 200 و كشف الأستار عن مسند البزار ج 3 ص 169- 172 و لباب النقول ط دار احياء العلوم ص 113، إلى غير ذلک من كتب الحديث و التاريخ و دلائل النبوه للبيهقى ج 2 ص 4- 9 ط دار النصر للطباعه.

كانت رحمه. و أنه لما أسلم قاتل حتى صلى المسلمون عند الكعبه (1)

إلى غير ذلک مما لا مجال له هنا.

و قد استغرب الترمذی هذه الاحاديث رغم تصحيحه لبعضها.

و نحن نشک فی صحه کل ما تقدم، بل و نطمئن الی بطلانه جميعا من الاساس، و لبيان ذلک نشير الی النقاط التاليه:

1- متی کان إسلام عمر:

تذکر تلک الروايات: أن عمر قد أسلم بعد إسلام حمزه بن عبد المطلب (صلی اللّه عليه و آله و سلم) بثلاثه أيام. و کان إسلامه سببا لخروجه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) من دار الارقم، بعد أن تکامل المسلمون أربعين رجلا، أو ما هو قريب من ذلک.

و نحن نشير هنا إلی:

ألف: إن الخروج من دار الارقم- کما يقولون- إنما کان فی الثالثه

1- راجع هذه الأحاديث و غيرها فی: البدء و التاريخ ج 5 ص 88، و سيره مغلطای ص 23، و منتخب کنز العمال هامش مسند أحمد ج 4 ص 470 عن الطبرانی، و أحمد، و ابن ماجه، و الحاکم و البيهقی، و الترمذی، و النسائی، عن عمر، و خباب، و ابن مسعود، و الأوائل ج 1 ص 221، و طبقات ابن سعد ج 3 قسم 1 ص 191- 193، و جامع الترمذی ط الهند ج 4 ص 315/ 314، و دلائل النبوه للبيهقی ج 2 ص 7 و تحفه الاحوذی ج 4 ص 314 و البدايه و النهايه ج 3 ص 79، و البخاری ط الميمنيه ج ص و مصنف عبد الرزاق ج 5 ص 325، و الاستيعاب هامش الاصابه ج 1 ص 271، و السيره الحلبيه ج 1 ص 330، و تاريخ الاسلام للذهبی ج 2 ص 102 و تاريخ الخميس، و سيره ابن هشام، و سيره دحلان، و مسند أحمد، و سيره المصطفی، و الطبرانی فی الکبير و الاوسط، و المشکاه و غير ذلک من کتب الحديث و التاريخ.

من البعثه، حينما أمر النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالإعلان بالدعوه.

و هم يصرحون بأن إسلام عمر كان فى السادسه من البعثه.

ب: إنهم يقولون إن عمر قد أسلم بعد الهجره الى الحبشه، حتى لقدرق للمهاجرين، لما رآهم يستعدون للرحيل، حتى رجوا إسلامه منذئذ. و الهجره إلى الحبشه قد كانت فى السنه الخامسه من البعثه، و الخروج من دار الأرقم قد كان قبل ذلک أى فى السنه الثالثه.

ج: إنه قد اشترک فى تعذيب المسلمين، و إنما كان ذلک بعد الخروج من دار الأرقم، و الاعلان بالدعوه.

متى أسلم عمر إذن:

إننا نستطيع أن نقول باطمينان: إنه لم يسلم فى السنه السادسه قطعا بل أسلم بعد ذلک بسنوات، و مستندنا فى ذلک:

أولا: إنهم يقولون: إنه قد أسلم بعد فرض صلاه الظهر، فصلى رسول اللّه الظهر معلنا تحت حمايه عمر كما تقدم. و صلاه الظهر قد فرضت- حسب قولهم- حين الاسراء و المعراج الذى كان- عندهم- فى الثانيه عشره او الثالثه عشره من البعثه. فكلا مهم متناقض.

و إن كنا نحن قد حققنا: أن الاسراء و المعراج كان فى حوالى السنه الثانيه من البعثه.

و قد أجاب البعض عن ذلک، بأن المقصود هو صلاه الغداه أى الصبح (1).

و لكنه توجيه لا يصح؛ فإن كلمه الظهر لا تنطبق على الغداه و لا تطلق عليها و هو جواب عجيب و غريب كما ترى.

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 335.

و إن كان مرادهم أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يؤخر صلاه الصبح إلى ارتفاع الشمس فهو غير معقول؛ إذ كيف يؤخر النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) صلاته عن وقتها بلا عذر ظاهر؟.

و ثانيا: إن عبد اللّه بن عمر يصرح: أنه حين أسلم أبوه كان له هو من العمر ست سنين (1) و يرى البعض: أن عمره كان خمس سنين (2).

و يدل على ذلک: روايه أن ابن عمر كان حين إسلام أبيه على سطح البيت، و رأى أن الناس قد هاجوا ضد أبيه، و حصروه فى البيت؛ فجاء العاص بن وائل ففرقهم عنه، و قد استفسر ابن عمر أباه حينئذ عن بعض الخصوصيات كما سيأتى عن قريب.

كما أن ابن عمر يروى: أنه حين أسلم أبوه غدا يتبع أثره، و ينظر ما يفعل، يقول: و أنا غلام أعقل ما رأيت (3) مما يدل على أن ابن عمر كان حين إسلام أبيه مميزا مدركا.

و ذلک يدل على ان عمر أسلم حوالى السنه التاسعه من البعثه- كما ذهب إليه البعض (4)- لأن ابن عمر ولد فى الثالثه من البعثه، و تم عمره على الخمس عشره سنه فى عام الخندق سنه خمس من الهجره، حيث أجازه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فيها كما هو مشهور. (5)

1- تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص 19، و طبقات ابن سعد ج 3 قسم 1 ص 193، و شرح النهج للمعتزلى ج 12 ص 182.
2- فتح البارى ج 7 ص 135.
3- البدايه و النهايه ج 3 ص 81 و تاريخ الاسلام للذهبى ج 2 ص 105 و سيره ابن هشام ج 1 ص 373- 374.
4- السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 39، و البدايه و النهايه ج 3 ص 82، و مروج الذهب ط دار الاندلس بيروت ج 2 ص 321.
5- سير اعلام النبلاء ج 3 ص 209، تهذيب الكمال ج 15 ص 340 الاصابه ج 2

بل ورد عن ابن شهاب: ان حفصه و ابن عمر قد اسلما قبل عمر.

و لما أسلم أبو هما كان عبد اللّه ابن نحو من سبع سنين (1) و ذلک يعنى ان إسلام عمر قد كان فى العاشره من البعثه.

بل نقول: إن عمر بن الخطاب لم يسلم إلا قبل الهجره بقليل، و يدل على ذلک:

أولا: إنه بلغه: أن أخته لا تأكل الميته (2)

و واضح: أن تحريم الميته إنما كان فى سوره الانعام، التى نزلت فى مكه جمله واحده. و كانت- كما تقول بعض الروايات- اسماء بنت يزيد الأوسيه آخذه بزمام ناقته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (3) و إسلام الأوس و أهل المدينه انما كان بعد الهجره الى الطائف، و مجى ء نسائهم الى مكه قد كان بعد العقبه الاولى.

و ما تقدم فى فصل: بحوث تسبق السيره. من ان زيد بن عمرو بن نفيل كان لا يأكل الميته .. لو صح؛ فإنما هو لاجل أنه كان يدين بالنصرانيه إلا أن يقال: إن تحريم الميته قد كان على لسان النبى قبل نزول سوره الانعام لكن ذلک يحتاج إلى دليل و شاهد و هو غير موجود.

و ثالثا: لقد استقرب البعض: أن يكون قد أسلم بعد اربعين، أو خمس و أربعين ممن أسلم بعد الهجره الى الحبشه (4)

1- سير اعلام النبلاء ج 3 ص 209.
2- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 326.
3- الدر المنثور ج 3 ص 2 عن الطبرانى، و ابن مردويه.
4- الثقات لابن حبان ج 1 ص 73، و البدايه و النهايه ج 3 ص 80 و البدء و التاريخ ج 5 ص 88.

و يؤيد ذلک: أن الذين هاجروا إلى الحبشه كانوا أكثر من ثمانين رجلا. و هى انما كانت فى الخامسه، و إسلام عمر كان فى السادسه من البعثه كما يقولون- فلا بد ان يكون الأربعون الذين أتمهم عمر بإسلامه غير هؤلاء الذين هاجروا، و إن كان إبن الجوزى يعد الذين أسلموا قبل عمر، فيذكر اسماء من هاجر الى الحبشه على الاكثر (1) الأمر الذى يشير الى أنه يرى: أن الأربعين الذين اتمهم عمر هم هؤلاء، و ليسوا فريقا آخر قد أسلم بعد هجرتهم.

و يؤيد ذلک أيضا: الروايات التى تصرح بأنه أسلم فى السادسه من البعثه، و أنه رق للمهاجرين الى الحبشه، حتى لقد رجوا إسلامه.

فإذا كان ذلک. فلسوف يأتى فى حديث المؤاخاه التى جرت فى المدينه بعد الهجره بين المهاجرين و الانصار: أن المهاجرين كانوا حين المؤاخاه خمسه و أربعين رجلا أو أقل أو اكثر بقليل (2). أى ان الذين أسلموا بعد الهجره الى الحبشه كانوا خصوص هؤلاء، فإذا كان عمر قد أسلم و كان تمام الاربعين فيهم فإن معنى ذلک هو أنه قد أسلم قبل الهجره بقليل، ثم هاجر. و لعله لاجل ذلک لم يتعرض للتعذيب فى مكه، كما سنشير اليه حين الكلام عن الذين عذبوا فيها.

و رابعا: لقد جاء فى الروايات فى إسلام عمر: أنه (دنا من رسول اللّه، و هو يصلى و يجهر بالقراءه، فسمع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقرأ: و ما كنت تتلو من قبله من كتاب، و لا تخطه بيمينک،

1- تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص 28/ 29.
2- و إن كان ابن هشام قد عد نحو سبعين ممن هاجر إلى المدينه. و لكن ذلک لا يمكن الاعتماد عليه بعد النص على عدد من آخى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بينهم من قبل غير واحد، كما سيأتى. و لا يعقل أن يترک أحدا من أصحابه لا يؤاخى بينه و بين آخر من اخوانه.

حتى بلغ: الظالمون) (1).

و واضح: أن هاتين الآيتين قد وردتا فى سوره العنكبوت، و هى إما آخر ما نزل فى مكه، او هى السوره قبل الأخيره (2). فإسلام عمر قد كان قبل الهجره بقليل، لأنه يكون أسلم قبل نزول هاتين السورتين.

و خامسا: لقد روى البخارى فى صحيحه، بسنده عن نافع قال: إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر .. ثم حاول نافع أن يوجه هذا بأن ابن عمر بايع تحت الشجره قبل أبيه، ثم قال: فهى التى يتحدث الناس: أن ابن عمر أسلم قبل عمر (3)

و لكننا نقول لنافع: ألم يكن الناس يعرفون اللغه العربيه؟ فلم لم يقولوا: إنه بايع قبل أبيه، و قالوا: أسلم قبل ابيه؟!. ثم ألم يكن أحد منهم يعرف أن هذا الكلام لا يدل على ذاک و لا يشير إليه، فكيف يصح أن يكون هو المقصود منه؟!.

و نحن نعتقد أن ما يقوله الناس فى ذلک الزمان هو الصحيح الظاهر، فان ابن عمر قد أسلم قبل الهجره بيسير، ثم أسلم أبوه و هاجر (4).

و سادسا: ان عمر قد رفض فى عام الحديبيه: حمل رساله النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بحجه أن بنى عدى لا ينصرونه؛ فمعنى ذلک هو أنه قد اسلم و هاجر و لم يعلم أحد بإسلامه، و إلا لكان قد عذب،

1- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 326. و راجع مصادر روايات اسلام عمر المتقدمه.
2- الاتقان ج 1 ص 10- 11.
3- صحيح البخارى ط مشكول ج 5 ص 163.
4- و قد تقدم عن الزهرى ان عمر قد اسلم بعد حفصه و عبد اللّه بن عمر.

و لم ينصره بنو عدى (1). لا سيما مع ما سيأتى من حاله الذل التى كان يعانى منها هذا الرجل قبل إسلامه.

2- من سمى عمر بالفاروق؟!

و قد ذكرت تلك الروايات: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد سمى عمر بالفاروق حين أسلم.

و لكننا نشك فى ذلك جدا، إذ أن الزهرى يقول:

(بلغنا: أن أهل الكتاب أول من قال لعمر: (الفاروق). و كان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم. و لم يبلغنا: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ذكر من ذلك شيئا (2)).

و قد كانت كلمه الفاروق تطلق عليه فى أيام خلافته (3).

3- هل كان عمر قارئا؟!

و تذكر الروايات: أن عمر بن الخطاب كان قارئا، و أنه قد قرأ الصحيفه بنفسه.

و نحن نشك فى ذلك أيضا: لاعتقادنا أنه لم يكن يعرف القراءه و الكتابه، و لا سيما فى بادى ء أمره، إلا أن يكون قد تعلمها بعد ذلك فى أواخر ايام حياته؛ و ذلك لأمرين.

1- ستأتى مصادر ذلك بعد حوالى خمس صفحات.
2- تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص 30، و طبقات ابن سعد ج 3 قسم 1 ص 193، و البدايه و النهايه ج 7 ص 133، و تاريخ الطبرى ج 3 ص 267 حوادث سنه 23. و ذيل المذيل ج 8 من تاريخ الطبرى.
3- راجع: طبقات الشعراء لابن سلام ص 44.

احدهما: أن البعض يصرح بأن خباب بن الأرت هو الذى قرأ له الصحيفه (1) فلو كان قارئا؛ فلماذا لا يقرؤها بنفسه، ليتأكد من صحه الأمر؟!

الثانى: لقد روى الحافظ عبد الرزاق، بسند صحيح، حسبما يقولون هذه الروايه نفسها، و لكنه قال فيها: (فالتمس الكتف فى البيت حتى وجدها، فقال حين وجدها: أما إنى قد حدّثت: انک لا تأكلين طعامى الذى آكل منه، ثم ضربها بالكتف فشجها شجتين. ثم خرج بالكتف حتى دعا قارئا؛ فقرأ عليه. و كان عمر لا يكتب. فلما قرئت عليه تحرک قلبه حين سمع القرآن الخ) (2).

و يؤيد ذلک ما عن عياض ابن أبى موسى: أن عمر بن الخطاب قال لابى موسى: أدع لى كاتبک ليقرأ لنا صحفا جاءت من الشام. فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: أبه جنابه؟ قال: لا، و لكنه نصرانى؛ فرفع عمر يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها إلخ (3).

فلو كان عمر يعرف القراءه لم يحتج لكاتب أبى موسى ليقرأ له الصحف التى جاءته. و لربما يعتذر عن ذلک بأن الخليفه ربما لم يكن يباشر القراءه لمركزه مع معرفته لها. أو أن الرسائل كانت بغير العربيه.

و لكن الظاهر هو أن هذه الاعراف و التقيدات قد حدثت فى وقت متأخر، و لم يكن عمر يتقيّد بها كما أن بلاد الشام كانت و لا تزال عربيه اللغه، فمن البعيد أن يكتبوا له بغير العربيه.

1- تاريخ ابن خلدون ج 2 قسم 2 ص 9.
2- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 326.
3- عيون الاخبار لابن قتيبه ج 1 ص 43 و الدر المنثور ج 2 ص 291 عن ابن أبى حاتم و البيهقى فى شعب الإيمان و حياه الصحابه ج 2 ص 785 عن تفسير ابن كثير ج 2 ص 68.

و يمكن أن يؤيد ذلک أيضا: بأن عمر لم يكن ذا ذهنيه علميه، و ذلک بدليل: أنه بقى اثنتى عشره سنه حتى تعلم سوره البقره، فلما حفظها نحر جزورا (1).

بل لقد ورد أنه لما طلب من حفصه أن تسأل له النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن الكلاله، فسألته عنها؛ فأملّها عليها؛ فى كتب، ثم قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): (عمر أمرک بهذا؟ ما أظنه أن يفهمها) (2).

بل لقد واجهه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه بذلک كما رواه كثيرون (3).

إلا أن من الممكن أن يكون عمر قد عاد فتعلم القراءه و الكتابه بمشاق و متاعب جمه، و يمكن أن يستدل على ذلک بأنه- كما روى البخارى- كان يقول: إنه لو لا أن يقال: إن عمر قد زاد فى كتاب اللّه لكتب آيه الرجم بيده؟! (4).

و مهما يكن من أمر، فإننا لسنا أول من شک فى معرفه الخليفه الثانى للقراءه و الكتابه، فقد كان هذا الأمر موضع نقاش و شک منذ القرن الأول للهجره، فهذا الزهرى يقول: كنا عند عمر بن عبد العزيز و هو والى

1- تاريخ عمر بن الخطاب ص 165، و الدر المنثور ج 1 ص 21، عن الخطيب فى رواه مالک، و البيهقى فى شعب الايمان، و شرح النهج للمعتزلى ج 12 ص 66، و الغدير ج 6 ص 196 عنهم و تفسير القرطبى ج 1 ص 152 و التراتيب الاداريه ج 2 ص 280 عن تنوير الحوالک.
2- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج 10 ص 305.
3- راجع الغدير ج 6 ص 116 عن غير واحد. و راجع 128.
4- راجع كتابنا: حقائق هامه حول القرآن ص 346، فقد نقلنا ذلک عن عشرات المصادر.

المدینه ثم صارت إلی عبد اللّه بن عبد اللّه بن عتبه، فقال: هل من معه به خبر فأساله: هل کان عمر یکتب؟.

فقال عروه: نعم کان یکتب.

فقال: بآیه ماذا؟.

قال: بقوله: لو لا ان یقول الناس زاد عمر فی القرآن لخططت آیه الرجم بیدی.

فقال عبید اللّه: هل یسمّی عروه من حدثه؟.

قلت: لا.

قال عبید اللّه: فإنما صار عروه یمص مص البعوضه لتملأ بطنها، و لا یری أثرها، یسرق أحادیثنا و یکتمنا، أی أنی أنا حدثته (1).

ملاحظه:

و إذا ثبت عدم معرفته بالقراءه، أو شک فی کونه کان حینئذ یقرأ و یکتب، فمن الطبیعی أن یتطرق الشک إلی قولهم؛ إنه کان من کتاب الوحی (2)، فلعل ذلک کان من الأوسمه التی نحله إیاها بعض من عزّ علیهم أن یحرم عمر من هذا الشرف بنظرهم.

و ملاحظه أخری:

و هی أننا رأینا عمر بن الخطاب یضرب فخذ أبی موسی حتی کاد یکسرها، لاتخاذه کاتبا نصرانیا، مع انهم یقولون: إنه هو نفسه کان له

1- مختصر تاریخ دمشق ج 17 ص 10.
2- بحوث فی تأریخ القرآن و علومه ص 113 عن تأریخ القرآن للزنجانی. و فی تأریخ الیعقوبی ج 2 ص 80 ط صادر و الاستیعاب بهامش الأصابه ج 1 ص 51، ذکرا عمر فی جمله من کان یکتب للنبی (صلی اللّه علیه و آله). لکن لم یبینا، إذا کان یکتب الوحی، أو غیره.

مملوک نصرانی لم یسلم، و کان یعرض علیه الإسلام فیأبی، حتی حضرته الوفاه فأعتقه (1)

فما هذا التناقض فی مواقف الخلیفه الثانی؟! و ما هو المبرر لها إلا أن یکون اعتراضه علی أبی موسی منصبا علی استعانته بغیر المسلم فی شؤون المسلمین العامه، و هذا غیر خدمه غیر المسلم للمسلم.

4- هل عز الأسلام بعمر حقا؟!

و تذکر الروایات: أن الإسلام قد عز بعمر و أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد دعا اللّه أن یعز الاسلام به بل لقد ذهبت بعض الروایات الی اعتبار عمر من الجبارین فی الجاهلیه، حیث إنه حین أشار علی ابی بکر:

أن یتألف الناس و یرفق بهم، قال له أبو بکر: (رجوت نصرک، و جئتنی بهذا لأنک جبار فی الجاهلیه، خوار فی الإسلام الخ) (2) ..

و نحن نشک فی صحه ذلک بل نجزم بعدم صحته، و ذلک للامور التالیه:

ألف: إن الإسلام إذا لم یعز بأبی طالب شیخ الأبطح، و بحمزه أسد اللّه و أسد رسوله، الذی فعل برأس الشرک أبی جهل ما فعل، و إذا لم یعزّ بسائر بنی هاشم أصحاب العز و الشرف و النجده، فلا یمکن أن یعز بعمر الذی کان عسیفا (أی مملوکا مستهانا به) (3) مع الولید بن المغیره الی

1- حلیه الاولیاء ج 9 ص 34، عن کنز العمال ج 5 ص 50 عن ابن سعد، و سعید بن منصور، و ابن المنذر، و ابن أبی شیبه، و ابن أبی حاتم، و الطبقات الکبری ج 6 ص 109 و التراتیب الاداریه ج 1 ص 102 و نظام الحکم فی الشریعه و التاریخ و الحیاه الدستوریه ص 58 عن تاریخ عمر لابن الجوزی ص 87 و 148.
2- کنز العمال ج 6 ص 295.
3- راجع: اقرب الموارد، ماده: (عسف).

الشام (1). لا سيما و أنه لم يكن فى قبيلته سيد أصلا (2)، و لم تؤثر عنه فى طول حياته مع النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أيه مواقف شجاعه، و حاسمه، بل لم نجد له أيه مبارزه، أو عمل جرى ء فى أى من غزواته، رغم كثرتها و تعددها.

بل لقد رأيناه يفر فى غير موضع، كأحد، و حنين و خيبر حسبما صرح به الجم الغفير من أهل السير، و رواه الأثر، كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى.

و من الطريف هنا ما رواه الزمخشرى، من أن أنس بن مدركه كان قد أغار على سرح قريش فى الجاهليه؛ فذهب به، فقال له عمر فى خلافته:

لقد اتبعناک تلک الليله؛ فلو أدركناک؟. فقال: لو أدركتنى لم تكن للناس خليفه (3).

و الخلاصه: انه لا يمكن أن يعز الاسلام بعمر، الذى لم يكن له عز فى نفسه، و لا بعشيرته، و لا شجاعه يخاف منها.

ب- إننا سواء قلنا: إن عمر قد أسلم قبل الحصر فى الشعب أو بعده، فإن الأمر يبقى على حاله، لأننا لم نجد أى تفاوت فى حاله المسلمين قبل و بعد إسلام عمر، و لا لمسنا أى تحول نحو الأفضل بعد إسلامه، بل رأينا: عكس ذلک هو الصحيح، فمن حصر المشركين للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و الهاشميين فى الشعب، حتى كادوا يهلكون جوعا، و حتى كانوا يأكلون ورق السمر، و أطفالهم يتضاغون جوعا. إلى تآمر على حياه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم). ثم بعد وفاه أبى طالب رحمه اللّه لم يستطع (صلى اللّه عليه و آله و سلم) دخول مكه بعد عودته من الطائف إلا بعد مصاعب جمه، لم نجد عمر ممن

1- المنمق، لابن حبيب ط الهند ص 146، و شرح النهج للمعتزلى ج 12 ص 183.
2- المنمق ص 147.
3- ربيع الابرار ج 1 ص 707.

ساعد على حلها. هذا كله عدا عن الاذايا الكثيره التى كان أبو لهب يوجهها للنبى باستمرار.

ج- و فى صحيح البخارى و غيره حول اسلام عمر: عن عبد اللّه بن عمر قال: بينما عمر فى الدار خائفا، إذ جاءه العاص بن وائل السهمى. إلى أن قال: فقال: ما بالک؟ قال: زعم قومک أنهم سيقتلوننى إن أسلمت.

قال: لا سبيل إليک. بعد أن قالها أمنت. ثم ذكر إرجاع العاص الناس عنه. و أضاف الذهبى قول عمر: فعجبت من عزّه (1).

فمن يتهدده الناس بالقتل، و يخاف، و يختبى ء فى داره، فإنه لا يكون عزيزا و لا يعز الاسلام به. غير أنه هو نفسه قد ارتفع بالاسلام، و صار له شخصيه و شأن، كما سنرى.

هذا عدا عن الروايات القائله: إن أبا جهل هو الذى أجار عمر (2).

و على هذا فقد كان الأجدر: أن يدعو النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بأن يعز الإسلام بمن يجير عمر، و الذى يعجب الناس من عزته، لا بعمر الخائف، و المختبى ء فى بيته.

د- و الغريب هنا: أن أحد الرجلين اللذين دعا لهما النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و هو أبو جهل يضربه حمزه رضوان اللّه عليه بقوسه أمام

1- راجع: صحيح البخارى ج 5 ص 60/ 61 ط مشكول، ففيه روايتان بهذا المعنى، و تاريخ الاسلام للذهبى ج 2 ص 104، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص 409، و تاريخ عمر لابن الجوزى ص 26، و السيره الحلبيه ج 1 ص 332، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 135، و سيره ابن هشام ج 1 ص 374، و البدايه و النهايه ج 3 ص 82 و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ط دار النصر ج 2 ص 9.
2- تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص 24- 25 و راجع كشف الأستار ج 3 ص 171 و مجمع الزوائد ج 9 ص 64 و ذكر: أن خاله هو الذى أجاره و قال ابن اسحاق المراد بخاله: أبو جهل، و لم يرتض ذلک ابن الجوزى، فراجع.

الملأ من قومه، فيشجه شجه منكره، و لا يجرؤ على الكلام، ثم يقتل فى بدر فى أول وقعه بين المسلمين و المشركين.

و الرجل الآخر و هو عمر بن الخطاب يكون على خلاف توقعات النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و لا يستجيب اللّه دعاءه فيه، حيث لم يعز الإسلام به، كما رأينا. مع أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقول:

(ما سألت- ربى- اللّه- شيئا إلا أعطانيه (1)) بل لقد كانت النتيجه عكسيه، حيث يذكر عبد الرزاق: (أنه لما جهر عمر بإسلامه اشتد ذلک على المشركين فعذبوا من المسلمين نفرا) (2).

ه- لا بأس بالمقارنه بين نعيم بن عبد اللّه النحام العدوى. و بين عمر بن الخطاب العدوى؛ فقد أسلم نعيم قبل عمر، و كان يكتم إسلامه، و منعه قومه لشرفه فيهم من الهجره، لأنه كان ينفق على أرامل بنى عدى و أيتامهم.

فقالوا: (أقم عندنا على أى دين شئت، فو اللّه لا يتعرض اليک أحد الا ذهبت أنفسنا جميعا دونک (3)).

و يقول عروه عن بيت نعيم هذا: (ما أقدم على هذا البيت أحد من بنى عدى) (4) أى لشرفه.

1- راجع: ترجمه الامام على بن ابى طالب من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودى ج 2 ص 275 و 276 و هامشها و 278 و فرائد السمطين باب 43 حديث 172 و كنز العمال ج 15 ص 150 ط 2 عن ابن جرير، و صححه، و ابن ابى عاصم، و الطبرانى فى الاوسط. و ابن شاهين فى السنه، و عن الرياض النضره ج 2 ص 213.
2- راجع المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 328.
3- اسد الغابه ج 2 ص 33 و راجع: نسب قريش لمصعب ص 380.
4- نسب قريش لمصعب ص 381.

أما عمر، فإن رسول اللّه اراد فى الحديبيه أن يرسله الى مكه؛ ليبلغ عنه رساله الى أشراف قريش، تتعلق بالامر الذى جاء له؛ فرفض ذلک و قال: (إنى أخاف قريشا على نفسى، و ليس بمكه من بنى عدى أحد يمنعنى) ثم أشار على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بأن يرسل عثمان بن عفان (1).

و- لقد خطب ابن عمر بنت نعيم النحام، فرده نعيم، و قال: (لا أدع لحمى تربا) و زوجها من النعمان بن عدى بن نضله (2)

فنعيم يربأ بإبنته عن ان تتزوج بابن عمر، و يرى ذلک تضييعا لها!!.

ز- و فى زياره عمر للشام أيام خلافته خلع عمر خفيه، و وضعهما على عاتقه، و أخذ بزمام ناقته، و خاض المخاضه فاعترض عليه أبو عبيده، فأجابه عمر بقوله: (إنا كنا أذل قوم؛ فاعزنا اللّه بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما اعزنا اللّه به أذلنا اللّه (3))، و فى نص آخر عنه: (إنا قوم أعزنا اللّه بالاسلام، فلن نبتغى العز بغيره (4)). الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 3 185 4 - هل عز الأسلام بعمر حقا؟!..... ص : 181

و احتمال أن يكون مقصوده هو ذل العرب و عزهم لا خصوص بنى عدى.

1- راجع: البدايه و النهايه ج 4 ص 167 عن ابن اسحاق، و حياه الصحابه ج 2 ص 397/ 398 عن كنز العمال ج 1 ص 84 و 56 و ج 5 ص 288 عن ابن ابى شيبه، و الرويانى، و ابن عساكر، و ابى يعلى، و طبقات ابن سعد ج 1 ص 461 و سنن البيهقى ج 9 ص 221.
2- نسب قريش لمصعب ص 380.
3- مستدرک الحاكم ج 1 ص 61. و تلخيصه للذهبى بهامشه، و صححه على شرط الشيخين.
4- مستدرک الحاكم ج 1 ص 62.

بعید؛ لأنه قد عنف أبا عبیده علی مقولته تلک بأن غیر أبی عبیده لو کان قال ذلک لکان له وجه، أما أن یقوله أبو عبیده العارف بالحال و السوابق فإنه غیر مقبول منه. هذا بالاضافه الی ما سیأتی مما یدل علی ذل بنی عدی، فانتظر.

ح- و قال أبو سفیان للعباس فی فتح مکه، حینما کان یستعرض الألویه؛ فرأی عمر، و له زجل: (یا أبا الفضل، من هذا المتکلم؟

قال: عمر بن الخطاب.

قال: لقد- أمر- أمر بنی عدی بعد- و اللّه- قله و ذله.

فقال العباس: یا أبا سفیان، إن اللّه یرفع من یشاء بما یشاء، و إن عمر ممن رفعه الإسلام (1)).

ط- تقدم قول عوف بن عطیه:

و أما الالأمان بنو عدی و تیم حین تزدحم الأمور

فلا تشهد لهم فتیان حرب و لکن أدن من حلب و عیر و فی رساله من معاویه لزیاد بن أبیه یذکر فیها أمر الخلافه یقول:

(و لکن اللّه عز و جل أخرجها من بنی هاشم و صیرها الی بنی تیم بن مره:

ثم خرجت الی بنی عدی بن کعب و لیس فی قریش حیان أذل منهما و لا أنذل الخ .. (2).

ی- و قال خالد بن الولید لعمر: (إنک ألأمها حسبا. و أقلها عددا و أخملها ذکرا .. الی أن قال له: لئیم العنصر ما لک فی قریش فخر. قال

1- مغازی الواقدی ج 2 ص 821، و عن کنز العمال ج 5 ص 295، عن ابن عساکر، عن الواقدی.
2- کتاب سلیم بن قیس ص 140.

فأسكته خالد) (1)

5- غسل عمر لمس الصحيفه:

و إشكال آخر يبقى بلا جواب، و هو أنه كيف طلبت أخته منه: أن يغتسل لمس الصحيفه، مع أن غسل المشرک لا يجدى فى جواز مس القرآن؛ فإن المانع هو شركه، لا حدثه، و لذلک قالت له: (إنک نجس على شرکک، و إنه لا يمسه إلا المطهرون) (2)

و دعوى أن المراد هو غسل الجنابه مدفوعه أيضا، فإنهم يقولون: إن أهل الجاهليه كانوا يغتسلون من الجنابه (3) فكيف تقول له أخته: إنک لا تغتسل من الجنابه. إلا أن يكون هو نفسه لم يكن يلتزم بما كان يلتزم به قومه فى الجاهليه.

و مما يدل على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابه، أن أبا سفيان قد نذر أو حلف بعد رجوعه من بدر مهزوما: أن لا يمس رأسه ماء من جنابه، حتى يغزو محمداً. و كانت غزوه السويق لأجل ان يكفر عن يمينه، (4) كما

1- الخصال ج 2 ص 463.
2- الثقات ج 1 ص 74، و راجع مصادر الروايه المتقدمه، و مجمع الزوائد ج 9 ص 63.
3- السيره الحلبيه ج 1 ص 329 عن الدميرى، و السهيلى و ذكر الدميرى: انه بقيه من دين ابراهيم و اسماعيل. قال: و فى كلام بعضهم: كانوا فى الجاهليه يغتسلون من الجنابه، و يغسلون موتاهم، و يكفنونهم، و يصلون عليهم الخ.
4- البدايه و النهايه ج 3 ص 344 و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 540 و تاريخ الخميس ج 1 ص 410 و السيره الحلبيه ج 2 ص 211 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 139 و السيره النبويه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبيه) ج 2 ص 5 و البحار ج 20 ص 2 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 175.

سنرى.

و يدل على ذلک: ما يذكرونه عن صيفى بن الأسلت من أنه كان قد ترهب فى الجاهليه و لبس المسوح و اغتسل من الجنابه (1).

6- نزول آيه فى إسلام عمر:

و يذكرون ان آيه: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُکَ اللَّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قد نزلت فى هذه المناسبه حيث أسلم عمر رابع اربعين. (2)

و لكن يعارض ذلک ما روى عن الكلبى، من أن الآيه قد نزلت فى المدينه فى غزوه بدر (3).

و عن الواقدى: أنها نزلت فى بنى قريظه و النضير (4).

و أيضا فان الآيه فى سوره الأنفال، و هى مدنيه لا مكيه.

و فى روايه الزهرى: أن هذه الآيه نزلت فى الأنصار. (5)

يضاف الى ذلک: أن الآيه مسبوقه بآيات القتال، و لم يشرع القتال إلا فى المدينه، و هى تنسجم مع تلک الآيات تمام الانسجام، فراجعها و تأمل فيها. و هى أيضا تناسب المدينه، حيث قويت شوكه الاسلام، و عز المؤمنون.

1- السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 47 و تاريخ الاسلام للذهبى ص 109 و السيره الحلبيه ج 2 ص 14.
2- راجع: الدر المنثور ج 3 ص 200 عن الطبرانى، و ابى الشيخ، و ابن مردويه و راجع ايضا ما اخرجه عن البزار و ابن المنذر، و ابن ابى حاتم، و غيرهم.
3- مجمع البيان ج 4 ص 557.
4- التبيان للطوسى ج 5 ص 152.
5- الدر المنثور ج 3 ص 200 عن ابن اسحاق، و ابن أبى حاتم.

ملاحظات أخيره:

و أخيرا، فإننا نذكر:

1- أن الذى يطالع روايات إسلام عمر، يرى: أنها متناقضه تناقضا كبيرا فيما بينها.

2- إن بعض الروايات تذكر: أن عمر قد التقى بسعد الذى كان قد أسلم، أو بنعيم النحام، و جرى بينهما كلام؛ فأخبره باسلام أخته، و زوجها، و أغراه بهما.

و يرد سؤال: انه اذا كان سعد مسلما، و كان نعيم قد أسلم قبل عمر سرا، فلماذا يغرى عمر بأخته المسلمه و صهره؟! و إذا كان انما فعل ذلک ليصرفه عن قصد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالسوء؛ فلا ندرى كيف يخاف من عمر على النبى و عند النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أمثال حمزه و على إلى تمام الاربعين رجلا؟ و لماذا لا يخاف على هذين المسلمين، و ليس لهما ناصر، و لا عندهما أحد؟!.

3- إن قول حمزه عن عمر: (و إن كان يريد شرا قتلناه بسيفه) يشير إلى انه رحمه اللّه لم يكن يقيم وزنا لعمر، حتى حينما يكون عمر متوشحا بالسيف، حتى يرى: ان امره سهل، و ان بالإمكان قتله بنفس سيفه الذى يحمله، و هذا غايه فى الاستهانه بقدرات عمر، ما بعدها غايه.

4- لا ندرى لماذا تهدد النبى عمر؟ وجبذه جبذه شديده!!.

و كيف وصل عمر الى النبى بهذه السهوله؟ و لماذا لقيه فى الحجره؟

و لماذا خرج المسلمون فى صفين؟ و ما هو فلسفه ذلک عسكريا.

و هل لم يكن عمر يعرف من هو أنقل رجل فى قريش؟

و لماذا لم يكن يدنو اليه إلا شريف إلى غير ذلک من الاسئله الكثيره.

و إذا كان قد خرج مع المسلمين فى صفين و تهدد المشركين، و خاف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حينئذ فلماذا احتاج إلى انقل رجل للحديث فى قريش؟! و لماذا ذهب إلى المسلمين متوشحا سيفه، إلى كثير من الأسئله التى تعلم بالمراجعه و المقارنه.

: خاتمه المطاف:

و بعد ما تقدم، فإن المراجع لروايات إسلام عمر لا يصعب عليه:

أن يكتشف بسرعه: أن ثمه محاولات للتغطيه على قضيه إسلام حمزه، الذى عز به الإسلام حقا، و سر به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) سرورا كثيرا. و لهذا تجد: أنهم يقرنون عمر بحمزه كثيرا فى تلک الروايات، و يحاولون إعطاءهما المواقف مناصفه، مع تخصيص عمر بحصه الأسد فيها.

كما أن فضيله رد الجوار التى هى لعثمان بن مظعون يحاولون إعطاءها إلى عمر.

بل نجد فى بعض الروايات: إن أهل الكتاب فى الشام قد بشروا عمر بما سوف يؤول إليه أمره فى مستقبل هذا الدين الجديد (1)، كما بشروا أبا بكر فى بصرى (2) و كما بشروا النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه (3) حسب رواياتهم.

1- راجع الرياض النضره ج 2 ص 319.
2- راجع: السيره الحلبيه ج 1 ص 274/ 275 و 186 و الرياض النضره ج 1 ص 221.
3- قد أشرنا إلى ما يذكرونه عن دور ورقه بن نوفل فى ذلک، و أثبتنا عدم صحه ذلک، فراجع روايات بدء الوحى فى الجزء الأول من هذا الكتاب.

ثم إنهم قد وجدوا فی عمر العلامات التی تدعم مدعاهم (1)، کما وجدوها فی أبی بکر من قبل؟!

ثم کان إسلام عمر، و کانت کل الجهود موقوفه علی صنع الفضائل و الکرامات له!! فتبارک اللّه أحسن الخالقین!!

و لقد قال ابن عرفه: المعروف بنفطویه إن أکثر فضائل الصحابه قد افتعلت فی عهد بنی أمیه، إرغاما لأنوف بنی هاشم (2)! کما أن معاویه قد أمر الناس بوضع الحدیث فی الخلفاء الثلاثه کما سیأتی بیانه إن شاء اللّه.

و حسبنا ما ذکرناه هنا؛ فإن فیه مقنعا و کفایه لکل من أراد الرشد و الهدایه.3.

1- تاریخ عمر بن الخطاب ص 22.
2- راجع النصائح الکافیه ص 74 و حیاه الإمام الحسن 5 للقرشی ج 2 ص 148 و الکنی و الألقاب ج 3 ص 262 و فجر الاسلام ص 213.

ص: 192

الفصل الرابع: فی شعب أبی طالب

اشاره

المقاطعه:

و (لما رأت قريش عزه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بمن معه، و عزه أصحابه فى الحبشه، و فشوّ الاسلام فى القبائل) (1).

و أن جميع جهودها فى محاربه الاسلام قد باءت بالفشل. حاولت أن تقوم بتجربه جديده، و هى الحصار الاقتصادى و الاجتماعى، ضد الهاشميين، و أبى طالب؛ فاما أن يرضخوا لمطالبها فى تسليم محمد لها للقتل. و إما ان يتراجع محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه عن دعوته، و إما أن يموتوا جوعا و ذلا، مع عدم ثبوت مسؤوليه محدده على أحد فى ذلک، يمكن أن تجرّ عليهم حربا أهليه، ربما لا يمكن لأحد التكهن بنتائجها، و عواقبها السيئه.

فكتبوا صحيفه تعاقدوا فيها على عدم التزوج و التزويج لبنى هاشم، و بنى المطلب، و أن لا يبيعوهم شيئا، و لا يبتاعوا منهم، و أن لا يجتمعوا معهم على أمر من الأمور، أو يسلموا لهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليقتلوه.

1- سيره مغلطاى ص 23، و راجع سيره ابن هشام ج 1 ص 375، و تاريخ الخميس ج 1 ص 297، عن المواهب اللدنيه.

و قد وقع على هذه الصحيفه أربعون رجلا من وجوه قريش، و ختموها بخواتيمهم، و علقت الوثيقه فى الكعبه مده (و يقال: إنهم خافوا عليها السرقه؛ فنقلوها إلى بيت أم أبى جهل) (1).

و كان ذلک فى سنه سبع من البعثه على أشهر الروايات. و قيل ست.

و أمر أبو طالب بنى هاشم أن يدخلوا برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الشعب- الذى عرف بشعب أبى طالب- و معهم بنو المطلب بن عبد مناف، باستثناء أبى لهب لعنه اللّه و أخزاه (2). و استمروا فيه إلى السنه العاشره.

و وضعت قريش عليهم الرقباء حتى لا يأتيهم أحد بالطعام.

و كانوا ينفقون من أموال خديجه، و أبى طالب، حتى نفدت، حتى اضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر. و كان صبيتهم يتضاغون جوعا، و يسمعهم المشركون من وراء الشعب، و يتذاكرون ذلک فيما بينهم، فبعضهم يفرح، و بعضهم يتذمم من ذلک. و يقولون: إنه ربما وجد فيهم من يتعاطف مع المسلمين، و كان هذا يصدر غالبا ممن يتصل بهم نسبا، كأبى العاص بن الربيع، و حكيم بن حزام و ان كنا نحن نشک فى ذلک كما سيأتى ان شاء اللّه تعالى.

و لم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبى طالب إلا فى موسم العمره فى رجب، و موسم الحج فى ذى الحجه، فكانوا يشترون حينئذ و يبيعون ضمن ظروف صعبه جدا، حيث إن المشركين كانوا يلتقون

1- هكذا جاء فى بعض الروايات فى البحار ج 19 ص 16 عن الخرائج و الجرائح. و لا يهمنا تحقيق هذا الأمر كثيرا ..
2- و قيل: إن أبا سفيان بن الحارث أيضا لم يدخل الشعب معهم، و لكنه قول نادر. و الاكثر على الاقتصار على أبى لهب لعنه اللّه ... و لسنا هنا فى صدد تحقيق ذلک ..

بکل من یقدم مکه اولا، و یطمعونه بمبالغ خیالیه ثمنا لسلعته، شرط أن لا یبیعها للمسلمین. و کان أبو لهب هو رائدهم فی ذلک؛ فکان یوصی التجار بالمغالاه علیهم حتی لا یدرکوا معهم شیئا، و یضمن لهم، و یعوضهم من ماله کل زیاده تبذل لهم. بل لقد کان المشرکون یتهددون کل من یبیع المسلمین شیئا بنهب أمواله، و یحذّرون کل قادم إلی مکه من التعامل معهم.

و الخلاصه: أن قریشا قد قطعت عنهم الاسواق، فلا یترکون لهم طعاما یقدم مکه، و لا بیعا إلا بادروهم إلیه، یریدون بذلک أن یدرکوا سفک دم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) (1).

و قد استمرت هذه المحنه سنتین أو ثلاثا. و کان علی أمیر المؤمنین (علیه السلام) اثناءها یأتیهم بالطعام سرا من مکه، من حیث یمکن، و لو أنهم ظفروا به لم یبقوا علیه، کما یقول الاسکافی و غیره (2).

و کان أبو طالب رضوان اللّه تعالی علیه کثیرا ما یخاف علی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) البیات؛ فاذا أخذ الناس مضاجعهم، اضطجع النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) علی فراشه، حتی یری ذلک جمیع من فی شعب أبی طالب، فاذا نام الناس جاء و اقامه، و أضجع ابنه علیا مکانه (3).

1- البدایه و النهایه ج 3 ص 84.
2- شرح النهج للمعتزلی ج 13 ص 256.
3- شرح النهج للمعتزلی ج 13 ص 256 و ج 14 ص 64، الغدیر ج 7 ص 357/ 358 عن کتاب الحجه لابن معد. و ذکر ذلک ابن کثیر فی البدایه و النهایه ج 3 ص 84 من دون تصریح بالاسم. و تیسیر المطالب ص 49.

و ثمه ابيات شعر له رحمه اللّه مخاطبا بها ولده عليا بهذه المناسبه، فلتراجع فى مصادرها.

أموال خديجه (رض)، و سيف على «عليه السلام»:

هنا سؤال مفاده:

إن من المعروف: أن الإسلام قد قام بسيف أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذى قال فيه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)- كما سيأتى فى غزوه أحد و بدر:

لا فتى إلا على لا سيف إلا ذو الفقار و بأموال خديجه رحمها اللّه تعالى، التى أنفقتها فى سبيل اللّه سبحانه فما معنى هذا الكلام و ما الذى يرمى إليه؟! فهل معنى ذلک: أن خديجه كانت ترشو الناس من أجل أن يدخلوا فى الاسلام؟

و هل يمكن العثور على مورد واحد من هذا القبيل فى التاريخ؟!

و لعلک تقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يتألف كثيرين على الاسلام، فيعطيهم الأموال ترغيبا لهم فى ذلک. و قضيه غنائم حنين الآتيه إن شاء اللّه أوضح دليل على ذلک، و لا يجهل أحد سهم المؤلفه قلوبهم فى الاسلام.

و الجواب: أن هذا الذى ذكر ليس معناه: أنهم كانوا يأخذون الرشوه على الاسلام، و إنما يريد الاسلام لهؤلاء أن يعيشوا فى الاجواء الاسلاميه، و يتفاعلوا معها، و ينظروا لها نظره سليمه، و من دون وجود أيه حواجز نفسيه، أو سياسيه، أو اجتماعيه فكان هذا المال المعطى لهم يساعد على التغلب على تلک الحواجز الوهميه فى اكثرها، و يجعلهم يعيشون فى الاجواء و المناخات الاسلاميه، و يتعرفون على خصائص

الاسلام و أهدافه. و لتحصل لهم من ثم القناعات الوجدانيه و الفكريه بأحقيه الاسلام، و سمو أهدافه.

كما أن من هؤلاء من يرى: أن هذا الدين قد حرمه من المال و الثروه و الامتيازات التى يحبها، فلماذا لا يدبر فى الخفاء ما يزيح هذا الكابوس الخانق، و المضر بمصالحه؟ فاذا أعطى المال، و أفهم أن الاسلام ليس عدوا للمال: (قل من حرم زينه اللّه التى أخرج لعباده، و الطيبات من الرزق) (1) فإنه يمكن اقناعه حينئذ بأن هدف الاسلام ليس إلا التركيز على انسانيه الانسان، و اعتبارها المقياس الحقيقى له، لا المال، و لا القوه و لا الجمال، و لا الجاه، و لا غير ذلک. و أنه يهدف إلى تنظيم حياه هذا الانسان فى هذا الخط، ليكون سعيدا فى الدنيا و الآخره على حد سواء.

و اما اموال خديجه؛ فلم تكن تعطى كرشوه على الاسلام، و لا كانت تنفق على المؤلفه قلوبهم. و انما كانت تسدّ رمق ذلک المسلم، الذى يعانى اعظم المشاق و الآلام، فى سبيل اسلامه و عقيدته، هذا المسلم الذى لم تتورع قريش عن محاربته بكل ما تملكه من اسلحه لا انسانيه و لا اخلاقيه، حتى بالفقر و الجوع، فكانت تلک الاموال تسد رمق من يتعرض للاخطار الكبيره، و تخدم الاسلام عن هذا الطريق. و هذا معنى قولهم: ان الإسلام قام باموال خديجه.

و ملاحظه لا بد منها، و هى ان اموال خديجه التى أنفقت فى المقاطعه، كانت فى غالبها من النوع الذى يمكن الانتفاع به فى سدّ رمق الجائع. و كسوه العارى، و اما ما سواه؛ فلربما لم يتعرض لذلک؛ بسبب عدم القدره على البيع و الشراء فى غالب الأحيان.

1- الأعراف الآيه/ 32.

و نشير اخيرا، الى أن مكه مهما عظمت الثروه فيها، فانها لا تخرج عن كونها محدوده الامكانات، تبعا لموقعها، و حجمها؛ لأنها لم تكن مدينه كبيره جدا، بل كانت بلدا كبيرا بالنسبه الى القريه، و لذا جاء التعبير عنها فى القرآن ب (ام القرى) و ثروه فى بلد كهذا تبقى دائما محدوده، تبعا لمحدوديته، و قدراته، و امكاناته.

حكيم بن حزام و عواطفه تجاه المسلمين:

قد تقدم انهم يذكرون حكيم بن حزام فى جمله من كان يرسل الطعام سرا الى المسلمين فى شعب أبى طالب روى ذلک ابن اسحاق و غيره. (1).

و لكننا بدورنا نشک فى ذلک، فإن حكيم بن حزام كان من القوم الذين انتدبتهم قريش لقتل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليله الغار، و باتوا على باب النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يرصدونه بانتظار ساعه الصفر (2) و قد ردّ اللّه كيدهم الى نحورهم.

أضف إلى ذلک: أنه كان يحتكر جميع الطعام الذى كان يأتى إلى المدينه على عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (3). و كان من المؤلفه قلوبهم (4).

و من كانت له نفسيه كهذه، فانه يصعب عليه جود كهذا، خصوصا

1- راجع: سيره ابن هشام ج 1 ص 379 و غير ذلک من كتب السيره.
2- البحار ج 19 ص 31 و مجمع البيان ج 4 ص 537.
3- دعائم الاسلام ج 2 ص 35 و التوحيد للصدوق ص 389 و الوسائل ج 12 ص 316 و الكافى ج 5 ص 165 و التهذيب للطوسى ج 7 ص 160 و من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 266 ط جماعه المدرسين و الإستبصار ج 3 ص 15.
4- نسب قريش ص 231.

إذا كان معه تعريض نفسه لأخطار العداء مع قريش. إلا أن يكون يمارس ذلک بروحه الاحتکاريه التجاريه؛ فيبيع المسلمين الطعام باغلى الاثمان.

فيعرض نفسه لهذه الاخطار حبا بالمال.

و يكون حبه للمال، و تفانيه فى سبيله هو الذى يسهّل عليه كل عسير، و يذلّل له ركوب كل صعب و خطير.

اضف الى ذلک: أنه سوف يأتى حين الكلام على اسلام ابى طالب حين الكلام على ردّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هديه ملاعب الاسنه: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، قد ردّ هديته و هديه غيره، لأنها هديه من مشرک.

فلا يعقل: أن يقبلها الآن، و يردّها بعد ذلک. و إلا لاعترضوا عليه بقبوله لها قبل الآن.

إلا ان يدّعى: ان ابن حزام إنما كان يعطى الأطفال و النساء، و غيرهم من بنى هاشم المحصورين فى الشعب، و هؤلاء كانوا يقبلون ذلک منه، و إن كان النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لم يكن يقبل.

فتبقى ملاحظه: انه قد يكون انما ياتيهم بالطعام ليبيعهم إياه بأغلى الاثمان لا دافع لها.

و من ذلک كله يظهر أيضا: أنه لا يمكن الإطمئنان، و لا قبول قولهم: إن أبا العاص بن الربيع كان يفعل مثل ذلک آنئذ.

و نحن لا نستبعد: أن يكون للزبيريين يد فى تسجيل هذه الفضيله لحكيم بن حزام، لا سيما و أنه كان ممن تلكّأ عن بيعه أمير المؤمنين (عليه السلام)، و كان عثمانيا متصلبا (1). و قد أشرنا إلى ذلک حين الكلام حول

1- قاموس الرجال ج 3 ص 387.

ولاده أمير المؤمنين (عليه السلام) فى الكعبه، و حين الكلام عن افتعال الاكاذيب فى موضوع الوحى و كيفياته.

انشقاق القمر:

و فى السنه الثامنه من البعثه، حينما كان المسلمون محصورين فى شعب أبى طالب، كانت قضيه انشقاق القمر (1).

و قد جاء فى الروايات الكثيره: أن قريشا سألوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن يريهم آيه، فدعا اللّه فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم؛ فقالوا: هذا سحر مستمر، فأنزل اللّه تعالى: اقتربت الساعه و انشق القمر، و إن يروا آيه يعرضوا و يقولوا سحر مستمر (2).

و فى روايه: أنهم قالوا: انتظروا ما يأتيكم به السّفّار؛ فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلّهم، فجاء السفار، فسألوهم، فقالوا: نعم رأيناه، فأنزل اللّه: اقتربت الساعه و انشق القمر (3).

و نقل عن السيد الشريف فى شرح المواقف، و عن ابن السبكى فى شرح المختصر: أن الحديث متواتر لا يمترى فى تواتره عند أهل السنه (4).

و أما عند غيرهم، فيقول العلامه البحاثه السيد الطباطبائى ايده اللّه: (ورد انشقاق القمر لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى روايات الشيعه عن أئمه أهل البيت عليهم السلام كثيرا، و قد تسلّمه

1- تفسير الميزان ج 19 ص 62 و 64.
2- سوره القمر/ 1 و 2.
3- الدر المنثور ج 6 ص 133 عن ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن مردويه، و أبى نعيم، و البيهقى فى دلائلهما، و مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 122.
4- تفسير الميزان ج 19 ص 60.

محدثوهم، و العلماء من غير توقف (1))

و لكن على أيه حال .. لا يمكن أن تعتبر هذه المسأله من ضروريات الدين، كما اشار اليه بعض الاعلام (2).

شبهه، و حلها:

يقول العلامه الطباطبائى: (و اعترض عليها: بأن صدور المعجزه منه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) باقتراح من الناس، ينافى قوله تعالى: وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ، وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها، وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً) (3).

فمفاد هذه الآيه، إما أنا لا نرسل بالآيات إلى هذه الأمه اصلا، لأن الأمم السابقه كذبوا بها، و هؤلاء يماثلونهم فى طباعهم؛ فيكذبون بها، و لا فائده فى الارسال مع عدم ترتب الأثر عليه. أو المفاد؛ أنا لا نرسل بها، لأنا أرسلنا إلى أوليهم فكذبوا بها؛ فعذبوا بها؛ و اهلكوا. و لو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها، و عذبوا عذاب الاستئصال، لكنا لا نريد أن نعاجلهم بالعذاب. و على أى حال لا يرسل بالآيات إلى هذه الأمه، كما كانت ترسل إلى الامم الدارجه.

نعم، هذا فى الآيات المرسله باقتراح الناس، دون الآيات التى تؤيّد بها الرساله، كالقرآن المؤيد لرساله النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و كآيتى العصا، و اليد لموسى (عليه السلام)، و آيه احياء الموتى و غيرها لعيسى (عليه السلام)، و كذا الآيات النازله لطفا منه سبحانه،

1- تفسير الميزان ج 19 ص 61 و راجع باب المعجزات السماويه فى البحار، ج 17 ص 348- 359.
2- راجع: همه بايد بدانند (فارسى) ص 75.
3- الاسراء/ 59.

كالخوارق الصادره عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، لا عن اقتراح منهم الخ.

ثم أجاب أيده اللّه بما ملخصه: أن تكذيبهم بآيه انشقاق القمر كان يستدعى العذاب، لأنها آيه اقتراحيه منهم، و ما كان اللّه ليهلک جميع من أرسل نبيّه إليهم، و هم أهل الارض جميعا إلا بعد إتمام الحجه عليهم، و لم تتم الحجه بعد على جميع الناس ثم كذبوه، ثم طلبوا الآيه. بل تمت الحجه على بعض الأفراد من الذين كانوا يعيشون فى مكه، لأن هذه الآيه كانت قبل الهجره بخمس سنين هذا بالإضافه إلى أنه ما كان اللّه ليهلک جميع أهل مكه و من حولها، لأن فيهم جمعا كبيرا من المسلمين، قال تعالى: وَ لَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ، فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّهٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِى رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ، لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً (1).

و لم يتزيل المشركون عن المسلمين، و لا امتازوا عنهم.

كما أنه إذا كان الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بينهم فانه لا يعذبهم. قال تعالى: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ (2) و ما كان اللّه لينجى المؤمنين، و يهلک الكفار بعد ان آمن جمع كثير منهم فيما بين سنه ثمان من البعثه، و ثمان من الهجره، ثم اسلم عامتهم يوم الفتح. و الاسلام يكتفى فيه بظاهره.

و أيضا، فان عامه أهل مكه و من حولها لم يكونوا أهل جحود و عناد، و إنما كان ذلک فى عظمائهم و صناديدهم، الذين كانوا يستهزؤن به (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و يعذبون المؤمنين.

1- الفتح/ 25.
2- الأنفال/ 33.

و الآيات التى تبين أنهم لكونهم يصدون على المسجد الحرام، و لكونهم يستفزونه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من الارض ليخرجوه منها.

سوف ينشأ عنه أنهم لا يلبثون خلافه إلا قليلا، و ليذوقوا العذاب بما كانوا يكفرون (1)- هذه الآيات- قد تحقق مضمونها بما أصابهم يوم بدر من القتل الذريع.

فقوله تعالى: وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ الخ .. إنما يفيد الامساک عن إرسال الآيات ما دام النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فيهم، و اما إرسالها و تأخير العذاب إلى حين خروجه من بينهم فلا دلاله فيه عليه.

و قوله تعالى وَ قالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً- إلى أن قال-: قُلْ: سُبْحانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا (2). لا يدلّ على نفى تأييد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالآيات المعجزه، و انكار نزولها من الاساس. و إلا فان جميع الانبياء كانوا بشرا. و معنى الآيه: أنه من حيث هو بشر فانه لا يقدر على ذلک. و انما الأمر إلى اللّه تعالى فهو الذى يأتى بالآيات فى الحقيقه (3).

و يقول البعض: إن آيه: وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً لعلها ناظره إلى أن دعوه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليست معتمده على الآيات، التى هى من قبيل ناقه ثمود، و آيات موسى (عليه السلام)، بل هى تعتمد بالدرجه الاولى على الاقناع، و اقامه الحجه العقليه كدعوه ابراهيم، و ذلک لا ينافى صدور بعض الآيات فى الموارد التى لا تنفع فيها الحجج العقليه، و البراهين القطعيه.

1- راجع الاسراء/ 76 و الانفال/ 35.
2- الاسراء/ 93.
3- راجع فيما تقدم: تفسير الميزان ج 19 ص 60- 64.

انشقاق القمر، الحدث الكبير

و أوردوا على انشقاق القمر، بأنه لو انشق- كما يقال- لرآه جميع الناس، و لضبطه أهل الارصاد فى الغرب و الشرق، لكونه من اعجب الآيات السماويه، و الدواعى متوفره على استماعه و نقله.

و أجيب:

أولا: إن من الممكن أن يغفل عنه، فلا دليل على كون كل حادث أرضى أو سماوى معلوما للناس، محفوظا عندهم، يرثه خلف عن سلف (1).

و أوضح ذلک بعض الأعلام بما حاصله:

إنه لا بد من ملاحظه الأمور التاليه

1- إن هذا الانشقاق قد حصل فى نصف الكره الأرضيه، حيث يوجد الليل دون النصف الآخر، حيث يوجد النهار.

2- و فى هذا النصف لا يلتفت أكثر الناس إلى ما يحصل فى الاجرام السماويه إذا كان ذلک بعد نصف الليل، حيث الكل نائمون، فإنهم جميعا لا يتلفتون إلى ذلک.

3- و لربما يكون فى بعض المناطق سحاب يمنع من رؤيه القمر.

4- و الحوادث السماويه إنما تلفت النظر لو كانت مصحوبه بصوت كالرعد، أو بأثر غير عادى كقله نور الشمس فى الكسوف، إذا كان لمده طويله نسبيا.

5- هذا كله عدا عن أن السابقين لم يكن لهم اهتمام كبير بالسماء و مراقبه ما يحدث لاجرامها.

1- تفسير الميزان ج 19 ص 64.

6- و لم يكن ثمه وسائل إعلام تنقل الخبر من أقصى الأرض إلى أقصاها بسرعه مذهله؛ لتتوجه الانظار إلى ما يحدث.

7- و التاريخ الموجود بين أيدينا ناقص جدا، فكم كان فى تلك المئات و الآلاف من السنين الخاليه من كوارث و زلازل، و سيول عظيمه أهلكت طوائف و أمما، و ليس لها مع ذلک فى التاريخ أثر يذكر. بل إن زرادشت و قد ظهر فى دوله عظيمه، و له أثر كبير على الشعوب على مدى التاريخ، لا يعرف حتى أين ولد و مات و دفن، بل و يشک البعض فى كونه شخصيه حقيقيه، أو وهميه.

و بعد ما تقدم: يتضح أنه لا يجب أن يعرف الناس بانشقاق القمر، و لا أن يضبطه التاريخ بشكل واضح (1) كما هو معلوم.

و ثانيا: لم يكن فى المنطقه العربيه و غيرها مرصد للأوضاع السماويه، و إنما كانت المراصد موجوده فى المشرق و المغرب لدى الروم و اليونان، و غيرهما. و لم يثبت وجود مرصد فى هذا الوقت.

على أن بلاد الغرب، الذين كانوا معتنين بهذا الشأن بينها و بين مكه من اختلاف الأفق ما يوجب فصلا زمانيا معتدّا به. و قد كان القمر على ما فى بعض الروايات بدرا قد انشق حين طلوعه، و دام مده يسيره، ثم التأم، فيقع طلوعه فى بلاد المغرب و هو ملتئم ثانيا (2).

امكان الانشقاق و الالتيام علميا:

و يبقى هنا سؤال. و هو أنه هل يمكن علميا الانشقاق فى الاجرام السماويه؟، و إذا أمكن الانشقاق، فانما يمكن ببطلان التجاذب بين الشقتين حينئذ؛ فيستحيل الالتيام بعد الانشقاق.

1- همه بايد بدانند (فارسى) ص 94 للعلامه الشيخ ناصر مكارم الشيرازى.
2- تفسير الميزان ج 19 ص 64/ 65.

و أجيب عنه: بان خرق العاده بقدره اللّه سبحانه ليس محالا. كما أن العلماء يقولون: إنه قد حدثت انشقاقات كثيره فى الأجرام السماويه؛ بسبب عوامل خاصه، و من الأمثله على ذلک:

1- ان ثمه حوالى خمسه آلاف من القطع الكبيره و الصغيره التى تدور حول الشمس و يعتقد العلماء انها بقايا احدى السيارات التى كانت بين مدارى المريخ، و المشترى، ثم انفجرت لاسباب مجهوله و تحولت إلى قطع متفاوته الاحجام فى مدارات حول الشمس.

2- و يقولون: إن الشهب هى أحجار صغيره تسير بسرعه مذهله فى مدار حول الشمس. و ربما تتقاطع مع الارض أحيانا، فتجذبها الارض، فتصطدم بالجو الارضى فتشتعل ثم تتلاشى. و يقول العلماء: انها بقايا نجوم انفجرت و تشققت بهذا النحو.

3- و المنظومه الشمسيه أيضا يقال- حسب نظريه لا بلاس-: إنها كانت فى الاصل قطعه واحده، ثم انفجرت، لسبب غير معلوم فصارت على هذا النحو.

فلماذا لا ينشق القمر بسبب قاهر و هو القدره الالهيه، حيث إن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد دعا اللّه فاستجاب له.؟ و لم يدّع أحد أنه ينشق بلا سبب أصلا.

و أما عودته إلى الالتيام بعد ذلک. فقد قال العلماء: إن كل جرم كبير له جاذبيه. و لذلک نجد أن الشمس كثيرا ما تجذب بعض القطعات التى تدور حولها.

فتتحول تلک القطع بفعل الصدمه و الاحتكاک إلى لهب متلاش.

اذن، فما دام كل من شقى القمر قريبا إلى الآخر، و بعد رفع تأثير القوه المانعه من تأثير الجاذبيه، فلماذا لا يشد كل من النصفين النصف الآخر

إلى نفسه، ليعودا كما كانا، و أى محذور عقلى فى ذلک (1).

و قد أوجز العلامه الطباطبائى الاجابه عن سؤال امتناع الالتيام لعدم الجاذبيه، فقال: إن الاستحاله العقليه ممنوعه، و الاستحاله العاديه، بمعنى اختراق العاده، لو منعت عن الالتيام بعد الانشقاق، لمنعت أولا عن الانشقاق بعد الالتيام و لم تمنع. و أصل الكلام مبنى على خرق العاده (2).

دلاله الآيه القرآنيه على ذلک:

و يحتمل البعض: أن يكون قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ ناظرا إلى المستقبل، و أنه من أشراط الساعه، كتكوير الشمس، و انكدار النجوم.

و أجيب عنه بما حاصله:

أولا: إن ظاهر قوله تعالى: وَ إِنْ يَرَوْا آيَهً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا: سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ هو أن جماعه من مخالفى النبى لا يؤمنون بالآيات و كلما جاءتهم آيه يزيد عنادهم و استكبارهم، و يعتبرونها من السحر. مما يدل على أنه قد جرى له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) معهم فى قصه انشقاق القمر مثل ذلک.

ثانيا: إن جمله (انشق) فعل ماض، و لا يراد الاستقبال من الفعل الماضى إلا بقرينه، و هى غير موجوده. بل الموجود خلافه؛ فقد قال الرازى: (المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، و دلت الاخبار الصحاح عليه) (3)- و إن كان الطبرسى و ابن شهرآشوب يستثنيان:

1- كتاب: همه بايد بدانند ص 84- 90.
2- تفسير الميزان ج 19- 65.
3- التفسير الكبير للرازى ج 29 ص 28.

عطاء، و الحسن و البلخی (1). ثم قال: الطبرسی: و هذا لا یصح، لأن المسلمین أجمعوا علی ذلک، فلا یعتد بخلاف من خالف فیه (2).

و ان قیل: إن اقتران جمله: اقتربت الساعه: بجمله: و انشق القمر، یوحی بأن زمانهما واحد.

فالجواب هو: ان کثیرا من الآیات تؤکد علی أن الساعه قد قرب وقتها، فلم الغفله؟، قال تعالی: اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ، وَ هُمْ فِی غَفْلَهٍ مُعْرِضُونَ (3). و ینقل عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) انه قال: (بعثت اناَ و الساعه کهاتین) (4) و أشار الی اصبعیه. (و الظاهر: أن ذلک بملاحظه مجموع عمر الدنیا الطویل جدا، حتی لیصح أن یقال: إن هذا الفاصل الزمانی بین بعثته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و قیام الساعه لیس بشی ء).

و بعد هذا .. فان مفاد الآیه یکون: ان الساعه قد اقتربت، و هذه الآیه المعجزه قد ظهرت للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم). و لکن هؤلاء المشرکین المستکبرین لا یؤمنون، و لا یصدقون. بل یقولون: سحر مستمر (5).

و لکن بعض المحققین یقول: إن قوله تعالی: وَ إِنْ یَرَوْا آیَهً الخ .. جمله شرطیه، لا دلاله فیها علی وقوع ذلک. و جمله انْشَقَّ الْقَمَرُ مساقها مساق قوله تعالی: أتی أمر اللّه؛ فلا تستعجلوه، فانها جمله

1- مجمع البیان ج 9 ص 186 و مناقب آل أبی طالب ج 1 ص 122.
2- مجمع البیان ج 9 ص 186.
3- الأنبیاء/ 1.
4- نقله فی مفتاح کنوز السنه ص 227 عن البخاری، و مسلم، و ابن ماجه و الطیالسی، و أحمد، و الترمذی و الدارمی، فراجع.
5- راجع فی کل ما ذکرناه فی دلاله الآیه کتاب: همه باید بدانند (فارسی) ص 76- 80.

فعليه ماضويه. و لكن الأمر لم يأت بعد بقرينه قوله: فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ.

و كذا الحال فى قوله تعالى: وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ بملاحظه قوله تعالى: وَ إِنْ يَرَوْا إلخ. و المراد بيان حالهم لو وقع لهم أمر كهذا. و أما الاجماع الذى أدعاه الطبرسى؛ فلا حجيه فيه، إذ من المحتمل أن يكون منشؤه الفهم الخاطى ء للآيه. انتهى كلامه.

و نقول نحن: إن هذا الكلام له وجه، لو لم يكن لدينا أخبار صحيحه تدل على وقوع انشقاق القمر.

الاساطير:

هذا، و قد لعبت الأهواء و الاساطير فى قضيه شق القمر، حتى لقد شاع على ألسنه الناس: أن أحد شقى القمر قد مرّ من كمّ النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم). فيقول العلامه ناصر مكارم: إن هذا الكلام ليس له فى كتب الحديث و التفسير عين و لا أثر، سواء عند السنه، أو عند الشيعه.

و ثمه تفاصيل و خصوصيات تذكر فى بعض الروايات لا نرى فى تحقيق الحق فيها كبير نفع، و لا جليل أثر؛ و لذا فنحن نعرض عنها إلى ما هو أهم، و نفعه أعم.

نقض الصحيفه:

و بعد ثلاث سنوات تقريبا من حصر المسلمين فى شعب أبى طالب، أخبر النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عمه أبا طالب بأن الإرضه قد اكلت كل ما فى صحيفتهم من ظلم و قطيعه رحم و لم يبق فيها إلا ما كان اسما للّه (و فى نص آخر: انها قد اكلت كل اسم للّه تعالى فيها، و لم تبق إلا كل ظلم و شر، و قطيعه رحم. (1)).

1- و لربما يقال: إن استمرار قريش على عدائه (صلى اللّه عليه و آله)، إلى حين نقض الصحيفه، يدل على أن الأرضه إنما محت اسم اللّه تعالى. و ابقت قطيعه الرحم و سائر المواد التى اتفقوا عليها. و قد استبعد ذلک بأن أكل الارضه لأسم اللّه بعيد. فلعلهم التزموا بمضمونها و ان كانت قد محيت، أو أنهم أعادوا كتابتها. و لربما يرد على ذلک بأن الارضه إنما محت اسم اللّه

عنها تنزيها له عن أن يكون فى صحيفه ظالمه كهذه و هذا إعجاز مطلوب و راجح من أجل اظهار الحق، و ليس فى ذلک إهانه.

فخرج أبو طالب من شعبه، و معه بنو هاشم إلى قريش، فقال المشركون: الجوع أخرجهم.

و قالوا له: يا أبا طالب، قد آن لک أن تصالح قومک. قال: قد جئتكم بخير، ابعثوا إلى صحيفتكم، لعله أن يكون بيننا و بينكم صلح فيها.

فبعثوا، فأتوا بها. فلما وضعت و عليها أختامهم. قال لهم أبو طالب: هل تنكرون منها شيئا؟

قالوا: لا.

قال: إن ابن أخى حدثنى و لم يكذبنى قط: أن اللّه قد بعث على هذه الصحيفه الإرضه، فأكلت كل قطيعه و إثم، و تركت كل اسم هو للّه؛ فان كان صادقا أقلعتم عن ظلمنا، و إن يكن كاذبا ندفعه اليكم فقتلتموه.

فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ففتحت، ثم أخرجت، فإذا هى كما قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): فكبر المسلمون، و امتقعت وجوه المشركين.

فقال أبو طالب: أتبين لكم: أينا أولى بالسحر و الكهانه؟.

فأسلم يومئذ عالم من الناس.

و لكن المشركين لم يقنعوا بذلک، بل استمروا على العمل بمضمون

الصحيفه، حتى قام جماعه منهم بالعمل على نقضها، و يذكرون منهم:

هشام بن عمرو بن ربيعه، و زهير بن أميه بن المغيره، و المطعم بن عدى، و أبا البخترى بن هشام، و زمعه بن الاسود، و كلهم له رحم ببنى هاشم و المطلب. و تكلموا فى نقضها؛ فعارضهم أبو جهل فلم يلتفتوا الى معارضته، و مزقت الصحيفه، و بطل مفعولها.

و خرج الهاشميون حينئذ من شعب أبى طالب رضوان اللّه تعالى عليه (1).

حنكه أبى طالب، و ايمانه:

إن المطالع لأحداث ما قبل الهجره النبويه الشريفه ليجد عشرات الشواهد الداله على حنكه أبى طالب (عليه السلام).

و خير شاهد نسوقه الآن على ذلک، هو ما ذكرناه آنفا، حيث رايناه يطلب منهم أن يحضروا صحيفتهم، و يمزج ذلک بالتعريض بامكان أن يكون ثمه صلح فى ما بينهم و بينه. و ما ذلک إلا من أجل أن لا تفتح الصحيفه إلا علنا، يراها كل أحد، و أيضا، حتى يهيئهم للمفاجأه الكبرى، و يمهد السبيل أمام طرح الخيار المنطقى عليهم، ليسهل عليهم تقبله، ثم الالتزام به.

و لا سيما إذا استطاع أن ينتزع منهم وعدا بما يريد، و يضعهم أمام شرف الكلمه، و على محک قواعد النبل و احترام الذات، حسب المعايير التى كانوا يتعاملون على أساسها .. و قد نجح فى ذلک إلى حد بعيد،

1- راجع فيما تقدم: السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 44 و السيره النبويه لابن هشام ج 2 ص 16 و دلائل النبوه ط دار الكتب ج 2 ص 312 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 88 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 137 و 138 ط دار المعرفه و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 31 و البدايه و النهايه ج 3 ص 85 و 86.

حتى ليصيح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ثم تبرز لنا من النصوص المتقدمه حقيقه أخرى، لها أهميتها و انعكاساتها، و هى تدل مدى ثقه أبى طالب بصدق النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و بسداد أمره، و واقعيه ما جاء به. حتى لقد كان يتألم جدا من اتهام ابن أخيه بالسحر و الكهانه، و يعتبر ذلک افتراآ ظاهرا، و يغتنم الفرصه السانحه للتعبير عن خطل رأيهم، و سفه أحلامهم، فيقول لهم: (اتبين لكم: أينا أولى بالسحر و الكهانه؟). و كانت النتيجه: أن اسلم بسبب هذه المعجزه يومئذ عالم من الناس.

القبليه و آثارها:

و قد لا حظنا فيما سبق: أن القبليه قد ساعدت إلى حد ما فى منع الكثير من الأحداث التى تؤثر مستقبليا على الدعوه و نجاحها. و ليكن ما قام به هؤلاء الذين عملوا على نقض الصحيفه هو أحد الشواهد على ذلک.

و لكن الذى يلفت نظرنا هو أننا لا نرى أبا لهب فيمن قام فى ذلک أو ساعد عليه.

كما أننا لا نجد اثرا لابن عم خديجه حكيم بن حزام، الذى تدّعى الروايات!! أنه كان يرسل الطعام لهم و هم محصورون فى الشعب.

و أيضا لا نجد مكانا لابى العاص بن الربيع الأموى (!!)، الذى سوف يأتى حين الكلام على أسطوره تزويج على ببنت أبى جهل أنهم يدّعون (!!): ان النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أثنى على صهره!! تعريضا بعلى الذى لم يكن يستحق إلا التقريع و التعريض (!!). على الذى كان يخاطر بنفسه، و يأتى لهم بالطعام من مكه، و لو وجدوه لقتلوه، كما تقدم.

ما بعد نقض الصحيفه:

و استمر الرسول الاكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يعمل على نشر دينه، و أداء رسالته، و استمرت قريش تضع فى طريقه العراقيل، و تحاول أن تمنع الناس من الاجتماع به، و الاستماع اليه، بكل الوسائل التى تقع تحت اختيارها.

و النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يتحمل و يصبر. لا يكل و لا يمل. و لم تفلح قريش فى ذلک، و لا وصلت إلى نتيجه.

و الأحداث التى فى هذا السبيل كثيره، لو أردنا استقصاءها لطال بنا المقام. و لا محيص لنا عن تجاوزها إلى غيرها، و إن كان يعز ذلک علينا.

وفد من الحبشه:

و قدم على النبى الأعظم الاكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أول وفد من خارج مكه، و بالذات، من الحبشه، و من النصارى، و قيل: من نجران. و كان يتألف- على قول ابن اسحاق و غيره- من عشرين رجلا، و قيل غير ذلک. و كان على رأس الوفد جعفر بن أبى طالب رحمه اللّه (1).

فوجدوا النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى المسجد؛ فكلموه، و سألوه، و رجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبه، و بعد دعوه الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لهم إلى الاسلام آمنوا و صدقوا.

فلما قاموا، اعترضهم أبو جهل، و عنفهم على اسلامهم، و تركهم دينهم؛ فقالوا: سلام عليكم، لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه، و لكم ما انتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا؛ فأنزل اللّه تعالى: (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ

1- كذا قال البوطى فى فقه السيره ص 126 و مجمع البيان ج 7 ص 258 و يفهم منه أنهم قدموا مع جعفر حين قدومه نهائيا عام خيبر.

قَبْلِهِ، هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ، إلى قوله تعالى: إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَ قالُوا: لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ (1)).

و كانت هذه- بطبيعه الحال- ضربه قاسيه لقريش و كبريائها، و خططها و اهدافها. و خصوصا إذا كان ذلک الوفد قد جاء من الحبشه، و بالأخص بقياده جعفر (عليه السلام)؛ فان ذلک يعنى: أن الدعوه قد بدأت تأخذ طريقها إلى القلوب فى مناطق لا تخضع لقريش، و سلطانها، و نفوذها.

كما أنه إنذار لها بلزوم التحرک بسرعه قبل أن يفوت الاوان، و لكن كيف؟ و أنى؟. و هذا أبو طالب، و معه الهاشميون و المطلبيون يمنعون محمدا و يحوطونه. فلا بد إذن من الانتظار.

من مواقف أبى طالب:

و كان أبو طالب شيخ الأبطح (عليه السلام) هو الذى حامى و ناصر النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و حدب عليه منذ طفولته، و حتى الآن:

فقد نصره بيده و لسانه، و واجه المصاعب الكبيره، و المشاق العظيمه، فى سبيل الدفع عنه، و الذود عن دينه و رسالته، و اعطائها الفرصه للتوسع و الانتشار، ما وجدت الى ذلک سبيلا.

و هو أيضا الذى كان يقدمه على اولاده جميعا، و قد ارجعه بنفسه من بصرى الى مكه عندما حذره بحيرا من اليهود عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

نعم، و هو الذى رضى بعداء قريش له، و بمعاناه الجوع و الفقر،

1- الآيه فى سوره القصص من آيه 52 حتى آيه 55، و راجع الحديث فى سيره ابن هشام ج 2 ص 32، و تفسير ابن كثير، و القرطبى، و النيشابورى فى تفسير الآيات، و البدايه و النهايه ج 3 ص 82.

و النبذ الاجتماعی، و رأی الاطفال یتضاغون جوعا، حتی اقتاتوا ورق الشجر، بل لقد عبّر صراحه: عن انه علی استعداد لان یخوض حربا طاحنه، تأکل الاخضر و الیابس، و لا یسلم محمدا لهم، و لا یمنعه من الدعوه الی اللّه، بل هو لا یطلب منه ذلک علی الأقل.

و هو الذی یقف ذلک الموقف العظیم من جبابره قریش و فراعنتها، حینما جاءه النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)- و قد القت علیه قریش سلا ناقه- فأخذ رحمه اللّه السیف، و امر حمزه بان یاخذ السلا، و توجه الی القوم، فلما رأوه مقبلا عرفوا الشرّ فی وجهه، ثم أمر حمزه ان یلطّخ سبالهم، واحدا واحدا، ففعل. (1)

و فی نص آخر: انه نادی قومه، و امرهم بان یأخذوا سلاحهم؛ فلما رآه المشرکون ارادوا التفرق؛ فقال لهم: (و رب البنیه، لا یقوم منکم احد الا جللته بالسیف، ثم وجأ أنف من فعل بالنبی ذلک حتی ادماها- و فاعل ذلک هو ابن الزبعری- و امرّ بالفرث و الدم علی لحاهم. (2)

و فی الشعب کان یحرس النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بنفسه و ینقله من مکان إلی آخر. و یجعل ولده علیا (علیه السلام) فی موضع النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، حتی اذا کان امر اصیب ولده دونه و قد خاطب رحمه اللّه فی هذه المناسبه علیا (علیه السلام) بأبیات معبره،

1- الکافی نشر مکتبه الصدوق ج 1 ص 449 و منیه الراغب ص 75 و راجع السیره الحلبیه ج 1 ص 291 و 292 و السیره النبویه لدحلان مطبوع بهامش الحلبیه ج 1 ص 202 و 208 و 231 و البحار ج 18 ص 209.
2- راجع: الغدیر ج 7 ص 388 و 359 و ج 8 ص 3- 4 و ابو طالب مؤمن قریش ص 73 کلاهما عن العدید من المصدر و ثمرات الأوراق ص 285/ 286 و نزهه المجالس ج 2 ص 122 و الجامع لاحکام القرآن ج 6 ص 405، 406 و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 24/ 25.

و أجابه على (عليه السلام) بمثلها (1) فلتراجع.

و كان يدفع قريشا عنه باللين تاره، و بالشده اخرى. و ينظم الشعر السياسى، ليثير العواطف، و يدفع النوازل، و يهيى ء الاجواء لاعلاء كلمه اللّه، و نشر دينه، و حمايه اتباعه.

و قد افتقد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مره (فلم يجده؛ فجمع الهاشميين، و سلحهم، و اراد ان يجعل كل واحد منهم الى جانب عظيم من عظماء قريش ليفتک به، لو ثبت ان محمدا اصابه شر.) (2)

كل ذلک فى سبيل الدفع عن الرسول الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و نصر دينه، و اعلاء كلمته، و رفعه شأنه.

و واضح: ان الالمام بكل مواقف ابى طالب، و تضحياته الجسام يحتاج الى وقت طويل، و جهد مستقل و نحن نكتفى بهذه الاشاره، و نعترف اننا لم نقض حقه كما ينبغى (و ذلک من اجل ان نوفّر الفرصه لبحوث أخرى فى السيره النبويه الشريفه.

مع تضحيات أبى طالب رضوان اللّه عليه:

مما تقدم يظهر ان أبا طالب، شيخ الأبطح، كان على استعداد لأن:

1- يتخلى حتى عن مكانته فى قومه، إلى بديل آخر هو فى الاتجاه

1- المناقب لابن شهراشوب ج 1 ص 64/ 65 و أسنى المطالب ص 21 و لم يصرح بإسم (على) و كذا فى السيره الحلبيه ج 1 ص 342 و راجع البدايه و النهايه ج 3 ص 84 و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 44 و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج 2 ص 312 و تاريخ الاسلام ج 2 ص 140/ 141 و الغدير ج 7 ص 363 و 357 و 358 و ج 8 ص 3 و 4 و ابو طالب مؤمن قريش ص 194.
2- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 26. ابو طالب مؤمن قريش ص 171 و منيه الراغب ص 75/ 76 و الغدير ج 2 ص 49 و 350 و 351.

المضاد تماما، و هو العداء لهم، و سائر أهل بلده، بل و الدنيا بأسرها، بل هو يتحمل النفی و النبذ الاجتماعی له، و لکل من یلوذ به، و لا یستسلم للضغوط المتنوعه التی یتعرض لها، و لا تلین قناته، و لا تصدع صفاته.

2- یرضی بتحمل الجوع و الفقر و المحاصره الاقتصادیه، بل هو یبذل أمواله و کل ما لدیه فی سبیل هذا الدین.

3- یوطن نفسه علی خوض حرب طاحنه، ربما تنتهی بابادہ الهاشمیین و أعدائهم، إذا لزم الأمر.

4- یضحی حتی بولده الأصغر سنا علی علیه السلام و یتحمل آثار غربه ولده الآخر جعفر، المهاجر إلی الحبشه.

5- یجاهد بیده و لسانه، و یستخدم کل مالدیه من امکانات ماديه و معنویه، و لا یبالی بکافه الصعاب و المشاق، و هو یدافع عن هذا الدین، و یحوطه بالرعایه و العنایه، ما وجد إلی ذلک سبیلا.

سؤال و جوابه:

و یرد سؤال، هو: لماذا لا یکون ذلک کله بدافع عاطفی، و نابعا عن حمیه النسب و القبیله؟! أو علی حدّ تعبیر البعض: بدافع من (حبه الطبیعی) (1)؟.

و جوابه:

1- ما یأتی من ادله قاطعه علی ایمان ابی طالب علیه الصلاه و السلام و لا سیما اشعاره و تصریحاته الداله علی ذلک هذا بالإضافه إلی ما ورد عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و عن الأئمه من ولده فی حقه.

2- یؤید ذلک انه إذا کان محمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ابن

1- تفسیر ابن کثیر ج 3 ص 394.

اخيه؛ فان عليا ولده، فلو كانت العاطفه النسبيه هى الدافع، فلماذا يضحى بولده دون ابن أخيه، طائعا مختارا، بعد تفكير و تأمل و تدبر لعواقب ذلک؟ و لماذا يرضى بأن يكون الاغتيال- لو تم- موجها له دونه؟! أم يعقل أن يكون حبه الطبيعى لابن أخيه أكثر منه لولده، و فلذه كبده؟!.

3- أما الحميه القبليه، و الرابطه النسبيه، فلو كانت هى السبب فى موقفه ذاک، فلماذا لم تدفع أبا لهب لعنه اللّه لان يقف موقف ابى طالب (عليه السلام)؛ فيدفع عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و يضحى فى سبيله؛ حتى بولده، و بمكانته، و بكل ما يملک؟!.

بل لقد رأيناه من اشد الناس على النبى، و اكثرهم جرأه عليه، و ايذاء له.

و أما ساير بنى هاشم فانهم و إن دخلوا الشعب مع النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلا أن تضحياتهم فى سبيل النبى لم تبلغ عشر معشار تضحيات أبى طالب، كما انهم انما وقفوا هذا الموقف تحت تأثير نفوذ ابى طالب، و إصراره ..

و هكذا يتضح: ان حميه الدين اقوى من حميه النسب، و لذلک نرى المسلمين يصرحون بأنهم على استعداد لقتل آبائهم و اولادهم فى سبيل دينهم. و قد استأذن عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بقتل ابيه (1) و فى صفين أيضا لم يرجع الأخ عن اخيه حتى أذن له امير المؤمنين (ع) بتركه، (2) الى غير ذلک من الشواهد الكثيره.

4- ثم إنه لو كان أبو طالب يفعل ذلک من اجل الدنيا؛ فقد كان

1- تفسير الصافى ج 5 ص 180 و السيره الحلبيه ج 2 ص 64 و الدر المنثور ج 6 ص 24 عن عبد بن حميد، و ابن المنذر و الاصابه ج 2 ص 336.
2- صفين للمنقرى ص 271/ 272.

يجب ان يضحى بابن اخيه دون ولده، و يضحى به دون عشيرته؛ لانه يحصل على الدنيا من هذا الطريق؛ كما قتل المأمون أخاه، و سمّمت ام الهادى ولدها، لا أن يضحى بكل شى ء دونه، ثم تكون النتيجه هى: أن يدمّره و يدمر نفسه معه، فان هذا لا يصح فى منطق المصالح الدنيويه بايه صوره على الاطلاق.

5- و أيضا، فان الحميه القبليه- لو كانت- فانما تؤثر اثرها فى حدود مصالح القبيله، و الحفاظ على شؤونها، و مستقبلها اما اذا كانت هذه الحميه سببا فى تدمير القبيله و القضاء عليها، و تعطيل مصالحها، و تعريض مستقبلها للاخطار الجسام؛ فان هذه الحميه لا يمكن ان يفسح لها المجال، و لا ان يظهر لها اثر لدى عقلاء الرجال.

و هكذا يتضح: اننا لا يمكن ان نفسر مواقف ابى طالب (ع) تلك، الّا على انها بدافع عقيدى و ايمانى راسخ، يدفع الانسان للبذل و العطاء، لكل ما يملك فى سبيل دينه و عقيدته.

فصلوات اللّه و سلامه عليک يا ابا طالب، يا ابا الرجال، و يا رائد قوافل التضحيه و الفداء، فى سبيل الحق و الدين، و رحمه اللّه و بركاته.

عام الحزن:

و فى السنه العاشره من البعثه كانت وفاه الرجل العظيم، ابى طالب عليه الصلاه و السلام.

ففقد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بفقده نصيرا قويا، و عزيزا وفيا، كان هو الحامى له، و الدافع عنه، و عن دينه، و رسالته، كما اشرنا اليه.

ثم توفيت بعده بمده و جيزه- قيل: بثلاثه أيام، و قيل بعده بحوالى

شهر (1) خديجه أم المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليها، أفضل أزواج النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و أحسنهن سيره، و أخلاقا مع النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و قد كانت بعض نساء النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (و هى عائشه) تغار منها غيره شديده، كما سنرى، رغم أنها لم تجتمع معها فى بيت الزوجيه، لأن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد تزوجها بعد وفاه خديجه بزمان. (2)

و نستطيع أن نعرف: كم كان لأبى طالب (عليه السلام)، و لخديجه صلوات اللّه و سلامه عليهما من خدمات جلى فى سبيل هذا الدين من تسميه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عام وفاتهما ب:

(عام الحزن). (3)

الحب فى اللّه و البغض فى اللّه:

و من الواضح: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لم يكن ينطلق فى حبه لهما، و حزنه عليهما من مصلحته الشخصيه، أو من عاطفه رحميه، و إنما هو يحب فى اللّه تعالى، و فى اللّه فقط. و يقدّر أى إنسان، و يحزن لفقده، و يرتبط به روحيا و عاطفيا، بمقدار ارتباط ذلك الانسان باللّه، و قربه

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 346 و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 132 البدايه و النهايه ج 3 ص 127 و التنبيه و الاشراف ص 200.
2- البدايه و النهايه لابن كثير ج 3 ص 127- 128 و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 133- 135 صحيح البخارى ج 2 ص 202 و كتاب عائشه للعسكرى ص 46 فما بعدها. و قد ذكرنا بعض المصادر لذلك فى ما يأتى فى فصل: حتى بيعه العقبه، حين الكلام حول جمال عائشه و حظوتها.
3- سيره مغلطاى ص 26 و تاريخ الخميس ج 1 ص 301 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 56 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 139 ط دار المعرفه و اسنى المطالب ص 21.

منه، و تفانيه فى سبيله، و فى سبيل دينه و رسالته.

أى أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لم يتأثر على ابى طالب و خديجه؛ لأن هذه زوجته و ذاک عمه. و إلا فقد كان أبو لهب عمه أيضا.

و إنما لما لمسه فيهما من قوه إيمان، و صلابه فى الدين، و تضحيات و تفان فى سبيل اللّه، و العقيده. و فى سبيل المستضعفين فى الارض و لما خسرته الامه فيهما، من جهاد و اخلاص قلّ نظيره فى تلک الظروف الصعبه و المصيريه.

و قد المح النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الى ذلک حينما جعل موت ابى طالب و خديجه مصيبه للأمه بأسرها، كما هو صريح قوله فى هذه المناسبه:

(.. اجتمعت على هذه الأمه مصيبتان، لا أدرى بأيهما أنا أشدّ جزعا) (1).

نعم، و ذلک هو الأصل الاسلامى الأصيل، الذى قرره اللّه تعالى بقوله: (لا تجد قوما يؤمنون باللّه و اليوم الآخر، يوادّون من حادّ اللّه و رسوله، و لو كانوا آباءهم أو ابناءهم، أو إخوانهم أو عشيرتهم الخ (2)) و هل ثمه محادّه للّه و لرسوله أعظم من الشرک، الذى عبر اللّه عنه بقوله:

(إن الشرک لظلم عظيم) و (إن اللّه لا يغفر أن يشرک به، و يغفر ما دون ذلک)؟!

و الآيات و الروايات التى تؤكد على الحب فى اللّه و البغض فى اللّه كثيره تفوق حد الحصر فى عجاله كهذه.

و على هذا الأساس قال اللّه تعالى لنوح عن ولده: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ

1- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 35 ط صادر.
2- المجادله الآيه 22.

أَهْلِکَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَیْرُ صالِحٍ. (1)

و قال تعالی حکایه لقول ابراهیم (ع): فَمَنْ تَبِعَنِی فَإِنَّهُ مِنِّی (2)

و علی هذا الأساس أیضا کان سلمان الفارسی من أهل البیت.

قال (صلی اللّه علیه و آله و سلم): سلمان منا أهل البیت (3)

و قال أبو فراس:

کانت موده سلمان لهم رحماو لم تکن بین نوح و ابنه رحم

1- سوره هود الآیه 46.
2- سوره ابراهیم الآیه 36.
3- مصادر هذا الحدیث مذکوره فی کتابنا سلمان الفارسی فی مواجهه التحدی.

ص: 225

الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش

اشاره

إيمان أبى طالب «ره»:

و لا بدّ لنا هنا من الحديث بايجاز عن موضوع ما زال بين أخذ وردّ بين المسلمين. ألا و هو ايمان أبى طالب رحمه اللّه فمن مؤيد، و من منكر

فأما أهل البيت و شيعتهم، فانهم مجمعون على اسلامه (رحمه اللّه)، (1) بل فى بعض الاحاديث: أنه من الاوصياء (2). و أن نوره يطغى فى يوم القيامه على كل نور، ما عدا نور النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و الأئمه، و فاطمه (عليها السلام) (3)

و نحن و إن كنا لم نستطع أن نجزم بصحه هذه الأحاديث، إلا أن إيمانه باللّه، و تصديقه برسالته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و انقياده

1- روضه الواعظين ص 138، و أوائل المقالات ص 13 و الطرائف لابن طاووس ص 298 و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 165، و البحار ج 35 ص 138 و الغدير ج 7 ص 384 عنهم، و عن: التبيان ج 2 ص 398، و كتاب الحجه لابن معد ص 13، و مجمع البيان ج 2 ص 287.
2- الغدير ص 389 ج 7.
3- الغدير ج 7 ص 387 عن مصادر كثيره.

للأوامر و الزواجر الالهيه، كالنار على المنار، و كالشمس فى رابعه النهار.

و الأحاديث الداله على ايمانه، و الوارده عن أهل بيت العصمه كثيره، و قد جمعها العلماء فى كتب مفرده (1).

و واضح: أن أهل البيت أدرى بما فيه، من كل أحد. يقول ابن الأثير: (و ما أسلم من اعمام النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) غير حمزه و العباس، و أبى طالب عند أهل البيت) (2).

و عدا عن ذلک، فان الأدله الداله على إيمانه كثيره، و قد ألف فى اثبات ايمانه الكثير من الكتب من السنه و الشيعه على حد سواء. و قد انهاها بعضهم إلى ثلاثين كتابا، و منها كتاب: أبو طالب مؤمن قريش للاستاذ عبد اللّه الخنيزى، الذى كاد ان يدفع حياته ثمنا لهذا الكتاب؛ حيث حاول الوهابيون فى السعوديه تنفيذ حكم الاعدام فيه، بسبب كتابه هذا؛ فتداركه اللّه برحمته، و تخلص من شرّهم.

هذا عدا عن البحوث المستفيضه المبثوثه فى ثنايا الكتب و الموسوعات، و نخص بالذكر هنا ما جاء فى الغدير للعلامه الامينى قده ج 7 و 8.

و قد نقل العلامه الامينى عن جماعه من أهل السنه: أنهم ذهبوا الى ذلک أيضا، و كتبوا الكتب و البحوث فى اثبات ذلک، كالبرزنجى فى أسنى المطالب ص 6- 10 و الاجهورى، و الاسكافى، و أبى القاسم البلخى، و ابن وحشى فى شرحه لكتاب: شهاب الاخبار، و التلمسانى فى حاشيه الشفاء، و الشعرانى، و سبط ابن الجوزى، و القرطبى، و السبكى، و أبى طاهر، و السيوطى، و غيرهم.

1- و كان من الكتب الأخيره كتاب: منيه الراغب فى ايمان ابى طالب للشيخ الطبسى.
2- البحار ج 3 ص 139 و الغدير ج 7 ص 369.

بل لقد حكم عدد منهم- كابن وحشى و الاجهورى، و التلمسانى بأن من أبغض أبا طالب فقد كفر، أو من يذكره بمكروه فهو كافر (1).

بعض الادله على ايمان أبى طالب:

و قد استدل من قال بإسلامه بعده أدله، مثل:

أ- ما تقدم مما روى عن الائمه (عليهم السلام)، و النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مما يدل على ايمانه، و هم أعرف بأمر كهذا من كل أحد.

ب- ما تقدم من مناصرته للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و تحمله تلك المشاق و الصعاب العظيمه، و تضحيته بمكانته فى قومه، و حتى بولده، و توطينه نفسه على خوض حرب طاحنه تأكل الاخضر و اليابس. و لو كان كافرا؛ فلماذا يتحمل كل ذلک؟! و لماذا لم نسمع عنه و لو كلمه عتاب أو تذمر مما جرّه عليه محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؟!.

و احتمال: أنه كان يطمع بمقام أعظم.

غير وجيه، فانه كان حينئذ قد بلغ من الكبر عتيّا، حيث إنه قد توفى عن بضع و ثمانين سنه، و هو يرى: موقف قومه منه، و من النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كيف هو، و لا يأمل أن يعيش إلى حيث يبلغ مثل ذلک المقام، كما أنه لا يجد الفرصه كبيره لنيل ابن أخيه لذلک المقام بعده.

ج- و قد استدل سبط ابن الجوزى على ايمانه بأنه- كما نقل- لو كان أبو علىّ كافرا لكان شنع عليه معاويه و حزبه، و الزبيريون و أعوانهم، و سائر أعدائه (عليه السلام)، مع أنه (عليه السلام) كان يذمهم و يزرى عليهم بكفر الآباء و الامهات، و رذاله النسب (2).

1- راجع: الغدير ج 7 ص 382 و 383 و غير ذلک.
2- راجع: أبو طالب مؤمن قريش 272/ 273 ط سنه 1398 ه. عن تذكره الخواص.

د- تصريحاته و أقواله الكثيره جدا؛ فانها كلها ناطقه بايمانه و اسلامه. و يكفى أن نذكر نموذجا من أشعاره التى عبر عنها ابن أبى الحديد المعتزلى بقوله: إن كل هذه الاشعار قد جاءت مجيى ء التواتر، من حيث مجموعها (1).

و نحن نذكر هنا اثنى عشر شاهدا من شعره، على عدد الائمه المعصومين من ولده عليه و عليهم السلام، تبركا و تيمنا، و الشواهد هى:

1- ألم تعلموا: أنا وجدنا محمدانبيا كموسى خط فى أول الكتب

2- نبى أتاه الوحى من عند ربه و من قال: لا، يقرع بها سنّ نادم

3- يا شاهد اللّه على فاشهدإنى على دين النبى أحمد

4- أنت الرسول رسول اللّه نعلمه عليک نزّل من ذى العزه الكتب

5- أنت النبى محمدقرم أغر مسود

6- أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبى كموسى أو كذى النون

7- و ظلم نبى جاء يدعو إلى الهدى و أمر أتى من عند ذى العرش قيم

8- لقد أكرم اللّه النبى محمدافأكرم خلق اللّه فى الناس أحمد

9- و خير بنى هاشم أحمدرسول الإله على فتره (2)

10- و اللّه لا أخذل النبى و لايخذله من بنى ذو حسب 11- و قال رحمه اللّه يخاطب ملک الحبشه، و يدعوه الى الإسلام.

أتعلم ملک الحبش أن محمدانبيا كموسى و المسيح ابن مريم

أتى بالهدى مثل الذى أتيا به فكل بأمر اللّه يهدى و يعصم

و انكم تتلونه فى كتابكم بصدق حديث لا حديث الترجم

1- شرح النهج ج 14 ص 78 و البحار ج 35 ص 165.
2- و قيل: ان قائل هذا البيت هو طالب بن أبى طالب. راجع: شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 78. إلا ان يقال إنه قاله على سبيل التمثّل بشعر أبيه (رحمه اللّه).

فلا تجعلوا للّه ندا فأسلموافان طريق الحق ليس بمظلم 12- و قال مخاطبا ولده حمزه رحمه اللّه:

فصبرا أبا يعلى على دين أحمدو كن مظهراً للدين وفقت صابرا

و حط من أتى بالحق من عند ربه بصدق و عزم لا تكن حمز كافرا

فقد سرنى أن قلت: انک مؤمن فكن لرسول اللّه فى اللّه ناصرا

و باد قريشا فى الذى قد أتيته جهارا، و قل: ما كان أحمد ساحرا و أشعار ابى طالب الناطقه بايمانه كثيره، و قد اقتصرنا منها على هذا القدر؛ لنفسح المجال لذكر لمحه عن سائر ما قيل، و يقال فى هذا الموضوع.

ه- قال المعتزلى: (قلت: كان صديقنا على بن يحيى البطريق (رحمه اللّه) يقول: لو لا خاصه النبوه و سرها لما كان مثل أبى طالب، و هو شيخ قريش، و رئيسها، و ذو شرفها، يمدح ابن أخيه محمدا و هو شاب قد ربى فى حجره. و هو يتيمه و مكفوله، و جار مجرى أولاده بمثل قوله:

و تلقوا ربيع الابطحين محمداعلى ربوه فى رأس عنقاء عيطل

و تأوى اليه هاشم إن هاشماعرانين كعب آخر بعد أول و مثل قوله:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للارامل

يطيف به الهلاک من آل هاشم فهم عنده فى نعمه و فواضل فان هذا الاسلوب من الشعر لا يمدح به التابع و الذنابى من الناس، و إنما هو من مديح الملوک و العظماء. فإذا تصورت: أنه شعر أبى طالب، ذاک الشيخ المبجل العظيم فى محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم). و هو

شاب مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد رباه فى حجره غلاما، و على عاتقه طفلا، و بين يديه شابا. يأكل من زاده، و يأوى إلى داره، علمت موضع خاصيه النبوه و سرّها، و أن أمره كان عظيما (1).

كما أن قصيدته اللاميه تلك التى يقول فيها: و ابيض يستسقى الخ.

و هى طويله، و كان بنو هاشم يعلمونها أطفالهم (2) فيها الكثير مما يدل على إيمانه العميق الصادق، و قد ذكرها ابن هشام و ابن كثير، و غيرهم.

و- لقد رأينا أبا طالب الذى يدعو ملك الحبشه إلى الاسلام، هو الذى دعا ولده جعفرا و أمره بأن يصل جناح ابن عمه فى الصلاه. (3) و هو ايضا الذى دعا زوجته فاطمه بنت أسد إلى الاسلام (4) و أمر حمزه بالثبات على هذا الدين، و أظهر سروره باسلامه، و كذلک الحال بالنسبه لولده أمير المؤمنين (عليه السلام). إلى غير ذلک مما يجده المتتبع لكلامه و مواقفه فى المناسبات المختلفه.

ز- و قد صرح ابو طالب فى وصيته بأنه كان قد اتخذ سبيل التقيه فى شأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و ان ما جاء به الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد قبله الجنان و انكره اللسان؛ مخافه الشنآن. و اوصى قريشا بقبول دعوه الرسول و متابعته على امره، ففى ذلک

1- شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 63 و ماذا فى التاريخ ج 3 ص 196/ 197 عنه.
2- مقاتل الطالبيين ص 396.
3- راجع: الاوائل لابى هلال العسكرى ج 1 ص 154، و روضه الواعظين ص 140 و شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 269 و السيره الحلبيه ج 1 ص 269 و أسنى المطالب ص 17 و الإصابه ج 4 ص 116 و أسد الغابه ج 1 ص 287 و الغدير ج 7 ص 357.
4- شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 272.

الرشاد و السعاده (1).

ح- ثم هناک ترحم النبی صلی الله علیه و آله وسلم علیه، و استغفاره له باستمرار، و جزعه علیه عند موته (2) و واضح: أنه لا یصح الترحم إلا علی المسلم، و لأجل ذلک قال (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لسفانه بنت حاتم الطائی:

لو کان أبوک مسلما لترحّمنا علیه (3).

ط- و کیف یحکمون لزید بن عمرو بن نفیل ابن عم عمر بن الخطاب، و لولده سعید بن زید، و لورقه بن نوفل، و قس بن ساعده.

و لابی سفیان الذی ما زال کهفا للمنافقین، و الذی ستأتی لمحه عن تصریحاته و مواقفه فی أواخر غزوه أحد کیف یحکمون لهؤلاء بالاسلام.

بل یروون عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): أنه قال عن أمیه بن أبی الصلت: انه کاد أن یسلم فی شعره (4).

و یقول الشافعی عن صفوان بن أمیه: (و کان کأنه لا یشک فی اسلامه) لأنه حین سمع یوم حنین قائلا یقول: غلبت هوازن، و قتل محمد، قال له: (بفیک الحجر، فو اللّه، لرب قریش أحب الی من رب هوازن.)

نعم، کیف یحکمون لکل هؤلاء بالاسلام، و هم لم یدرکوا الاسلام، أو أدرکوه و لم یسلموا، أو اظهروا الاسلام، و أبطنوا الکفر.

1- الروض الأنف ج 2 ص 171 و ثمرات الاوراق ص 94 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 300/ 301 و السیره الحلبیه ج 1 ص 352 و البحار ج 35 ص 107 و الغدیر ج 7 ص 366 عن مصادر أخری.
2- تذکره الخواص ص 8.
3- السیره الحلبیه ج 3 ص 205.
4- صحیح مسلم ج 7 ص 48- 49، و الاغانی ط ساسی ج 3 ص 190. و التراتیب الاداریه ج 1 ص 213.

ثم يحكمون بالكفر على ابى طالب الذى ما فتى ء يؤكد و يصرح عشرات المرات، فى أقواله و فى افعاله، و يعلن بالشهاده للّه بالوحدانيه، و لنبيه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالنبوه و الرساله؟!.

و ان حال ابى طالب مع الأمويين و أشياعهم مثل حال النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مع المشركين الذين حكى القرآن عنهم بقوله: وَ قالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً. أَوْ تَکُونَ لَکَ جَنَّهٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً. أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ کَما زَعَمْتَ عَلَيْنا کِسَفاً، أَوْ تَأْتِىَ بِاللّهِ وَ الْمَلائِکَهِ قَبِيلًا أَوْ يَکُونَ لَکَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِى السَّماءِ، وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا کِتاباً نَقْرَؤُهُ الخ .. (1).

و الأمويون و أشياعهم يقولون: لن نقرّ بإيمان هذا الرجل و لو تضافرت على ذلک کل الأدله و الشواهد، و حتى لو نص اللّه و رسوله عليه، فبئس الخلف من الأمويين و اشياعهم لبئس السلف من طواغيت الجاهليه و عتاتها.

ى- و بعد کل ما تقدم نقول:

إن اسلام أى شخص أو عدمه، إنما يستفاد من أمور اربعه:

1- من مواقفه العمليه، و مواقف ابى طالب، قد بلغت الغايه التى ما بعدها غايه فى الوضوح و الدلاله على اخلاصه و تفانيه فى الدفاع عن هذا الدين.

2- من اقراراته اللسانيه بالشهادتين، و يکفى أن نشير إلى ذلک القدر الکثير منها فى شعره فى المناسبات المختلفه.

3- و إما من موقف ممثل الاسلام و رائد الحق النبى الاعظم (صلى

1- الإسراء: 90- 93.

اللّه علیه و آله و سلم) منه. و الموقف الرضی أیضا ثابت منه (علیه السلام) تجاه أبی طالب علی اکمل وجه.

4- من إخبار المطلعین علی أحواله عن قرب، و عن حس، کاهل بیته، و من یعیشون معه. و قد قلنا: انهم مجمعون علی ذلک.

بل إن نفس القائلین بکفره لما لم یستطیعوا إنکار مواقفه العملیه، و لا الطعن بتصریحاته اللسانیه، حاولوا: أن یشبهوا علی العامه بکلام مبهم، لا معنی له؛ فقالوا: (إنه لم یکن منقادا (1))!!.

کل ذلک رجما بالغیب، و افتراء علی الحق و الحقیقه، من أجل تصحیح ما رووه عن المغیره بن شعبه و امثاله من أعداء آل أبی طالب کما سنشیر إلیه حین الکلام علی الأدله الواهیه إن شاء اللّه تعالی.

و من أجل أن نوفی أبا طالب بعض حقه، نذکر بعض ما یدل علی إیمانه- من مصادر غیر الشیعه عموما- و نترک سائره، و هو یعد بالعشرات، لأن المقام لا یتسع لأکثر من أمثله قلیله معدوده، و هی.

1- قال العباس: یا رسول اللّه، ما ترجو لأبی طالب؟ قال: کل الخیر أرجوه من ربی (2).

2- جاء ابو بکر بأبیه أبی قحافه إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یقوده، و هو شیخ أعمی، یوم فتح مکه. فقال رسول اللّه: ألا ترکت الشیخ فی بیته حتی نأتیه؟! قال: أردت أن یؤجره اللّه. لأنا کنت باسلام أبی طالب أشد فرحا منی باسلام أبی، التمس بذلک قره عینک الخ (3).

1- راجع: سیره دحلان ج 1 ص 44- 47، و الاصابه ج 4 ص 116- 119.
2- الاذکیاء ص 128 و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 68، و طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 79، و البحار ج 35 ص 151 و 109.
3- مجمع الزوائد ج 6 ص 174 عن الطبرانی و البزار، و حیاه الصحابه ج 2 ص 344 عن المجمع، و الاصابه ج 4 ص 116 و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 69.

و العلامه الامینی فی الغدیر، لا یوافق علی أن یکون الرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد قال لأبی بکر ذلک، و قد بحث ذلک بحثا جیدا، و نحن نوافقه فی ذلک أیضا. و ربما تکون هذه العباره زیاده من بعض المتزلفین، کما عودونا فی امثال هذه المناسبات.

3- قال المعتزلی: (روی باسأنید کثیره، بعضها عن العباس بن عبد المطلب، و بعضها عن أبی بکر بن أبی قحافه: أن أبا طالب ما مات حتی قال: لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه (1)).

و تقدم فی شعره تصریحات کثیره بذلک أیضا.

4- و لقد ترحم علیه و دعا له النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و استغفر له، حتی فی المدینه حینما استسقی لاهلها فجاءهم الغیث فذکر أبا طالب، و استغفر له علی المنبر (2) و لما مات ابو طالب تبع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) جنازته مع انهم یروون النهی عن المشی فی جنازه المشرک. کما أنهم یروون أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أمر علیا بأن یغسّله و یکفنه و یواریه (3)، و انما لم یأمره بالصلاه علیه لأن صلاه

1- شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 71، و راجع: الغدیر ج 7 ص 369 عن البدایه و النهایه ج 3 ص 123، و سیره ابن هشام ج 2 ص 87 و الاصابه ج 4 ص 116، و عیون الاثر ج 1 ص 131، و المواهب اللدنیه ج 1 ص 71 و السیره الحلبیه ج 1 ص 372 و السیره النبویه لدحلان بهامشها ج 1 ص 89، و اسنی المطالب ص 20 و دلائل النبوه للبیهقی و تاریخ أبی الفداء ج 1 ص 120 و کشف الغمه للشعرانی ج 2 ص 144.
2- راجع: عیون الانباء ص 705.
3- راجع: فی کل ذلک تذکره الخواص ص 8 و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 81، و السیره الحلبیه ج 1 ص 147 و المصنف ج 6 ص 38، و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 87، و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 35، و طبقات ابن سعد ج 1 ص 78 و تاریخ بغداد للخطیب ج 3 ص 126، و ج 13 ص 196 و تاریخ ابن کثیر ج 3 ص 125، و الطرائف لابن طاووس ص 305 عن الحنبلی فی نهایه الطلب و البحار

الجنازه لم تكن فرضت بعد. و لاجل ذلک قالوا: إن خديجه لم يصل عليها النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حينما توفيت، مع انها سيده نساء العالمين.

5- لقد رثاه ولده على (عليه السلام) حينما توفى بقوله:

أبا طالب عصمه المستجيرو غيث المحول و نور الظلم

لقد هدّ فقدک أهل الحفاظفصلى عليک ولى النعم

و لقّاک ربک رضوانه فقد كنت للطهر من خير عم (1) 6- و كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) رساله مطوله لمعاويه جاء فيها: (ليس أميه كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبو سفيان كأبى طالب، و لا المهاجر كالطليق، و لا الصريح كاللصيق) (2).

فإذا كان أبو طالب كافرا و أبو سفيان مسلما، فكيف يفضل الكافر على المسلم ثم لا يردّ عليه ذلک معاويه بن أبى سفيان؟.

و لكن الحقيقه هى عكس ذلک تماما؛ فان أبا سفيان هو الذى

1- تذكره الخواص ص 9.
2- وقعه صفين لنصر بن مزاحم ص 471 و الفتوح لابن أعثم ج 3 ص 260، و نهج البلاغه الذى بهامشه شرح الشيخ محمد عبده ج 3 ص 18 الكتاب رقم 17 و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 117 و الامامه و السياسه ج 1 ص 118، و الغدير ج 3 ص 254 عنهم، و عن: ربيع الابرار للزمخشرى باب 66، و عن مروج الذهب ج 2 ص 62. و راجع أيضا: الفتوح لابن اعثم ج 3 ص 260 و مناقب الخوارزمى الحنفى ص 180.

قال: (إنه لا یدری ما جنه و لا نار) کما سیأتی فی أواخر غزوه أحد.

و یلاحظ هنا أیضا: أن أمیر المؤمنین یشیر فی کلامه الآنف الذکر إلی عدم صفاء نسب معاویه، و لهذا البحث مجال آخر.

7- و حمل محمد بن الحنفیه یوم الجمل علی رجل من أهل البصره، قال: فلما غشیته قال: أنا علی دین أبی طالب، فلما عرفت الذی أراد کففت عنه. (1)

8- و ورد عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أیضا قوله: إذا کان یوم القیامه شفعت لأبی، و أمی و عمی أبی طالب، و أخ لی کان فی الجاهلیه (2).

9- و عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): إن اللّه عز و جل قال له علی لسان جبرئیل: حرمت النار علی صلب أنزلک، و بطن حملک، و حجر کفلک. أما الصلب فعبد اللّه، و أما البطن فآمنه، و أما الحجر فعمه، یعنی أبا طالب، و فاطمه بنت أسد. و بمعناه غیره مع اختلاف یسیر (3).

10- و سئل الإمام السجاد (علیه السلام) عن إیمان أبی طالب، فقال: واعجبا، إن اللّه نهی رسوله أن یقر مسلمه علی نکاح کافر؛ و قد کانت فاطمه بنت أسد من السابقات إلی الاسلام، و لم تزل تحت أبی

1- طبقات ابن سعد ج 5 ص 67 ط لیدن.
2- ذخائر العقبی ص 7 عن تمام الرازی فی فوائده، و الدرج المنیفه للسیوطی ص 8 و مسالک الحنفا ص 14 عن ابی نعیم و غیره و ذکر أن الحاکم صححه، و تفسیر القمی ج 1 ص 380 و تفسیر البرهان ج 2 ص 358 و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 35 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 232.
3- أصول الکافی ج 1 ص 371 و البحار ج 35 ص 109 و التعظیم و المنه للسیوطی ص 27 و راجع: روضه الواعظین ص 139 و شرح النهج ج 14 ص 67 و الغدیر ج 7 ص 378 عنهم، و عن: کتاب الحجه لابن معد ص 8، و تفسیر أبی الفتوح ج 4 ص 210.

طالب حتی مات (1).

و نزول آیه النهی عن الامساک بعصم الکوافر فی المدینه، لا یضر و لا یوجب بطلان هذه الروایه، لا مکان أن یکون النهی عن ذلک بالقول علی لسانه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قبل نزول القرآن. و عدم خضوع بعض المسلمین لذلک حینئذ ربما کان لظروف معینه فرضت علیهم ذلک.

11- و أخیرا، فقد کتب بعضهم یسأل الإمام علی بن موسی الرضا (علیه السلام) عن اسلام أبی طالب، فانه قد شک فی ذلک، فکتب (علیه السلام) إلیه: وَ مَنْ یُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُ الْهُدی، وَ یَتَّبِعْ غَیْرَ سَبِیلِ الْمُؤْمِنِینَ (2) الآیه. و بعدها: إنک إن لم تقر بإیمان أبی طالب کان مصیرک إلی النار (3).

11- و سیأتی فی غزوه بدر: ان الرسول الأکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)) لم یقبل من شهید بدر عبیده بن الحارث أن یعرّض بعمه أبی طالب، و لو بمثل أن یقول: إنی أولی بما قال منه:

کذبتم و بیت اللّه یبزی محمدو لمّا نطاعن دونه و نناضل

و نسلمه حتی نصرّع دونه و نذهل عن أبنائنا و الحلائل فإذا کان النبی یغضب و لو لمثل هذا التعریض، فهل تراه سوف یکون مسرورا بمن یحکم علی عمه بالشرک، و یجعله فی ضحضاح من نار یغلی منه دماغه؟ إلی آخر ما هنالک؟!.

1- شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 68، و الغدیر ج 7 ص 381 و 389 عنه و عن: کتاب الحجه ص 24، و الدرجات الرفیعه، و ضیاء العالمین، و ادعی تواتر هذا الحدیث عندنا.
2- النساء الایه/ 115.
3- شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 68 و الغدیر ج 7 ص 381 و 394 عن الکراجکی ص 80، و کتاب الحجه لابن معد ص 16، و الدرجات الرفیعه و البحار و ضیاء العالمین.

و حسبنا ما ذكرناه من الامثله الناطقه باسلام أبى طالب، و من أراد التوسع فعليه بالكتب المعده لذلک.

الأدله الواهيه.

اشاره

و قد استدل القائلون بكفر أبى طالب- و العياذ باللّه- بروايات و أدله واهيه، و نحن نشير هنا إلى عمده ما اعتمدوا عليه فى ذلک، و هى:

1- حديث ابن الضحاح:

عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و قد ذكر عنده عمه، فقال: لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامه، فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه. و حسب نص آخر: ان العباس قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): ما أغنيت عن عمک، فواللّه، كان يحوطک و يغضب لک، قال: هو فى ضحضاح من نار، و لو لا أنا لكان فى الدرک الاسفل من النار (1).

و نقول:

أ- لقد ناقش كل من الامينى و الخنيزى (2) جميع أسانيد هذه الروايه، و بينا و هنها و ضعفها، و تناقض نصوصها العجيب. و نحن نحيل القارى ء الذى يرغب فى التوسع إلى ما ذكره هذان العالمان حول هذا

1- صحيح البخارى ط سنه 1309 ج 2 ص 209، و ج 4 ص 54، و المصنف ج 6 ص 41، و انساب الاشراف بتحقيق المحمودى ج 2 ص 29 و 30. و صحيح مسلم، كتاب الايمان، و طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 79، و مسند أحمد ج 1 ص 206 و 207، و البدايه و النهايه ج 3 ص 125، الغدير ج 8 ص 23 عن بعضهم، و عن عيون الاثر ج 1 ص 132، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 66.
2- راجع: الغدير ج 8 ص 23/ 24 و أبو طالب مؤمن قريش.

الموضوع.

ب- إنه إذا كان (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد نفع أبا طالب، و أخرجه من الدرک الأسفل إلى الضحضاح؛ فلماذا لا يتمم معروفه، و يخرجه من هذا الضحضاح أيضا؟!.

و ايضا هل تكون الشفاعه فى الدنيا؟!.

ج- لقد رووا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) طلب منه حين وفاته: أن يقول كلمه لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه؛ ليستحل له بها الشفاعه يوم القيامه، فلم يعطه إياها. فهذا يدل على أنه قد أناط (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مطلق الشفاعه بكلمه لا إله إلا اللّه (1). فلماذا استحل هذه الشفاعه، مع أنه لم يعطه الكلمه التى توجب حليتها؟!.

ثم أ و ليس يروون: أن الشفاعه لا تحل لمشرک؟ فلماذا حلّت لهذا المشرک بالذات، بحيث أخرجته من الدرک الاسفل إلى الضحضاح؟ (2).

د- قال المعتزلى، نقلا عن الاماميه و الزيديه: (قالوا: و أما حديث الضحضاح؛ فانما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد، و هو المغيره بن شعبه، و بغضه لبنى هاشم، و على الخصوص لعلى (عليه السلام) مشهور معلوم، و قصته و فسقه غير خاف) (3).

و لكننا نجدهم يروونه عن غير المغيره أيضا، كما فى البخارى

1- الترغيب و الترهيب ج 4 ص 433 عن أحمد بسندين صحيحين، و عن البزار، و الطبرى باسانيد أحدها جيد و ابن حبان فى صحيحه و راجع: الغدير ج 2/ 25.
2- مستدرک الحاكم ج 2 ص 336، و تلخيصه للذهبى و صححاه و المواهب اللدنيه ج 1 ص 71 و الغدير ج 8 ص 24 عنهما و عن كنز العمال ج 7 ص 128، و شرح المواهب للزرقانى ج 1 ص 291 و كشف الغمه للشعرانى ج 2 ص 124، و تاريخ أبى الفداء ج 1 ص 120.
3- شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 70 و البحار ج 35 ص 112.

و غیره، فلعل روایه غیر المغیره قد حدثت فی وقت متأخر، فان من غیر المعقول أن یورد الشیعه علی غیرهم بذلک إن لم یکن له واقع .. و قد سکت المعتزلی علی ردّهم هذا، و کأنه یحتمل ما احتملناه و لو وسعه الرد لفعل.

ه- و سئل الإمام الباقر (علیه السلام) عما یقوله الناس: إن أبا طالب فی ضحضاح من نار؛ فقال: لو وضع إیمان أبی طالب فی کفه میزان، و ایمان هذا الخلق فی کفه أخری لرجح ایمانه. ثم قال: ألم تعلموا: أن أمیر المؤمنین علیا (علیه السلام) کان یأمر أن یحج عن عبد اللّه، و ابنه، و أبی طالب فی حیاته، ثم اوصی فی وصیته بالحج عنهم (1).

و- سئل علی (علیه السلام) فی رحبه الکوفه عن کون ابیه معذبا فی النار أو لا، فقال للسائل: مه، فضّ اللّه فاک، و الذی بعث محمدا بالحق نبیا، لو شفع ابی فی کل مذنب علی وجه الارض لشفعه اللّه فیهم.

أبی معذب فی النار، و ابنه قسیم الجنه و النار؟ (2)

ز- یلاحظ: وجود التناقض فی روایات الضحضاح، فواحده تقول: لعله تنفعه شفاعتی؛ فیجعل فی ضحضاح یوم القیامه. و اخری تجزم بأنه قد جعل فی الضحضاح بالفعل. فراجع

2- إرث عقیل لابی طالب:

و استدلوا: بأن ولده عقیل هو الذی ورثه، و لم یرثه علی و جعفر،

1- شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 68، و الدرجات الرفیعه ص 49، و البحار ج 35 ص 112 و الغدیر ج 8 ص 380- 390 عنهما و عن کتاب الحجه للسید ص 18 من طریق شیخ الطائفه عن الصدوق، و الفتونی فی ضیاء العالمین.
2- البحار ج 35 ص 110 و کنز الفوائد ص 80 ط حجریه.

لأنه كان مشركا و هما مسلمان. فهما من ملتين مختلفتين، و اهل ملتين لا يتوارثان (1).

و لكن ذلک لا يصح أيضا.

فأولا: من أين ثبت لهؤلاء: أن عليا و جعفرا لم يرثاه.

و ثانيا: إن قوله أهل ملتين لا يتوارثان.

نقول بموجبه؛ لأن التوارث تفاعل، و لا تفاعل عندنا فى ميراثهما، و اللفظ يستدعى الطرفين، كالتضارب، فانه لا يكون إلا من اثنين، فان الصحيح هو مذهب أهل البيت من أن المسلم يرث الكافر، و لا يرث الكافر المسلم (2).

و ثالثا: لقد روى عن عمر قوله: (أهل الشرک نرثهم و لا يرثونا (3)) و قد حكم كثير من العلماء بأن ميراث المرتد للمسلمين لا يصح؛ و قالوا:

نرثهم و لا يرثونا (4).

و رابعا: إنهم يقولون: ان الميراث فى وقت موت أبى طالب لم يكن قد فرض بعد، و إنما كان الامر بالوصيه؛ فلعل أبا طالب قد أوصى لعقيل محبه له (5).

3- و هم ينهون عنه، و ينأون عنه:

لقد ذكروا: أن آيه: و هم ينهون عنه، و ينأون عنه، قد نزلت فى أبى

1- المصنف ج 6 ص 15، و ج 10 ص 344، و فى هامشه أى هامش السادس عن البخارى ج 3 ص 293، و طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 79.
2- راجع شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 69.
3- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج 10 ص 339 و ج 6 ص 106.
4- المصنف لعبد الرزاق ج 6 ص 106 (107 و 105 و ج 10 ص 338 حتى ص 341.

5- راجع: أسنى المطالب ص 62.

طالب، الذى كان ينهى الناس عن أذى الرسول، و ينأى عن أن يدخل فى الاسلام (1).

و نقول:

أ- لقد تحدث الأستاذ الخنيزى حول أسانيد هذه الروايه بما فيه الكفايه (2) فليراجعه من أراد.

ب- إن هذه الآيه لا تنطبق على أبى طالب بأى وجه؛ حيث إن اللّه تعالى يقول قبلها: وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَهٍ لا يُؤْمِنُوا بِها، حَتَّى إِذا جاؤُکَ يُجادِلُونَکَ، يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ. وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ الخ .. (3).

فضمائر الجمع، ككلمه: (هم)، و فاعل (ينهون) و (ينأون) كلها ترجع إلى من ذكرهم اللّه فى تلك الآيه. و هم المشركون، الذين إن يروا كل آيه لا يؤمنوا بها، و يجادلون الرسول فى هذه الآيات، و يصفونها من عنادهم بأنها ليست سوى اساطير الأولين. و لا يقف عنادهم عند هذا و حسب، بل يتجاوزه إلى أنهم: ينهون الناس عن الاستماع إلى النبى، كما أنهم هم أنفسهم يبتعدون عنه.

و هذه الصفات كلها لا تنطبق على أبى طالب، الذى لم نجد منه إلا التشجيع على اتباع النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و النصره له باليد و اللسان. بل يطلب من غيره أن يدخل فى هذا الدين. و أن يتمسک به

1- الاصابه ج 4 ص 115، و تفسير ابن كثير ج 2 ص 127، و طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 78، و بهجه المحافل ج 1 ص 116 و انساب الاشراف بتحقيق المحمودى ج 2 ص 26 و الغدير ج 8 ص 3 عنهم و عن: تفسير الخازن ج 2 ص 11، و تفسير ابن جزى ج 2 ص 6، و عن الطبرى و الكشاف. و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج 2 ص 340 و 341.
2- أبو طالب مؤمن قريش ص 305/ 306.
3- الانعام/ 25- 26.

و يصبر عليه، كما كان الحال بالنسبه لزوجته، و لحمزه، و جعفر، و على، و ملک الحبشه حسبما تقدم.

كما أن المفسرين قد فهموا من الآيه عمومها لجميع الكفار، و أن معناها: ينهون عن استماع القرآن، و اتباع الرسول، و يتباعدون عنه.

و هذا هو المروى عن ابن عباس، و الحسن، و قتاده، و أبى معاذ، و الضحاک، و ابن الحنفيه، و السدى، و مجاهد، و الجبائى، و ابن جبير (1).

ج- و يقول الأمينى: إن تلک الروايه تقول: إن آيه الانعام: وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ إلخ .. قد نزلت حين وفاه أبى طالب (عليه السلام)، و تقول روايه أخرى: إن آيه: إِنَّکَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ الخ .. قد نزلت حين وفاته أيضا، مع أن هذه الآيه قد وردت فى سوره القصص التى نزلت قبل الانعام،- التى نزلت جمله واحده- (2) بخمس سور. و هذا يدل على أن سوره الأنعام قد نزلت بعد وفاه أبى طالب بمده. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 3 245 3 - و هم ينهون عنه، و ينأون عنه: ..... ص : 243

إذن، فما معنى قولهم: إنها نزلت حين وفاته (عليه السلام)؟!.

د- انهم يقولون: ان سوره الانعام قد نزلت دفعه واحده و كانت أسماء بنت يزيد ممسكه بزمام ناقته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (3) و ذلک

1- راجع: مجمع البيان ج 7 ص 35، و 36، و تفسير ابن كثير ج 2 ص 127 و الغدير ج 8 ص 3، و الدر المنثور ج 3 ص 8 و 9 كلهم- كلا أو بعضا عن القرطبى، و الطبرى، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن أبى شيبه و ابن مردويه و عبد بن حميد، و القرطبى ج 6 ص 406.
2- الدر المنثور ج 2 ص 3، و فتح القدير ج 3 ص 91/ 92، و تفسير ابن كثير ج 2 ص 122 و الغدير ج 8 ص 5 عنهم و عن تفسير القرطبى ج 6 ص 382/ 383 كلهم عن: ابى عبيد، و ابن المنذر، و الطبرانى، و ابن مردويه، و النحاس.
3- الدر المنثور ج 3 ص 2 عن الطبرانى، و ابن مردويه. و قد ذكر فى ص 2 و 3 نزولها جمله واحده فى مكه أو باستثناء آيه أو آيتين ليست الآيه المذكوره واحده منها فراجع ما رواه عن عشرات الحفاظ مثل البيهقى فى

شعب الایمان، و الخطیب فی تاریخه، و ابی الشیخ، و ابن المنذر، و النحاس فی ناسخه، و عبد الرزاق، و الفریابی،

انما كان بعد بيعه العقبه، التى كانت بعد وفاه ابى طالب بمده طويله.

4- آيه النهى عن الاستغفار للمشرک:

روى البخارى و مسلم، و غيرهما: عن ابن المسيب، عن ابيه، روايه تتلخص فى أن النبى طلب من أبى طالب حين وفاته أن يقول كلمه لا إله إلا اللّه ليحاج بها له عند اللّه. فقال له أبو جهل، و عبد اللّه بن أميه:

أترغب عن مله عبد المطلب؟ فلم يزل الرسول يعرضها عليه، و يقولان له ذلک، حتى قال أبو طالب آخر كلمه: على مله عبد المطلب، و أبى أن يقول: لا إله إلا اللّه.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): و اللّه لأستغفرن لک ما لم أنه عنک، فأنزل اللّه: ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ، وَ لَوْ كانُوا أُولِى قُرْبى، مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ). (1) و انزل اللّه فى ابى طالب: إِنَّکَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ (2).

و لا نريد أن نناقش فى أسانيد هذه الروايه (3)، المقطوعه، و لا نريد أن نفيض فى الدلائل و الشواهد على أن ابن المسيب فضلا عن غيره متهم

1- التوبه/ 113.
2- القصص/ 56 و الروايه فى البخارى ط سنه 1309 ج 3 ص 111، و غير ذلک.
3- راجع فى ذلک: أبو طالب مؤمن قريش 313- 340 و انساب الاشراف بتحقيق المحمودى ج 2 ص 25 و 26. و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج 2 ص 342 و 343.

على على (عليه السلام)، كما نص عليه البعض (1). و لكننا نشير إلى ما يلى:

أولا: إن آيه النهى عن الاستغفار للمشرک قد وردت فى سوره التوبه، و لا ريب فى كونها من أواخر ما نزل عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى المدينه، بل لقد ادّعى البعض أنها آخر ما نزل (2). و لا يعقل أن تكون هذه الآيه قد بقيت أكثر من عشر سنوات منفرده، و القرآن ينزل، حتى نزلت سوره التوبه، فأضيفت إليها، لأن الآيات التى كانت تلحق بالسور انما تلحق بما نزل سابقا عليها، و كان ذلک فى الأكثر فى السور الطوال، التى كانت تنزل أجزاء متتابعه دون سائر السور التى كانت تنزل دفعه واحده.

فكيف بقى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يستغفر لابى طالب طيله هذه المده، و يترحم عليه؟! مع أن ذلک من اظهر مصاديق المودّه للكافر، و قد نهى اللّه عن مودتهم فى آيات كثيره، نزلت قبل سوره التوبه كما فى قوله تعالى: لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ، وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ، أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ (3).

و قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ (4).

1- الغارات للثقفى ج 2 ص 569.
2- الغدير ج 8 ص 10 و أبو طالب مؤمن قريش ص 341 عن: البخارى، و الكشاف، و البيضاوى، و تفسير ابن كثير و الإتقان، و ابن أبى شيبه و النسائى و ابن الضريس، و ابن المنذر، و النحاس، و أبى الشيخ، و ابن مردويه.
3- المجادله/ 22، و قد نزلت قبل التوبه بسبع سور كما فى الاتقان ج 1 ص 11 و فى تفسير ابن كثير ج 4 ص 329، و فتح القدير ج 5 ص 186 و الغدير ج 8 ص 10 عنهم و عن تفسير الآلوسى ج 28/ 37 و اخرجه ابن أبى حاتم، و الطبرانى و الحاكم و البيهقى و ابو نعيم: أنها نزلت فى بدر أو فى أحد.
4- النساء/ 144.

و قوله تعالى: الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ (1).

و قوله تعالى: لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ (2) إلى غير ذلک مما لا مجال لتتبعه.

ثانيا: قال تعالى: فى سوره المنافقين، التى نزلت فى غزوه بنى المصطلق، سنه ست على ما هو المشهور، و نزلت قبل سوره التوبه على كل حال: سَواءٌ عَلَيْهِمْ، أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ.

فإذا كان النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يعرف ان اللّه لن يغفر لهم، سواء استغفر لهم ام لا، فلماذا يتعب نفسه فى امر لا نتيجه له؟؛ فان ذلک امر لا يقرّه العقلاء، و لا يقدمون عليه.

ثالثا: إننا نجد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه يقول: (اللهم لا تجعل لفاجر و لا لفاسق عندى نعمه (3)).

كما أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد ردّ هديه حكيم بن حزام؛ لأنه كان مشركا، قال عبيد اللّه: حسبت انه قال: إنا لا نقبل من المشركين شيئا، و لكن ان شئت اخذناها بالثمن (4).

و ردّ أيضا هديه عامر بن الطفيل، لأنه لم يكن قد اسلم بعد. ورد

1- النساء/ 139.
2- سوره آل عمران الآيه 28.
3- راجع ابو طالب مؤمن قريش للخنيزى.
4- مستدرک الحاكم ج 3 ص 484 و تلخيصه للذهبى بهامش نفس الصفحه، و صححاه حياه الصحابه ج 2 ص 258 و 259 و 260 عن كنز العمال و عن مجمع الزوائد ج 8 ص 278 و كنز العمال ج 6 ص 57 و 59 عن احمد و الطبرانى، و الحاكم و سعيد بن منصور. و التراتيب الاداريه ج 2 ص 86 و يلاحظ هنا: انه (صلى اللّه عليه و آله) حين الهجره لا يقبل ناقه أبى بكر إلا بالثمن.

أيضا هديه ملاعب الأسنه، و قال: لا أقبل هديه مشرک (1).

عن عياض المجاشعی: انه اهدی إلی النبی هديه فأبی قبولها، و قال: انی نهيت عن زبد المشرکين (2).

و لم يکن ذلک منه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) إلا لأنه يوجب احتراما و موده من النبی (صلی اللّه عليه و آله و سلم) له.

إلا ان الکشی ذکر روايه تقول: (ان رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) لم يرد هديه علی يهودی و لا نصرانی) (3).

و هذا إن صح يشير إلی الفرق بين هديه الکتابی و هديه المشرک فکان صلی الله عليه و آله وسلم يرد هديه الثانی دون الأول و ذلک يدل علی عدم صحه قوله لهم: إنه صلی الله عليه و آله وسلم فی هدنه الحديبيه استهدی أبا سفيان أدما (4).

و قد يکون ذلک لأجل الفرق بين المشرک و الکتابی- لو صحت هذه الروايه- فکان (صلی اللّه عليه و آله و سلم) يقبل هديه الثانی دون الأول.

و بعد ما تقدم، فإننا نعرف عدم صحه قولهم ان النبی قد استهدی من أبی سفيان أدما، و ذلک أيام هدنه الحديبيه.

1- کنز العمال ج 3 ص 177 طبعه اولی عن ابن عساکر ط ثانيه ج 6 ص 57 عن الطبرانی و المصنف لعبد الرزاق ج 1 ص 446 و 447 و فی الهامش عن مغازی ابن عقبه و مجمع البيان المجلد الاول ص 535.
2- کنز العمال ج 6 ص 57 و 59 عن ابی داود و الترمذی و صححه و احمد و الطيالسی و البيهقی، و راجع ما عن عمران بن حصين فی الکنز نفس الجلد و الصفحه و المصنف لعبد الرزاق ج 10 ص 447 و فی الهامش عن ابی داود و احمد و عن الترمذی ج 2 ص 389. و راجع الوسائل ج 12 ص 216 عن الکافی و المعجم الصغير ج 1 ص 9.
3- رجال الکشی ط جامعه طهران ص 610 و البحار ج 50 ص 107 و الوسائل ج 12 ص 217.
4- راجع التراتيب الاداريه ج 1 ص 198 عن الاستيعاب.

و رابعا: لقد روى بسند صحيح- كما يقول الأمينى- عن على: أنه سمع رجلا يستغفر لأبويه، و هما مشركان؛ فذكر على (عليه السلام) ذلک للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فنزلت الآيه المذكوره (1).

و فى أخرى: ان المسلمين قالوا: ألا نستغفر لآبائنا؟ فنزلت (2).

و فى روايه: انها نزلت حينما استأذن (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اللّه فى الاستغفار لأمه فلم يأذن له، و نزلت الآيه، فسأله أن يزور قبرها، فأذن له (3).

و إن كنا نعتقد: أن الروايه الأخيره بعيده عن الصحه لاعتقادنا بأن أم النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كانت مؤمنه موحده، كما أسلفناه فى بحث ايمان آبائه (صلى اللّه عليه و آله و سلم). و لكنها على أى حال مناقضه لما تقدم فلعل الرواه طبقوها على هذا المورد، اجتهادا عمديا او سهويا منهم، و الصحيح هو النص المتقدم عن على (عليه السلام). و إلا

1- الغدير ج 8 ص 12، و غيره عن: الطيالسى، و ابن أبى شيبه، و أحمد، و الترمذى، و النسائى، و أبى يعلى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابى الشيخ، و ابن مردويه، و الحاكم و صححه، و البيهقى فى شعب الايمان، و الضياء فى المختاره، و الاتقان، و اسباب النزول، و تفسير ابن كثير، و الكشاف، و اعيان الشيعه، و اسنى المطالب ص 18، لدحلان و ابو طالب مؤمن قريش، و شيخ الابطح و مسند أحمد ج 1 ص 130/ 131.
2- مجمع البيان ج 5 ص 76 عن الحسن، و تفسير ابن كثير ج 2 ص 393، و ابو طالب مؤمن قريش ص 348، عنهما و عن الاعيان ج 39 ص 158 و 159 عن ابن عباس و الحسن، و الكشاف ج 2 ص 246.
3- تفسير الطبرى ج 11 ص 31، و الدر المنثور ج 3 ص 283، و ارشاد السارى ج 7 ص 282 و 158 عن مسلم فى صحيحه، و تفسير ابن كثير ج 2 ص 394 و أحمد فى مسنده، و أبو داود فى سننه، و النسائى، و ابن ماجه، و الحاكم، و البيهقى، و ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و ابن مردويه و الكشاف ج 2 ص 49. و ابو طالب مؤمن قريش ص 349.

فلماذا نسى النبى الاستغفار لامه إلى آخر أيام حياته؟ هذا عدا عما تقدم.

و خامسا: إن آيه لا تهدى من أحببت، يقال: إنها نزلت يوم احد، حينما كسرت رباعيته، و شج وجهه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فقال:

اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون، فانزل اللّه: إنک لا تهدى من أحببت إلخ (1).

و قيل: إنها نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل، الذى كان الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يرغب فى اسلامه، بل لقد ادّعى الاجماع على ذلک (2).

سادسا: إذا كان النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يحب إيمان أبى طالب فاللّه يحب ذلک أيضا، لأن الرسول لا يحب إلا ما أحب اللّه.

و قولهم: كان (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يكره إيمان وحشى، ثم آمن، لا يصح؛ لأن هذا من نوع التضاد بين الرسول و المرسل، لو لم يتوافقا، و إذا توافقا، فكيف يمكن أن يكره اللّه و رسوله إيمان أحد (3).

و سابعا: ان قوله تعالى: لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ لا يمنع من ايمان ابى طالب، فإن اللّه قد شاء الهدايه لأبى طالب ايضا كما دلّت عليه النصوص.

و الآيه انما تريد تعليم النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): ان محبته لهدايه شخص غير كافيه. بل لا بد معها من مشيئه اللّه سبحانه.

و أخيرا، فان عبد المطلب لم يكن كافرا و لا مشركا حسبما قدمنا،

1- راجع التراتيب الإداريه ج 1 ص 198 عن الإستيعاب. أبو طالب مؤمن قريش ص 368 عن أعيان الشيعه ج 39 ص 259 و الحجه ص 39. و لربما يأتى بعض مصادر ذلک فى وقعه أحد.
2- أبو طالب مؤمن قريش ص 369 عن شيخ الابطح ص 69.
3- راجع هامش أنساب الأشراف ج 2 ص 28 عن الدكتور زرزور فى مقدمته على تفسير الحاكم الجشمى.

بل كان مؤمنا على دين الحنيفيه. و قد صرح المسعودى فى بعض كتبه بانه قد مات مسلما (1). فقول ابى طالب: بل على مله عبد المطلب لا يدل على كفره؛ فلو كان قد قال ذلک حقا. فلا بد أن يكون قد قال ذلک تعميه على قريش، لمصالح يراها لا بد من ملاحظتها فى تلک الفتره.

الوجبه الأخيره:

كان ما تقدم هو عمده ما استدل به القائلون بكفر ابى طالب، و العياذ باللّه، و قد رأينا: أنه لا يستطيع أن يثبت أمام النقد الواعى و الدقيق. و قد بقيت بعض الروايات، التى يمكن الاستدلال بها على ذلک. و ليس فيها أيضا ما ينفع أو يجدى و نحن نشير إليها باختصار شديد؛ فنقول: إنهم قد رووا أيضا:

1- أن الرسول قال لابى بكر حول ما ينجى من الوسوسه: (ينجيكم من ذلک: أن تقولوا مثل الذى أمرت به عمى عند الموت؛ فلم يفعل، يعنى شهاده أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا رسول اللّه (2)).

و فى روايه عن عمر: إن كلمه التقوى التى ألاص عليها نبى اللّه عمه أبا طالب عند الموت: شهاده إلخ (3).

و نقول:

أ- ان من الواضح: ان الذين يسألونه عما ينجى من الوسوسه كانوا يقولون تلک الكلمه، و يشهدون الشهادتين، و لكنهم كانوا- مع ذلک-

---

1- الروض الانف ج 2 ص 170/ 171.
2- حياه الصحابه ج 2 ص 540/ 541 و كنز العمال ج 1 ص 259- 260- 261 عن أبى يعلى و البوصيرى فى زوائده، و عن طبقات ابن سعد ج 2 ص 312.
3- مجمع الزوائد ج 1 ص 15، و كنز العمال ج 1 ص 262 و 63 عن أبى يعلى، و ابن خزيمه، و ابن حبان و البيهقى و غيرهم كثير جدا.

مبتلين بالوسوسه فكيف يأمرهم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بقولها للنجاه من ذلک؟!.

إلا ان يكون المراد: كثره التلفظ بها و تكرارها.

و لكن ربما يقال: إن اراده هذا المعنى بعيد عن مساق الروايه.

ب- إن نفس هذه الروايه مرويه بسند صحيح، و تفيد: أن الخلاف كان بين سعد و عثمان، و أن الذى حكم بينهما هو عمر بن الخطاب، و ذكر: دعوه ذى النون: (لا إله إلا أنت سبحانک انى كنت من الظالمين).

و لم يذكر أبا طالب (1).

2- لما مدّ أبو قحافه يده ليسلم بكى أبو بكر، فقال له صلى الله عليه و آله وسلم : ما يبكيک؟ قال: لأن تكون يد عمک مكان يده، و يسلم، و يقر اللّه به عينک أحب إلى من أن يكون (2).

و نقول:

أ- قد تقدمت هذه الروايه بنحو يدل على ايمان أبى طالب عن عدد من المصادر، فلا نعيد.

ب- قد جاء أنه لما اسلم أبو قحافه لم يعلم أبو بكر باسلامه، حتى بشره النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بذلک (3) فكيف يكون أبو بكر قد قال ذلک حين مدّ يده؟!.

1- مجمع الزوائد ج 7 ص 68 عن أحمد و رجاله رجال الصحيح، باستثناء ابراهيم بن محمد بن سعد و هو ثقه، و حياه الصحابه عنه و عن الترمذى و عن الكنز ج 1 ص 298 عن أبى يعلى و الطبرانى- و صحح.
2- الاصابه ج 4 ص 116 و الحاكم و صححه على شرط الشيخين، و عن عمر بن شبه و ابى يعلى، و أبى بشر سمّويه فى فوائده، و نصب الرايه ج 6 ص 281/ 282 عن عدد من المصادر فى هامشه، و المصنف ج 6 ص 39، و فى هامشه عن ابن أبى شيبه ج 4 ص 142 و 95 و أبى داود 458 و مسند أحمد ج 1 ص 131.

3- المحاسن و المساوى ء ج 1 ص 57.

3- لما توفى ابو طالب، جاء على إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و قال له: إن عمک الشيخ الضال قد توفى.

و فى روايه أن عليا رفض ما أمره به النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من تغسيله، و دفنه، فأمر أن يتولى ذلک غيره (1).

و نقول:

أ- قد روى أحمد فى مسنده هذه الروايه، و فيها: إن عمک الشيخ قد توفى، من دون ذكر كلمه (الضال) (2).

ب- و لو لم يكن مؤمنا فلماذا يأمر بتغسيله؟.

ثم كيف يأمر عليا بتغسيله و لا يأمر عقيلا، أو طالبا اللذين كانا مشركين؟. إلا أن يقال: إنهما لم يكونا على استعداد لإطاعته.

ج- كيف يتناسب هذا مع كونه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد حزن، و ترحم عليه، و دعا له، و عارض جنازته، و مشى فيها، مع أنهم يروون: أنه لا يجوز المشى فى جنازه المشرک؟! (3).

د- هل صحيح: أن عليا (عليه السلام) رفض تنفيذ ما أمره به النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، حتى احتاج لأن يأمر بأن يتولى ذلک غيره؟ فهل كان على يملک نفسيه متمرده كهذه النفسيه؟ حاشاه!

ه- ماذا يصنع هؤلاء بما ورد عن كثير من المصادر من أن عليا عليه السلام هو نفسه قد تولى تغسيله و دفنه، و اغتسل

1- المصنف ج 6 ص 39 و راجع كنز العمال ج 17 ص 32 و 33 و نصب الرايه ج 2 ص 281 و 282 و فى هامشه عن عدد من المصادر.
2- مسند الامام أحمد ج 1 ص 129/ 130 و انساب الأشراف بتحقيق المحمودى ج 2 ص 24 و فيه أنه أمره هو فواراه.
3- قد تقدمت بعض مصادر ذلک فى أوائل هذا البحث، و عن عدم جواز المشى فى جنازه المشرک، راجع كتب الحديث كسنن البيهقى و غيره.

بعد تغسيله إياه غسل المس الواجب من مس كل ميت مسلم (1).

خطابيات و أرجاز المدينى:

و بعد ما تقدم، إذا كان أبو طالب مسلما مصدقا؛ فلا يصغى لأرجاز و خطابيات أمثال المدينى، غير الموافقه للعقل و الدين. و لا يفيدهم تملقهم البارد، و لا تظاهرهم بالصلاح، حتى ليقول المدينى: (وددت أن ابا طالب كان اسلم، فسرّ به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و أنى كافر (2))!!.

سرّيه إيمان أبى طالب:

إننا إذا تتبعنا سير الدعوه، و مواقف أبى طالب فاننا نجد: أنه كان بادى ء ذى بدء يكتم إيمانه، تماما كمؤمن آل فرعون، و الظاهر أنه قد استمر يظهر ذلک تاره، و يخفيه أخرى إلى أن حصر الهاشميون فى الشعب، فصار يكثر من اظهار ذلک.

و قد ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله: (إن مثل أبى طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الايمان و اظهروا الشرک، فآتاهم اللّه اجرهم مرتين (3)).

و عن الشعبى، يرفعه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: كان و اللّه أبو طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف مؤمنا مسلما يكتم إيمانه؛

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 301.
2- عيون الاخبار ج 1 ص 263 لابن قتيبه.
3- أمالى الصدوق ص 551، و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 70، و أصول الكافى ج 1 ص 373، و روضه الواعظين ص 139، و البحار ج 35 ص 111 و الغدير ج 7 ص 380- 390 عنهم و عن: الحجه لابن معد ص 17 و 115 و تفسير أبى الفتوح ج 4 ص 212، و الدرجات الرفيعه، و ضياء العالمين.

مخافه على بنى هاشم أن تنابذها قريش. و كذا عن ابن عباس (1).

و قد تقدم: أن محمد بن الحنفيه حمل فى حرب الجمل على رجل من اهل البصره، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين ابى طالب، فلما عرفت الذى اراد كففت عنه (2).

و ثمه أحاديث أخرى عديده بهذا المعنى لا مجال لذكرها (3).

و لكن لا بد أن نذكر روايه أخرى، و لعلها هى الأقرب الى واقع الأمر، و هى ما ذكره الشريف النسابه العلوى، المعروف بالموضح، باسناده: أن أبا طالب لما مات لم تكن الصلاه على الموتى، فما صلى النبى عليه، و لا على خديجه، و إنما اجتازت جنازه أبى طالب، و على و جعفر (4)، و حمزه جلوس، فقاموا، و شيعوا جنازته، و استغفروا له.

فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا و أقاربنا المشركين أيضا- ظنا منهم أن أبا طالب مات مشركا؛ لأنه كان يكتم إيمانه فنفى اللّه عن أبى طالب الشرك، و نزّه نبيه، و الثلاثه المذكورين (رحمهم اللّه) عن الخطأ فى قوله: ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ، وَ لَوْ كانُوا أُولِى قُرْبى.

فمن قال بكفر أبى طالب، فقد حكم على النبى بالخطأ و اللّه تعالى قد نزهه عنه فى أقواله و افعاله الخ (5).

1- الغدير ج 7 ص 388 عن كتاب الحجه ص 24 و 94 و 115. و راجع أمالى الصدوق ص 550.
2- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 5 ص 67.
3- راجع الغدير ج 7 ص 338- 390 عن: الفصول المختاره ص 80 و اكمال الدين ص 103، و كتاب الحجه لابن معد عن أبى الفرج الاصفهانى.
4- لقد كان جعفر بالحبشه، فإما أن يكون قد جاء فى زياره قصيره ثم رجع. و إما أن يكون الراوى قد ذكره من عند نفسه سهوا أو عمدا.
5- الغدير ج 7 ص 399 عن كتاب الحجه لابن معد ص 68.

ضروره سريه إيمان شيخ الابطح:

و نستطيع أن نقول: إن سريه إيمان أبى طالب كانت ضروره لا بد منها؛ لأن الدعوه كانت بحاجه إلى شخصيه إجتماعيه قويه تدعمها، و تحافظ على قائدها، شرط أن لا تكون طرفا فى النزاع. فتتكلم من مركز القوه لتتمكن الدعوه من الحركه، مع عدم مواجهه ضغط كبير يشل حركتها، و يحد من فاعليتها.

قال ابن كثير و غيره: (إذ لو كان اسلم أبو طالب (و نحن نقول:

أسلم، و لكنه كتم إيمانه و اسلامه)؛ لما كان له عند مشركى قريش و جاهه، و لا كلمه، و لا كانوا يهابونه و يحترمونه، و لا جترؤا عليه، و لمدوا أيديهم و السنتهم بالسوء إليه) (1).

لماذا الإفتراء على أبى طالب:

و أخيرا .. فلعل ذنب أبى طالب الوحيد، هو أنه كان أبا لأمير المؤمنين على (عليه السلام)، فالمستهدف بهذه النسبه الشنيعه فى الحقيقه هو ولده، الشوكه الجارحه فى أعين الأمويين، و الزبيريين، و كل أعداء الاسلام. فهم يريدون النيل من على فى كل أمر يرتبط به حتى وصلت النوبه إلى أخيه جعفر، و ابيه أبى طالب (رحمه اللّه)، ثم إلى كل شيعته و محبيه، بل إننا لا نكاد نرى فضيله ثبتت له بسند صحيح عند مختلف الفرق الاسلاميه الا و لها نظير فى الخلفاء الثلاثه، و لكن بسند ضعيف عندهم على الأكثر، و للّه الحمد و له الحجه البالغه.

و يقينا لو كان أبو سفيان أو أى شخص آخر، من آباء مخالفى على (عليه السلام) قد عمل معشار ما عمله أبو طالب، لرأيت من الثناء العاطر عليه، و التبجيل و التقدير، و الأحاديث فى فضله، و ماله من

1- البدايه و النهايه ج 3 ص 41، و راجع السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 46.

الكرامات و الشفاعات، إن دنيا، و إن آخره، ما يفوق حدّ الحصر، و يزيد و يتضاعف باستمرار فى كل مصر، و عصر.

و الغريب فى الأمر: أن أبا سفيان، أبا معاويه الذي يقول لعثمان حينما صارت إليه الخلافه: قد صارت إليک بعد تيم و عدى فأدرها كالكره، و اجعل اوتادها بنى أميه، فإنما هو الملک و لا أدرى ما جنه و لا نار (1) إن أبا سفيان هذا مؤمن تقى عادل، معصوم، و أبو طالب- أو فقل:

أبو على- كافر مشرک، و فى ضحضاح من نار، يبلغ كعبه، و يغلى منه دماغه!! ما عشت أراک الدهر عجبا!!.

أبو لهب و نصره النبى صلى الله عليه و آله وسلم :

و نشير أخيرا هنا إلى أنهم يذكرون: أنه بعد أن توفى أبو طالب أعلن أبو لهب استعداده لنصره النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم). فاحتالت قريش فأخبرته أنه يقول: إن اباک عبد المطلب فى النار، فسأله عن ذلک، فأخبره بما طابق ما أخبروه به؛ فتخلى عن نصرته، و انقلب ليكون عدوا له ما عاش (2).

و نحن لا نشک فى كذب هذه القضيه.

فأولا: كيف لم يعلم أبو لهب طيله عشر سنين من عدائه للنبي، و محاربته له: أن هذا هو رأيه و رأى الاسلام فى كل من يموت مشركا باللّه تعالى؟! و على أى شى ء كان يحاربه طيله هذه المده إذن؟!.

و ثانيا: لماذا عاداه فى حياه أبى طالب، ثم عاد إلى حمايته و نصرته بعد وفاته؟!. و لماذا لم يفعل أبو طالب كما فعل أبو لهب؟، أو لماذا لم

1- النزاع و التخاصم ص 20.
2- راجع على سبيل المثال: البدايه و النهايه ج 3 ص 134 عن ابن الجوزى و تاريخ الخميس ج 1 ص 302.

يفعل أبو لهب مثل فعل أبى طالب!

و ثالثا: قد اسلفنا أن عبد المطلب لم يكن مشركا، بل كان على دين الحنيفيه مؤمنا صادق الإيمان.

سر افتعال الروايه:

و لعل سر افتعال هذه الروايه هنا هو إظهار: أن حمايه أبى طالب لم تكن إلا بدافع العصبيه و الحميه القبليه، أو الحب الطبيعى.

و لكن أين كانت حميه و عصبيه أبى لهب قبل هذا الوقت، و أين كان حبه الطبيعى لابن أخيه؟ و لا سيما حينما حصرت قريش الهاشميين فى الشعب، و كادوا يهلكون جوعا؟!.

و أين ذهبت حميته بعد ذلک؟ و هو الذى كان يتتبع محمدا (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من مكان إلى مكان يؤذيه، و يصد الناس عنه ما استطاع إلى ذلک سبيلا.

و قد قدمنا بعض الكلام فى ذلک، حين الكلام على تضحيات أبى طالب، فلا نعيد.

ص: 260

الباب الرابع: من وفاه أبى طالب حتى الهجره الى الحبشه

اشاره

ص: 263

الفصل الأول: الهجره الى الطائف

اشاره

لا بد من تحرک جدید:

لقد فقد النبی الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بوفاه أبی طالب نصیرا قویا، دافع عن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و عن دعوته الالهیه، بیده و لسانه، و شعره، و ولده، و عشیرته، و کل مواهبه و طاقاته، وضحی من أجله بمرکزه و ماله و علاقاته الاجتماعیه، کما قدمنا- فاعتقدت قریش انه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) سیضعف عزمه عن مواصله جهوده، بعد أن مات ناصره. فنالته بعد وفاه شیخ الابطح بأنواع الاذی، مما عجزت عنه فی حیاه عمه العظیم، و وجدت الفرصه للتنفیس عن حقدها، و صب جام غضبها علی ذلک الذی تری فیه سببا لکل مشاکلها و متاعبها.

و رأی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أن الدعوه الاسلامیه تتعرض لضغوط قویه تمنع من انتشارها، و من دخول الآخرین فیها، ما داموا لا یرون فی ذلک الدخول إلا العذاب و النکال، و إلا الذل و المهانه. بل یمکن أن یتعرض ما حصل علیه، و جاهد من أجله و فی سبیله لأخطار ربما لا یکون فی وسعه مواجهتها و تجاوزها بنجاح تام.

و من هنا فقد کان لا بد من تحرک جدید، یعطی للدعوه دفعه جدیده، و یجعلها أکثر حیویه، و أکثر قدره علی مواجهه الاخطار المحتمله

و اذا كان بقاؤه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى مكه- إن لم يكن فيه خطر على الدعوه- معناه جمودها، و تحجميها، و شل حركتها، فان من الطبيعى أن يبحث عن مكان آخر تتوفر فيه له حريه الحركه، و الدعوه إلى اللّه، بعيدا عن أذايا قريش و مكائدها. و يتوفر فيه متنفس لهؤلاء المسلمين الذين تنالهم قريش بمختلف أنواع العذاب و التنكيل، قبل ان يتطرق اليأس الى نفوسهم، و ينهاروا امام تلك الضغوط التى يتعرضون لها باستمرار.

فكان كل ذلک و سواه دافعا إلى الهجره الى الطائف.

الهجره الى الطائف فى كلمات المؤرخين:

فبعد ان أذن اللّه له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالخروج من مكه إذ قد مات ناصره؛ خرج إلى الطائف، و معه على (عليه السلام) (1)- أو زيد بن حارثه او هما معا (2) على اختلاف النقل- و ذلک لليال بقين من شوال سنه عشر.

فأقام فى الطائف عشره أيام، و قيل: شهرا، لا يدع من أشرافهم أحدا إلا جاءه، و كلمه، فلم يجيبوه، و خافوا على أحداثهم؛ فطلبوا منه أن يخرج عنهم، و أغروا به سفهاءهم؛ فجلسوا له فى الطريق صفين، يرمونه بالحجاره، و على (عليه السلام) يدافع عنه، حتى شج فى رأسه، او ان الذى شج فى رأسه هو زيد بن حارثه.

و يقولون: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) التجأ الى بستان لعتبه و شيبه ابنى ربيعه، و جلس فى أحد جوانبه، فتحركت عاطفه ابنى ربيعه،

1- سيره المصطفى ص 221/ 222 و شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج 14 ص 97 عن الشيعه.
2- شرح النهج للمتعزلى ج 4 ص 127 عن المدائنى و سيره المصطفى ص 221/ 222.

و هما يريان ما به من الجهد، فأرسلا اليه غلامهما عداسا و هو نصرانى من أهل نينوى- بعنب، فوضعه بين يديه، فمد إليه يده، و قال: بسم اللّه الرحمن الرحيم، فتعجب عداس من ان يكون بهذا البلد أحد يذكر اللّه، و جرت بينهما مكالمه انتهت باسلام عداس. فقال احدهما للآخر: أما غلامک فقد أفسده عليک.

ثم انصرف (صلى اللّه عليه و آله و سلم) راجعا الى مكه، فاستعد اعداؤه للقائه بأنواع من الاذى لم يعرفها من قبل.

و لكنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان مصمما على مواجهه كل الاحتمالات؛ حيث قال لرفيقه على، او زيد: إن اللّه جاعل لما ترى فرجا و مخرجا، و ان اللّه ناصر دينه، و مظهر نبيه.

فطلب من الأخنس بن شريق ان يجيره ليتمكن من دخول مكه، فرفض على اعتبار انه حليف، و الحليف لا يجير على الصميم (1).

ثم طلب من سهيل بن عمرو أن يجيره، فرفض أيضا، لأنه من بنى عامر فلا يجير على بنى كعب، فدخل مكه بجوار المطعم بن عدى، الذى تجهز و من معه بالسلاح لحمايته؛ فأمضت قريش جواره.

و يقول البعض: إنه رد عليه جواره من أول يوم وصوله. و قال آخرون: بل استمر فى جواره مده.

هكذا باختصار يروى المؤرخون قضيه الهجره الى الطائف، ثم العوده منها.

هجرات أخرى له «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

اشاره

و يقولون أيضا: إنه بعد وفاه عمه خرج إلى بنى صعصعه، و معه

1- قد تقدمت مصادر ذلک حين الكلام على هجره أبى بكر، ثم دخوله مكه بجوار ابن الدغنه.

على؛ فلم يجيبوه، و غاب عن مكه عشره أيام.

و هاجر أيضا مع على و أبى بكر الى بنى شبيان، و غاب ثلاثه عشر يوما، فلم يجد عندهم نصره (1).

و لا بد لنا هنا من وقفات لبيان بعض الامور التى ترتبط بما تقدم، و نراها هامه، الى حدما، و هى التاليه:

1- ما ذكر عن عداس:

إننا نشک فيما ذكر من دور عداس، و أكله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) العنب المهدى اليه، و ذلک لما يلى:

أولا: ما تقدم فى الفصل السابق من أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لم يكن يقبل هديه مشرک، و لا يرضى بأن يكون له أى فضل او نعمه عليه، يستحق بها المكافأه. فكيف قبل هديه ابنى ربيعه المشركين، و رضى بأن يكون لهما فضل عليه؟! إلا أن يقال: إنما قبل هديه عداس، و لعله لم يكن يعلم أن ابنى ربيعه هما اللذان أرسلاه.

و ثانيا: إن هذه الروايه تنص على أن عداسا قد أسلم. مع ان البعض ينص على أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد عاد من الطائف محزونا، لم يستجب له رجل و لا امرأه (2).

إلا أن يقال: إن المراد: أنه لم يستجب له أحد من الأحرار، او لم يستجب له أحد من أهل نفس البلد. و عداس من أهل نينوى.

ثالثا: كان قد مضى على دعوه الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الناس الى الاسلام حوالى عشر سنوات، و كانت شهره دعوته قد تجاوزت مكه الى غيرها من الاقطار و الامصار. و أصبح ذكره و ذكر ما جاء به على

1- شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 126.
2- راجع: طبقات ابن سعد ج 1 القسم الأول ص 142.

کل شفه و لسان.

کما أنه قد مضی علی وجود النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی الطائف نفسها عشره أیام، أو شهر و هو یدعو الناس الی اللّه، لا یفتر و لا یمل فکیف إذن یتعجب عداس من ذکر اللّه فی ذلک البلد؟!.

فهل من المعقول: أن یکون عداس لم یسمع بذکره (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و لا بدعوته هذه المده کلها، سواء مده وجوده فی الطائف، أو مده دعوته الی اللّه فی المنطقه؟!.

و قد قدمنا بعض الکلام عن عداس فی مناقشتنا لروایات بدء الوحی فلا نعید.

2- دخوله «صلی اللّه علیه و آله و سلم» مکه بجوار:

و تقدم: أن الأخنس بن شریق، و سهیل بن عمرو لم یقبلا أن یجیرا النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لیدخل مکه. و احتج الاخنس بانه حلیف، و الحلیف لا یجیر علی الصمیم. فدخل (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بجوار المطعم بن عدی، و نحن نشک فی ذلک أیضا.

فأولا: قد قدمنا: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لم یکن یقبل ان یکون لمشرک عنده ید یستحق الشکر علیها. و هذه ید و لا شک.

و ثانیا: کیف لم یعلم النبی الذی بلغ من العمر حوالی خمسین عاما، و یعیش بین العرب، کیف لم یعلم طیله هذه المده: أنه لیس للحلیف أن یجیر علی الصمیم عندهم؟!!

و ان بنی عامر لا تجیر علی بنی کعب؟!

و ثالثا: أ لیس هذا یعتبر رکونا للظالمین، و لغیر أهل دینه، و اللّه تعالی یقول: وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِینَکُمْ. و یقول: وَ لا تَرْکَنُوا إِلَی الَّذِینَ ظَلَمُوا، فَتَمَسَّکُمُ النَّارُ (1)؟

1- سوره هود الآیه 113.

إلا ان يجاب عن هذا بالنفى، فإن هذا المقدار من الركون ليس بمقصود فى الآيه.

و رابعا: إننا نجد عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن المغيره، رغبه منه فى مواساه أصحابه؛ فهل يعقل أن يكون النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أقل من ابن مظعون فى ذلک؟! و لا يستطيع الصبر على تحمل المشاق و الاذى الذى استعدت قريش لتناله به؟ إن ذلک لعجيب حقا!!.

ثم لماذا لم يخف من الاذى حين رد على المطعم جواره، لا سيما إذا كان قد رده عليه من أول يوم؟!.

و أما أنه كان يخشى على نفسه القتل، فلذلک طلب الجوار؛ فجوابه أنه كان يعلم: أن قريشا لا تستطيع ذلک. و أنها تعرف: أنه فى غير صالحها فى تلک الظروف، و بالأخص إذا كان ذلک علنا.

ثم أين كان عنه الهاشميون فى تلک الساعه؟ و لماذا لا يحمون كبيرهم و سيدهم حتى يحتاج الى جوار الآخرين؟!

و أين كان عنه أسد اللّه و أسد رسوله، الذى فعل بأبى جهل ما فعل كما تقدمت الإشاره إليه؟!.

3- إسلام نفر من الجن:

و يذكر هنا: أنه و هو (صلى اللّه عليه و آله و سلم) منصرف من الطائف الى مكه، التقى ببعض الجن، فقرأ عليهم القرآن فآمنوا به، و رجعوا الى قومهم، مبشرين و منذرين، فقص اللّه خبرهم فى سوره الجن، فقال: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ، فَقالُوا: إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً* يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ.

و لكن الظاهر: أن قضيه الجن قد كانت فى أوائل البعثه؛ حيث إن الروايه تذكر: أنه لما بعث النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، حيل بين

الجن و بين استراق السمع فى السماء، و أرسلت عليهم الشهب، ففهموا:

أن ذلک إنما هو لحدث جرى فى الارض فعادوا اليها، و بحثوا عن الأمر، فوجدوا أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد بعث، فاستمعوا القرآن و آمنوا، فنزلت الآيه (1).

و فى روايه أخرى: أن ابليس أرسل جنوده ليكشفوا له الأمر، فعادوا إليه بنبأ بعثته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (2).

و إلى ما ذكرناه من كون ذلک فى أوائل البعثه ذهب ابن كثير أيضا (3).

و يدل على ذلک أيضا: أن عددا من الروايات تذكر: أن إبن مسعود كان معه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليله الجن (4). و إبن مسعود من المهاجرين الى الحبشه، فلا بد أن تكون القضيه قد حدثت قبل هجرته اليها، أى قبل الخامسه من البعثه.

4- الطائف و علاقاتها بمن حولها:

إن أهل الطائف كانوا مرتبطين إقتصاديا بأهل مكه، و من حولهم، لأنهم كانوا يصدرون الفاكهه التى هى عمده محاصيلهم إلى مكه و غيرها

1- راجع: الدر المنثور ج 6 ص 270/ 275، عن: البخارى، و مسلم، و عبد بن حميد، و أحمد، و الترمذى و النسائى، و الحاكم، و إبن المنذر، و الطبرانى، و ابن مردويه، و أبى نعيم، و البيهقى معا فى الدلائل و غير ذلک. و تاريخ الخميس ج 1 ص 303- 304 و يقال: إن آيات سوره الاحقاف قد نزلت حين رجوعه من الطائف بهذه المناسبه. و لكن يدفع ذلک ما فى الدر المنثور ج 6 ص 45 عن مسلم، و أحمد، و الترمذى، و عبد بن حميد و غيرهم.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 304.
3- تاريخ الخميس ج 1 ص 303 عن المواهب اللدنيه.
4- تاريخ الخميس ج 1 ص 304.

من الأطراف المحيطه بهم.

فهم يرون مصيرهم مرتبطا إقتصاديا و إجتماعيا بغيرهم، و هم بحاجه إلى التقرب و التزلف إلى ذلک الغير، و استجلاب محبتهم و رضاهم، حتى لا يتعرضوا للضغط الاجتماعى، أو إلى حصار إقتصادى- كما جرى لبنى هاشم- من قبل من يحيط بهم، لا سيما من المكيين، حيث السوق الرئيس لمنتجاتهم.

ثم إنه قد كان لهم صنم يقال له اللات، و كان له سدنه. و يزوره العرب (1) فكان لهم مركز دينى أيضا بين العرب، يهتمون جدا بالمحافظه عليه.

و من هذا و ذاک، نعرف السر فى انهم كانوا اشداء فى مواجهه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و حريصين على اخراجه من بينهم بسرعه.

و يشار هنا: إلى ان أهل الطائف الذين قتلوا عروه بن مسعود الداعى الى الإسلام قد تأخر اسلامهم الى أواخر حياه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فوفدوا عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى سنه تسع، سنه الوفود و لم يؤمنوا إلا بعد أن ادركوا: أنه لا طاقه لهم بحرب من حولهم من العرب. فلا يخرج لهم مال إلا نهب، و لا إنسان إلا أخذ؛ فلما رأوا عجزهم اجتمعوا و أرسلوا .. الخ (2).

1- الاصنام للكلبى ص 16، و السيره النبويه لدحلان مطبوع بهامش الحلبيه ج 3 ص 11 و تاريخ الخميس ج 2 ص 135.
2- راجع: الكامل فى التاريخ ج 2/ 283 و راجع أيضا: السيره النبويه لدحلان ج 3 ص 9 مطبوع بهامش الحلبيه و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 183 و تاريخ الخميس ج 2 ص 135.

5- الإسلام دين الفطره:

إننا نلاحظ، أن أهل الطائف قد خافوا على أحداثهم من دعوه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، رغم أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لم يقم بينهم سوى فتره قصيره جدا. الأمر الذى يؤكد على ان الإسلام كان يجد سبيله بيسر و سهوله إلى العقول الصافيه و النفوس البريئه و ينسجم مع الفطره السليمه، التى لم تتلوث بعد بالمفاهيم المنحرفه، و لم تطغ عليها عوامل المصالح الشخصيه، و العواطف القبليه، و غير ذلک.

و كيف لا يجد سبيله إليها بيسر، و هو الدين القائم على الدليل و البرهان العقلى، و المنسجم مع الفطره، و هو دين الضمير و الوجدان الحى.

و من هنا، فإننا نلاحظ: أنهم لم يمكنهم الرد عليه و مناقشته، بل طلبوا منه أن يخرج من بينهم، و حاولوا ان يشوهوا صورته فى أذهان أولئک الذين استمعوا إليه،- و فى أذهان الصغار الذين اغروهم به (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و الذين يمكن ان تؤثر فيهم دعوته- بما استعملوه ضده من أساليب غير منطقيه، و إنما تتميز بالاهانه و الأذى، ثم السخريه و الاستهزاء الجارح و المهين.

6- هل كانت هذه سفره فاشله؟!.

و لربما يتساءل البعض: عن الفائده لهذه الرحله الفاشله؟

و فى جوابه نقول: إن هذه الرحله لم تكن فاشله، كما ربما يتصور البعض.

فإن من الطبيعى أن تترک هذه الحادثه آثارا إيجابيه من نوع ما فى أذهان من التقى بهم، و كلمهم، و ان تثمر فيما بعد ثمارها المطلوبه و المرجوه

منها. حيث قد أثرت بشكل واضح فى تهيئه الجو لإيمان ثقيف فيما بعد ذلک عندما قويت شوكه الإسلام، و لم تعد تخشى الضغوط الإقتصاديه و الإجتماعيه عليها ممن حولها، و لا سيما من قريش بل أصبح الضغط من جانب المسلمين لأن القبائل كانت تفد الى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فتعلن عن إسلامها، و يكتب لها كتابا، و يشترط قطع العلاقات مع المشركين فأخافهم ذلک و أرعبهم.

و قد كانت قريش تشيع عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): أنه مجنون أو ساحر، او كاهن الخ، فها هو (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يتصل بالناس مباشره، و يلمسون بأنفسهم حقيقه الأمر، و يتعرّفون عن قرب على شخصيته و خصائصه، بحيث تسقط كل الإشاعات الكاذبه و المغرضه؛ و ليصير الإيمان به و برسالته، و بنبوته أسهل و أيسر، و ليصبح اكثر قوه و عمقا و رسوخا.

ص: 275

ص: 276

الفصل الثانی: حتی بیعه العقبه

اشاره

المجاعه:

ثم هاجت الأزمه، و هی الجوع فی قریش، و أهل مکه، و کان ذلک بدعاء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) الذی دعا علیهم- حتی أکلوا العلهز (1)، و القد، و حتی أحرقوا العظام فأکلوها و اکلوا الکلاب المیته، و الجیف، و نبشوا القبور، و أکلت المرأه طفلها .. و حتی کان الرجل یری بینه و بین السماء کهیئه الدخان؛ فشغل ذلک الناس بأنفسهم و بمشاکلهم، فأتیحت الفرصه للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)- و لو لفتره قصیره- لیتحرک فی سبیل دینه و رسالته داعیا الی اللّه، و مجاهدا فی سبیله.

فلما دخلت سنه إحدی عشره من البعثه، جاء أبو سفیان الی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فقال: یا محمد، جئت بصله الرحم، و قومک قد هلکوا جوعا، فادع اللّه لهم، فدعا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لهم؛ فکشف عنهم یقول اللّه عز و جل: إِنَّا کاشِفُوا الْعَذابِ قَلِیلًا إِنَّکُمْ عائِدُونَ (2).

1- العلهز: دم یابس یدق به اوبار الابل فی المجاعات و یؤکل.
2- الدخان/ 15. راجع: البدء و التاریخ ج 4 ص 157، و تفسیر البرهان ج 4 ص 160 عن المناقب لابن شهرآشوب.

فإن الظاهر هو ان هذه الآيه قد جاءت جوابا لقولهم: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. ثم تحدث عنهم تعالى بأسلوب الغائب مشيرا الى ما صدر منهم سابقا مما يدل على عدم وثوقه فى وعدهم، ثم عاد الى خطابهم بالآيه الآنفه الذكر، متوعدا إياهم بالعذاب الأليم فى الآخره فى صوره عودتهم الى العناد.

و نشير هنا: إلى ان رجوع أبى سفيان الى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليؤكد على أن المشركين كانوا يعرفون أن ما جاء به (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو الحق، و لكنهم حجدوا ذلک استكبارا و عتوا، و علوا، و حفاظا على الإمتيازات الظالمه التى جعلوها لأنفسهم.

و من الجهه الثانيه، فإننا نجده (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يستجيب لطلب أبى سفيان، و لكن ليس فقط لاجل ما ذكره من لزوم صله الرحم؛ لأن الاسلام هو الصله الحقيقيه بين أبناء البشر جميعا، و على أساسه تكون الأخوه بينهم. و إنما يستجيب له ليعطيه دليلا جديدا على أحقيه ما جاء به، و ليقيم الحجه عليه، و على كل من يرى رأيه؛ ليهلک من هلک عن بينه، و يحيى من حى عن بينه. و ليمنح الفرصه للذين يعيشون بعيدا عن الأضواء، و ليس لهم مصالح دنيويه كبيره، ليفكروا بموضوعيه و تجرد؛ بعيدا عن الاجواء المصطنعه.

عرض الإسلام على القبائل:

لقد كان النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يغتنم الفرصه فى مواسم الحج؛ فيعرض على القبائل، قبيله قبيله، أن تعتنق الإسلام، و تعمل على نشره و تأييده، و حمايته و نصرته. بل كان لا يسمع بقادم الى مكه، له إسم و شرف، إلا تصدى له، و دعاه الى الإسلام.

و لكن عمه أبا لهب كان يتبعه أنى توجه، و يعقب على كلامه، و يطلب منهم ان لا يقبلوا منه و لا يطيعوه فى شى ء. هذا بالإضافه الى اتهامه

بالجنون، و السحر و الكهانه، و الشعر، و غير ذلک.

و كان الناس فی الغالب يسمعون من قريش! إما خشيه من سلطانها و نفوذها، و إما حفاظا على مصالحهم الإقتصاديه فی مكه، لا سيما فی مواسم الحج، و عكاظ.

كما أن تصدی أبی لهب عمّ النبی (صلی اللّه عليه و آله و سلم) بالذات لإفساد الأمر عليه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) كان أبعد تأثيرا فی ذلک، على اعتبار: أنه عمه، و أعرف الناس به.

و لقد افادت تحركات النبی (صلی اللّه عليه و آله و سلم) هذه، حيث إنهم بعد ان ذهبت شوكه قريش، و خمد عنفوانها، و أصيب نفوذها بنكسه قويه بسبب ظهور دعوته و انتشار دينه (صلی اللّه عليه و آله و سلم)، و توالی انتصاراته عليها، و لا سيما بعد فتح مكه. بدأت و فادات العرب تترى الى المدينه، بعد أن أمنوا غائله عداء قريش، ليعلنوا عن ولائهم و مساندتهم، لأن دعايات قريش و اشاعاتها الكاذبه قد ذهب أثرها، و بطل مفعولها، لأنهم قد رأوا هذا النبی عن قرب، و عرفوا فيه رجاحه العقل، و استقامه الطريقه، منذ اجتمعوا به فی تلک المواسم، و عرض دعوته عليهم.

و قد صرح المؤرخون بأن العرب كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشا و كانوا إمام الناس، و أهل الحرم، و صريح ولد إسماعيل لا تنكر العرب ذلک.

فلما فتحت مكه و استسلمت قريش عرفت العرب أنها لا طاقه لها بحرب رسول اللّه و لا عداوته، فدخلوا فی الدين أفواجا (1).

بل إنه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) حينما كان يعرض دعوته على القبائل كانوا يردون عليه. أقبح الردّ، و يقولون: اسرتک و عشيرتک أعلم

1- راجع الكامل فی التاريخ ج 2 ص 286/ 287.

بک حیث لم یتبعوک (1).

و هذا یدل علی ان الخوف من قریش لم یکن هو الدافع الوحید للامتناع عن الدخول فی الاسلام لا سیما و أن الکثیرین من العرب کانوا بعیدین عن مکه، و لا یخشون سطوتها.

و نقطه أخری لا بد من الاشاره الیها. و هی ان تحرک النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و عرض دین اللّه علی القبائل، و هجراته المتعدده فی سبیله لیعتبر إدانه للمنطق القائل: إن علی صاحب الدعوه: أن یجلس فی بیته، و لا یتحرک، و علی الناس أن یقصدوه و یسألوه عما یهمهم، و یحتاجون الیه.

بنو عامر بن صعصعه، و نصره النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم»:

اشاره

و نشیر هنا الی واقعه هامه، حدثت فی خلال عرض النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) دعوته علی القبائل، و هی:

ان رسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد أتی بنی عامر بن صعصعه، فدعاهم الی اللّه، و عرض علیهم دعوته فقال لهم رجل منهم، إسمه:

(بیحره بن فراس): و اللّه، لو أنی أخذت هذا الفتی من قریش لأکلت به العرب. ثم قال له: أرأیت إن نحن بایعناک علی امرک، ثم اظهرک اللّه علی من خالفک، أیکون لنا الأمر من بعدک؟

قال: الامر للّه، یضعه حیث یشاء.

فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونک، فاذا اظهرک اللّه کان الأمر لغیرنا؟! لا حاجه لنا بأمرک.

فأبوا علیه. فلما صدر الناس، رجع بنو عامر الی شیخ لهم؛ فسألهم عما کان فی موسمهم، فقالوا: جاءنا فتی من قریش، ثم أحد بنی عبد

1- السیره الحلبیه ج 2 ص 3.

المطلب، يزعم أنه نبى، يدعونا الى أن نمنعه، و نقوم معه، و نخرج به الى بلادنا.

فوضع الشيخ يديه على رأسه، ثم قال: يا بنى عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ و الذى نفس فلان بيده، ما تقولها إسماعيلى قط، و إنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم! (1)

و مثل ذلک جرى له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مع قبيله كنده، كما ذكره أبو نعيم فى دلائل النبوه (2).

و نحن نسجل هنا ما يلى:

1- ألامر للّه:

لقد نصت الروايه على ان الامر للّه يضعه حيث يشاء، و نستفيد من ذلک:

ألف: ان الرسول لم يعط هؤلاء وعدا بما طلبوه منه، من جعل الأمر لهم بعده، بل أجابهم بأن الأمر للّه، يضعه حيث يشاء أى انه لا يمكن ان يعد بما لا يعلم قدرته على الوفاء به، تماما على العكس من السياسيين الذين عرفناهم فى عصرنا الحاضر، و على مرّ العصور الذين لا يتورعون عن إغداق الوعود المعسوله على الناس، حتى اذا وصلوا الى غايتهم، و جلسوا على كرسى الزعامه فإنهم ينسون كل ما قالوه، و ما وعدوا به.

و لكن نبى الإسلام الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) رغم انه كان

1- راجع: سيره ابن هشام ج 2 ص 66، و الثقات لابن حبان ج 1 ص 89-91، بهجه المحافل ج 1 ص 128، و حياه محمد لهيكل ص 152 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 147، و السيره الحلبيه ج 2 ص 3، و الروض الانف ج 1 ص 180، و البدايه و النهايه ج 3 ص 139، و 140، و عن دلائل النبوه لابى نعيم ص 100 و حياه الصحابه ج 1 ص 78 و 79.
2- راجع: البدايه و النهايه ج 3 ص 140.

بأمس الحاجه الى من يمد له يد العون لا سيما من قبيله كبيره تملک من العدد و العده ما يمكنها من حمايته، و الرد عنه. إلا إنه يرفض ان يعد بما لا يملک الوفاء به، حتى و لو كان هذا الوعد يجر عليه الربح الكثير فعلا.

ب- إن جواب النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لهم بقوله:

(الأمر للّه يضعه حيث يشاء) يؤيد ما يذهب إليه أهل البيت (ع) و شيعتهم الابرار رضوان اللّه تعالى عليهم، من ان خلافه النبوه ليست من المناصب التى يرجع البت فيها الى الناس. بل هى منصب الهى، و الأمر للّه فيها، يضعه حيث يشاء.

2- سمو الهدف، و النظره الضيقه:

و إن عرض هذه القبيله مساعدتها على النبى الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم بهذا النحو، إنما يدل على أنها لا تريد فى مساعدتها له وجه اللّه سبحانه، و لا تنطلق فى موقفها ذاک من قاعده إيمانيه قويه، و قناعه عقائديه راسخه، و لا طمعا بثواب اللّه، و لا خوفا من عقابه.

و إنما تنطلق فى ذلک من نظره ضيقه، مصلحيه تجاريه بالدرجه الأولى: و تريد من نصرها له أن تأكل به العرب، و تحصل على المجد و السلطان.

و من الواضح- بناء على هذا- أن نصرها له لسوف ينتهى، عندما تجد: أن مصلحتها قد انتهت، و حصلت على كل ما تريد، أو حينما ترى:

أن تجارتها الدنيويه قد خسرت، بل لربما تنقلب عليه إذا رأت فيه عائقا يمنعها من تحقيق أهدافها، أو الاحتفاظ بالامتيازات الظالمه التى تفرضها لنفسها.

و هكذا يتضح: أن الاعتماد على من يفكر بعقليه كهذه، و يتعامل من منطلق كهذا ليس إلا اعتمادا على سراب، إن لم يجر على من يعتمد عليه البلاء و العذاب.

3- الدين، و السياسه:

و قد لاحظ بعض المحققين هنا: أن هذا العربى، و هو من بنى عامر بن صعصعه، لما أخبروه بما يدعو إليه النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم، و نقلوا إليه ما جرى لهم معه قد أدرک: أن هذا الدين ليس مجرد ترهّب فى الصوامع، و صلاه، و دعاء، و أوراد، و أذكار، بل هو دين يشتمل على التدبير و السياسه، و الحكم، و لأجل هذا قال: (لو أنى أخذت هذا الفتى (يعنى محمدا بماله من الدعوه الشامله) لأكلت به العرب).

و لقد سبقه إلى إدراک هذه الحقيقه شيخ الأنصار أسعد بن زراره، لما قدم إلى مكه، و عرض عليه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ما يدعو إليه، فرأى: أن فيه و فى دعوته ما يصلح مجتمعه، و يعالج مشاكلهم المستعصيه بينهم و بين إخوانهم من الأوس، و على هذا كانت الهجره (1).

و قد أدرک ذلک أيضا نفس أولئک الذين اشترطوا على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن يكون لهم الأمر من بعده، فرفض صلى اللّه عليه و آله و سلم طلبهم. و سيأتى ذلک عن عامر بن الطفيل، فى غزوه بئر معونه.

فما أبعد ما بين فهم هؤلاء للإسلام، و لدعوه القرآن، حتى إن هذا الفهم هو الذى مهّد لإسلام الأنصار، ثم الهجره. و كذلک لبيعتهم (بيعه العقبه الأولى و الثانيه)، و اختيار النقباء و الكفلاء على المبايعين، و بين ذلک الذى يعتبر الدين منفصلا عن السياسه، و أن السياسه أمر غريب عن الدين. فإن ذلک و لا شک من القاآت الاستعمار، و من الفكر المسيحى الغريب المستورد، كما هو ظاهر.

1- راجع: البحار ج 19 ص 9 و اعلام الورى ص 57 عن القمى.

4- نتائج عرضه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» دعوته على القبائل:

و يمكننا: أن نستفيد مما تقدم:

1- ما تقدمت الإشاره إليه، من أن مقابله النبى الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم للناس، و التحدث معهم مباشره كان من شأنه: أن يعطى الناس الانطباع الحقيقى عن شخصيه الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و حقيقه ما جاء به. و يدفع كل الدعايات و الإشاعات الكاذبه، و المغرضه، التى كانت تبثها قريش و أعوانها، ككونه ساحرا، أو كاهنا، أو شاعرا، أو مجنونا، أو غير ذلک من ترّهات.

2- إن ما جرى فى قضيه بنى عامر ليدل دلاله واضحه: على أن عرضه صلى اللّه عليه و آله و سلم دعوته على القبائل، قد أسهم فى الدعايه لهذا الدين، و نشر صيته، فى مختلف الأنحاء، و الأرجاء، فقد كان من الطبيعى أن يتحدث الناس، إذا رجعوا إلى بلادهم بما رأوه و سمعوه فى سفرهم ذاک و لم يكن ثمه خبر أكثر إثاره لهم من خبر ظهور هذا الدين الجديد، و فى مكه بالذات.

زواج النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بسوده و عائشه:

اشاره

و يقولون: إن النبى صلى اللّه عليه و آله قد تزوج بسوده بنت زمعه، و عقد على عائشه بنت أبى بكر و كان ذلک بعد عشر سنوات من البعثه.

و لا نجد لسوده دورا هاما فى التاريخ، و لا فى حياه النبى صلى اللّه عليه و آله، أو بعده و كل الاهتمامات مركّزه على عائشه، حتى لقد حكموا باستحباب العقد فى شوال، لأنه صلى اللّه عليه و آله قد تزوج عائشه فى شوال (1)!! مع أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه تزوج غيرها فى أشهر أخرى!!.

1- نزهه المجالس ج 2 ص 137.

و على كل حال، فاننا لن نستطيع أن نلمّ فى هذه العجاله بجميع ما قيل، أو يقال حولها؛ فإن ذلک متعسر، بل متعذر و لذلک فنحن نكتفى بذكر أمرين لهما صله بموضوع زواجه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بها.

و لربما يأتى إن شاء اللّه بحوث أخرى لجوانب أخرى مما يرتبط بها.

و هذان الأمران هما: سنّ عائشه و جمالها و حظوتها عند النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؛ فنقول:

1- سن عائشه:

و يقولون: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد عقد على عائشه، و هى بنت ست سنين، أو سبع. ثم انتقلت إلى بيته بعد هجرته إلى المدينه، و هى بنت تسع. و هذا هو المروى عنها (1).

و نحن نقول: إن ذلک غير صحيح، و أن عمرها كان أزيد من ذلک بكثير، و نستند فى ذلک إلى ما يلى:

أولا: إن ابن إسحاق قد عدّ عائشه فى جمله من أسلم أول البعثه، قال: و هى يومئذ صغيره. و أنها أسلمت بعد ثمانيه عشر إنسانا فقط (2). فلو جعلنا عمرها حين البعثه سبع سنين مثلا فإن عمرها حين العقد عليها كان 17 سنه، و حين الهجره 20 سنه.

1- راجع فيما ذكرناه: طبقات ابن سعد ج 8 ص 39، و الاصابه ج 4 ص 359، و تاريخ الطبرى ج 2 ص 413 و تهذيب التهذيب ج 12، و أسد الغابه ج 5 و غير ذلک و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج 9 ص 190 لكنه ناقض نفسه ص 191 فقال: انها توفيت سنه 57 ه. و عمرها 64 سنه، و هذا يعنى أنها كان عمرها حين الهجره سبع سنوات فقط.
2- راجع: سيره ابن هشام ج 1 ص 271، و تهذيب الاسماء و اللغات ج 2 ص 351 و 329 عن ابن ابى خيثمه فى تاريخه عن ابن اسحاق، و البدء و التاريخ ج 4 ص 146.

ثانیا: و فی مقام رفع التنافی بین قوله (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لفاطمه: أنها سیده نساء العالمین، و بین ما نسب إلیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من أنه لم یکمل من النساء إلا مریم ابنه عمران، و آسیه امرأه فرعون، و أن فضل عائشه علی النساء کفضل الثرید علی سائر الطعام (1).

یقول الطحاوی: (قد یحتمل أن یکون ما فی هذا الحدیث قبل بلوغ فاطمه، و استحقاقها الرتبه التی ذکرها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لها. إلی أن قال: و أن کل فضل ذکر لغیر فاطمه، مما قد یحتمل أن تکون فضلت به فاطمه، محتملا لأن یکون و هی حینئذ صغیره، ثم بلغت بعد ذلک الخ) (2).

لقد قال الطحاوی هذا، بعد أن جزم قبل ذلک بقلیل، بأن فاطمه صلوات اللّه و سلامه علیها کان عمرها حین توفیت خمسا و عشرین سنه (3).

و هذا یعنی أنها قد ولدت قبل البعثه بسنتین، و الفرض: أن فاطمه کانت صغیره حینما کانت عائشه بالغه مبلغ النساء.

و ثالثا: یذکر ابن قتیبه أن عائشه قد توفیت سنه 58- و عند غیره سنه 57 ه- و قد قاربت السبعین (4) و لضم ذلک إلی ما یقوله البعض من أن خدیجه قد توفیت قبل الهجره بثلاث، أو بأربع، أو بخمس سنین ثم ما

1- راجع: السیره النبویه لابن کثیر ج 2 ص 137.
2- مشکل الآثار ج 1 ص 52.
3- مشکل الآثار ج 1 ص 47. و قد حمل بعض العلماء حدیث فضل عائشه کفضل الثرید الخ. علی المزاح منه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) معها؛ لأن جوها لا ینسجم مع جو التفضیل کما فی قوله (صلی اللّه علیه و آله و سلم): فاطمه سیده نساء العالمین، و لم یکمل من النساء إلا مریم و آسیه إلخ. و لا سیما بملاحظه: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لم یکن من المهتمین بأمور الاطعمه، و اللذیذ منها لیأتی بها کمثال علی تفضیل فی أمر حساس کهذا.
4- المعارف لابن قتیبه ص 59 ط سنه 1390 ه.

روی عن عائشه من قولها: تزوجنی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و أنا بنت تسع سنین (1).

[و لعل هذه الروایه هی الأقرب بقرینه ما قدمناه، و لکثره الخلط بین کلمتی (سبع) و (تسع) بسبب عدم نقط الکلمات فی السابق. بل أن هذا الرقم أیضا مشکوک فیه لما تقدم، و لأن المرأه تمیل إلی تقلیل مقدار عمرها عاده].

فکلام ابن قتیبه و الذی بعده یدل علی أنها قد ولدت أما سنه البعثه أو قبلها. و هذا الثانی هو الأرجح لما قدمناه. فی المستند الأول و الثانی.

إذن، فیکون عمر عائشه حین عقد النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) علیها فی سنه عشر من البعثه أکثر من ست سنین بکثیر، أی ما بین ثلاثه عشر إلی سبعه عشر سنه.

من طرائف الروایات الموضوعه:

و من الموضوعات الغریبه فی هذا المجال، ما جاء عن أبی هریره:

من أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لما دخل المدینه، و استوطنها طلب التزویج؛ فقال لهم: أنکحونی. فأتاه جبرئیل بخرقه من الجنه فیها صوره لم یر الراؤون أحسن منها، و أبلغه أمر اللّه له: أن یتزوج علی تلک الصوره.

فقال له النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم): أنا من أین لی مثل هذه الصوره یا جبرئیل؟

فقال له: إن اللّه یقول لک: تزوج بنت أبی بکر الصدیق. فمضی رسول اللّه إلی منزل أبی بکر، فقرع الباب، ثم قال: یا أبا بکر، إن اللّه أمرنی أن أصاهرک، فعرض علیه بناته الثلاث فقال: إن اللّه أمرنی أن

1- راجع: حدیث الإفک ص 93.

أتزوج هذه الجاريه و هى عائشه، فتزوجها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (1). انتهى باختصار.

و عدا عما فى سند هذه الروايه، فاننا نقول:

أولا: لم نفهم كيف يتصرف النبى تصرفا لا يصدر عن العقلاء الذين يحترمون أنفسهم، فيطلب التزويج من الناس، و يقول لهم:

أنكحونى!!. إلا أن يكون صبيا صغيرا، لا حياء عنده، و لا عقل لديه!! و الغريب فى الأمر: أنه لم يبادر أحد لإجابه طلبه هذا، بل عاملوه بالجفاء، و أهملوا تنفيذ طلبه، حتى جاء جبرئيل فتولى حلّ مشكلته.

و ثانيا: هل صحيح: أن عائشه كانت من الحسن بهذه المثابه: حتى إن صورتها لم ير الراؤون أحسن منها؟!! لعل فى ما سيأتى مقنعا و كفايه لمن أراد الرشد، و الحق، و الهدايه.

و ثالثا: لقد تزوج النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عائشه بمكه قبل الهجره بثلاث سنوات، و لم يتزوجها فى المدينه، و إجماع المؤرخين على ذلك ظاهر للعيان.

و رابعا: لم نعرف البنات الثلاث اللواتى عرضهن أبو بكر على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فأسماء كانت تحت الزبير، و قدمت المدينه و هى حامل بولدها عبد اللّه و عائشه قد تزوجت النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى مكه و أم كلثوم، قد ولدت بعد وفاه أبى بكر (2). و لم يولد له غيرهن.

و أخيرا، فإن لقب (الصديق) قد جاء إلى أبى بكر بعد وفاه النبى

1- تاريخ بغداد للخطيب ج 2 ص 194، و ميزان الاعتدال للذهبى ج 3 ص 44، و قد كذبا (الخطيب و الذهبى) هذا الحديث الذى جميع رجال أسناده ثقات باستثناء محمد بن الحسن الدّعّاء الأصم. و راجع: الغدير ج 5 ص 321.
2- راجع: نسب قريش لمصعب الزبيرى ص 275- 278 لتعرف من ولدهم أبو بكر.

صلى اللّه عليه و آله من محبى الخليفه الأول، كما ربما نشير إليه حين الكلام على قضيه الغار إن شاء اللّه تعالى.

2- جمال عائشه و حظوتها:

و نسجل هنا: أن أكثر، إن لم يكن كل ما يقال عن جمال عائشه، و عن حظوتها، و حب النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لها، إنما هو مروى عنها نفسها، أو عن ابن أختها عروه. و نحن نقطع بعدم صحه ذلک كله من الأساس.

فأولا: لماذا لم يرو ذلک كله إلا من طريق عائشه، أو عروه ابن أختها كما يظهر من تتبع الروايات؟!.

و ثانيا: إن ابن عباس يواجهها بعد حرب الجمل بحقيقه: أنها لم تكن أحسن نساء النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) وجها، و لا بأكرمهن حسبا (1). كما أن عمر إنما يصف زينبا بالحسن، دون عائشه؛ فإنه لم يشر إليها فى قليل و لا كثير؛ كما سيأتى.

و ثالثا: قال على فكرى: (و ما رواه ابن بكار: من أن الضحاک بن أبى سفيان الكلابى كان رجلا دميما قبيحا؛ فلما بايعه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء (يريد عائشه، و ذلک قبل أن تنزل آيه الحجاب)؛ أفلا أنزل لک عن إحداهما فتتزوجها؟- و عائشه جالسه تسمع؛ فقالت: أهى أحسن أم أنت؟

فقال: بل أنا أحسن و أكرم.

فضحک رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من سؤالها إياه (لأنه كان دميما قبيح الوجه) (2)).

1- الفتوح لابن أعثم ج 2 ص 337 ط الهند.
2- السمير المهذب ج 2 ص 8- 9.

و رابعا: قال عباد بن العوام لسهيل بن ذكوان: صف لى عائشه.

قال: كانت أدماء.

و قال يحيى: قلنا لسهيل بن ذكوان: رأيت عائشه؟

قال: نعم.

قيل: صفها.

قال: كانت سوداء (1)

إذن، فما يقال عنها، أنها كانت شقراء، ثم الاستشهاد على ذلک بقول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لها: (يا حميراء) .. يصبح موضع شک و ريب كبير.

و لعل قول النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لها ذلک قد جاء على سبيل التلطف و الرفق بها. أو لعله إشاره إلى قول العرب: شر النساء الحميراء المحياض (2) فقال لها (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ذلک على سبيل المداعبه و التلطف و المزاح.

و خامسا: إن من يتتبع سيره زوجات النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يجد: أن عائشه هى التى كانت تحسد و تغار من كل زوجه و سرّيّه له (صلى اللّه عليه و آله و سلم). و يدرک بما لا مجال معه للشک: أن أكثرهن- إن لم يكن كلهنّ- كنّ أكثر حظوه لدى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) منها. إن لم نقل أنهن أجمل و أضوء منها أيضا؛ فإن من الطبيعى أن نجد الدميم هو الذى يحسد على الجمال و يغار، أما الجميل فليس من الطبيعى أن يحسد الدميم، و أن يغار منه.

كما أنه ليس من الطبيعى أن يكون الميل لغير ذات الجمال أكثر منه للجميله الوضيئه، و قد ذكر فى حديث الإفک على لسان أم المؤمنين عائشه

1- الضعفاء الكبير للعقيلى ج 2 ص 155.
2- ربيع الابرار ج 4 ص 280 و روض الاخيار ص 130.

قولها: (فو اللّه لقلما كانت امرأه قط وضيئه عند رجل يحبها، و لها ضرائر إلا كثرن عليها).

و لو صدقنا: أنها كانت هى ذات الحظوه لدى الرسول، و أنه كان يحبها أكثر من غيرها، فلماذا هذه الغيره، و هذا الحسد منها لهن؟ فإن الحسد لا بد و أن يكون على شى ء يفقده الحاسد، و يتمنى زواله عن المحسود، و انتقاله إليه.

و إليک بعض موارد غيره و حسد عائشه لضرائرها.

3- حسد و غيره عائشه:

1- خديجه عليها السلام عن عائشه قالت: ما غرت على امرأه كما غرت على خديجه، و ما بى أن أكون أدركتها. و لكن لكثره ذكر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إياها، و إن كان ليذبح الشاه؛ فيتبع بذلک صدائق خديجه يهديها لهن (1).

و للحديث عبارات و أسانيد مختلفه لا مجال لها الآن.

و قد ذكر النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) خديجه يوما، فغارت أم المؤمنين، فقالت: هل كانت إلا عجوزا أبدلک اللّه خيرا منها؟ و فى لفظ مسلم: (و ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت فى الدهر، أبدلک اللّه خيرا منها)؟ فغضب (صلى اللّه عليه و آله و سلم)،

1- صحيح البخارى ج 9 ص 292، و ج 5 ص 48، و ح 7 ص 47، و ج 8 ص 10، و صحيح مسلم ج 7 ص 134 و 133، و أسد الغابه ج 5 ص 438، و المصنف ج 7 ص 493، و الإستيعاب هامش الإصابه ج 4 ص 286، و صفه الصفوه ج 2 ص 8، عن البخارى، و مسلم، و تاريخ الاسلام للذهبى ج 2 ص 153، و البدايه و النهايه ج 3 ص 128.

حتى اهتز مقدم شعره، ثم قال: لا و اللّه، ما أبدلنى اللّه خيرا منها الخ الروايه (1).

و قال العسقلانى و القسطللانى: (و أن عائشه كانت تغار من نساء النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، لكن كانت تغار من خديجه أكثر) (2).

و لعمرى، لقد كان هذا بعد الوفاه، فكيف لو كانت خديجه على قيد الحياه؟!- و إذا كانت غيره أم المؤمنين قد بلغت الأموات، فما حالها مع الأحياء. و كيف كانت معاملتها لهن؟!.

2- زينب بنت جحش.

لقد اعترفت عائشه فى حديث الأفک بأن زينب هى التى كانت تساميها من أزواج النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و اعترفت عائشه أيضا: أنها قد أخذها ما قرب و ما بعد، حينما أراد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن يتزوج زينب، لما كان يبلغهم من جمالها (3).

و ما فعلته عائشه و حفصه مع زينب، فى قضيه المغافير مشهور و مسطور، حتى ليقولون: إن هذا هو سبب نزول آيه التحريم (4)، و إن كنا

1- صحيح مسلم ج 7 ص 134، لكنه لم يذكر جوابه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و أسد الغابه ج 5 ص 557/ 558 و 438 و الإصابه ج 4 ص 283، و الإستيعاب هامشها ج 4 ص 286/ 287، و صفه الصفوه ج 2 ص 8، و مسند أحمد ج 6 ص 117، و ليراجع البخارى ج 2 ص 202 ط سنه 1309 ه. ق و البدايه و النهايه ج 3 ص 128 و اسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص 96.
2- فتح البارى ج 7 ص 102، و إرشاد السارى ج 6 ص 166 و ج 8 ص 113.
3- الإصابه ج 4 ص 314، و طبقات ابن سعد ج 8 ص 72، و الدر المنثور ج 5 ص 202 عن ابن سعد، و الحاكم.

4- طبقات ابن سعد ج 8 ص 76، و حياه الصحابه ج 2 ص 761 عن البخارى و مسلم.

نعتقد أنها نزلت فی غیر هذه القضیه.

و اعترف عمر بن الخطاب بجمال زینب، عندما قال لابنته، لیس لک حظوه عائشه، و لا حسن زینب (1).

فلو کانت عائشه موصوفه بالحسن لقدمها علی زینب فی هذا الأمر.

أما بالنسبه للفقره الأولی فنحن نشک فی صحتها، و نعتقد أنها سیاسه من عمر تجاه أم المؤمنین، أو من تزید (2) الرواه لحاجه فی النفس، و ذلک لما تقدم و سیأتی.

و مهما یکن من أمر، فإن أم سلمه تذکر:

أن زینب کانت معجبه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

و کان یستکثر منها (3).

3- أم سلمه رحمها اللّه تعالی:

کانت أم سلمه من أجمل الناس (4).

و عن الإمام الباقر: أنها أجمل نساء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم). و یذکرون أن قصه المغافیر من عائشه و حفصه کانت معها (5). کما أن عائشه قد اعترفت بأن أم سلمه و زینب کانتا أحب نسائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلیه بعدها (6).

1- طبقات ابن سعد ج 8 ص 137، 138.
2- طبقات ابن سعد ج 8 ص 73، و تهذیب الاسماء و اللغات ج 2 ص 347.
3- المواهب اللدنیه ج 1 ص 205 و تهذیب الأسماء و اللغات ج 2 ص 362.
4- راجع طبقات ابن سعد ج 8 ص 122، و الدر المنثور ج 6 ص 239.
5- طبقات ابن سعد ج 8 ص 81.
6- الإصابه ج 4 ص 459، و طبقات ابن سعد ج 8 ص 66.

تقول عائشه: (و لما تزوج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أم سلمه حزنت حزنا شديدا، لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها؛ فرأيت و اللّه أضعاف ما وصفت الخ) (1).

و قال ابن حجر: (كانت أم سلمه موصوفه بالجمال البارع، و العقل البالغ الخ) (2).

4- صفيه بنت حيّى بن أخطب:

قالت أم سنان الأسلميه: (كانت من أضوأ ما يكون من النساء) (3).

و لما قدمت المدينه جئن نساء الأنصار ينظرن إلى جمالها، و عائشه متنقبه معهن. فلما سألها رسول اللّه: كيف رأيت يا عائشه؟ قالت: رأيت يهوديه.

فنهاها (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن قولها ذاک (4).

و عندما وقعت فى السبى جعلوا يمدحونها، و يقولون: رأينا فى السبى امرأه ما رأينا ضربها (5). و لما أرسلت صفيه قصعه فيها طعام إلى النبى و هو فى بيت عائشه أخذتها رعده حتى استقلها افكل، و ضربت القصعه، فرمت بها الخ (6).

و قد أكد لها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): أنها خير من

1- الإصابه ج 4 ص 459.
2- الإصابه ج 4 ص 347، و ص 463 و طبقات ابن سعد ج 8 ص 87.
3- الإصابه ج 4 ص 347، و طبقات ابن سعد ج 8 ص 90.
4- طبقات ابن سعد ج 8 ص 88.
5- مسند أحمد ص 277 ج 6، و البخارى باب الغيره، أواخر كتاب النكاح، لكنه لم يصرح باسم عائشه!!!
6- أسد الغابه ج 5 ص 491.

حفصه و عائشه (1).

5- جويريه بنت الحارث:

تقول عائشه أنها كانت امرأه حلوه ملاحه، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه؛ فأتت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تستعينه فى كتابتها.

قالت عائشه: فو اللّه ما هى إلا أن رأيتها، فكرهتها، و قلت: يرى منها ما قد رأيت. فلما دخلت على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الخ (2).

6- ماريه القبطيه:

قالت عائشه: ما غرت على امرأه إلا دون ما غرت على ماريه، و ذلک أنها كانت جميله جعده، فأعجب بها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم). و كان أنزلها أول ما قدمت فى بيت لحارثه بن النعمان؛ فكانت جارتنا؛ فكان عامه الليل و النهار عندها، حتى فرغنا لها، فجزعت، فحوّلها إلى العاليه، و كان يختلف إليها هناک، فكان ذلک أشد علينا (3).

و عن أبى جعفر عليه السلام: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد حجب ماريه (و كانت ثقلت على نساء النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و غرن عليها، و لا مثل عائشه) (4).

و كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يعجب بماريه، (و كانت

1- الإصابه ج 4 ص 265، و الإستيعاب هامش الإصابه ج 4 ص 259، و صفه الصفوه ج 2 ص 50.
2- الإصابه ج 4 ص 405، و طبقات ابن سعد ج 8 ص 153، و لتراجع: البدايه و النهايه ج 3 ص 303/ 304 و وفاء الوفاء للسمهودى ج 3 ص 826.
3- طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 86 و السيره الحلبيه ج 3 ص 309.
4- طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 86. و الإصابه ج 4 ص 405.

ماریه بیضاء جعده، جمیله) (1). و کانت حسنه الدین (2).

و تنافست الأنصار فیمن یرضع ابراهیم، و أحبوا أن یفرغوا ماریه للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، لما یعلمون من هواه فیها (3).

و لعل مما زاد فی غیره عائشه قضیه ولاده ابراهیم منها، حتی تجرأت علی نفی شبهه برسول اللّه، رغم تأکید النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لها علی ذلک (4) و حتی کان ما کان من نزول آیه التحریم، کما عن السیوطی و غیره.

7- سوده بنت زمعه:

کانت عائشه تقول: ما من الناس امرأه أحب إلی أن أکون فی مسلاخها من سوده بنت زمعه، إلا أنها امرأه فیها حسد (5).

و لیراجع ما فعلته حفصه بسوده، و ضحکها هی و عائشه علیها (6).

1- تهذیب الأسماء و اللغات ج 2 ص 355، و طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 86 و البدایه و النهایه ج 3 ص 303.
2- ذخائر العقبی ص 54 و الاستیعاب هامش الإصابه ج 1 ص 42، و طبقات ابن سعد ج 8 ص 153.
3- طبقات ابن سعد ج 1 ص 88 و الدر المنثور ج 6 ص 240 عن ابن مردویه و البدایه و النهایه ج 3 ص 305 و قاموس الرجال ج 11 ص 305 عن البلاذری. و راجع السیره الحلبیه ج 3 ص 309 و مستدرک الحاکم ج 4 ص 39 و تلخیصه للذهبی بهامشه و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 87 ط صادر.
4- طبقات ابن سعد ج 8 ص 37، و البدایه و النهایه ج 8 ص 70.
5- حیاه الصحابه ج 2 ص 560 و مجمع الزوائد ج 4 ص 316.
6- طبقات ابن سعد ج 8 ص 104 و تاریخ الإسلام للذهبی ج 2 ص 415، 416 دون تصریح باسم من خدعها.

8- أسماء بنت النعمان:

كانت أجمل أهل زمانها و أشبّه. و قد حسدنها نساء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و خدعنها. و کانت الخدیعه لها من عائشه و حفصه معا.

حتی قالت للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم): أعوذ باللّه منک، فطلقها (1).

9- ملیکه بنت کعب:

کانت تذکر بجمال بارع، فدخلت علیها عائشه، فقالت لها: أما تستحیین أن تنکحی قاتل أبیک، فاستعاذت من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): فطلقها (2).

10- أم شریک:

وهبت نفسها للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فقبلها (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فقالت عائشه: ما فی امرأه حین تهب نفسها لرجل خیر. قالت أم شریک: فأنا تلک، فسماها اللّه مؤمنه؛ فقال: و امرأه مؤمنه إن وهبت نفسها للنبی، فلما نزلت هذه الآیه، قالت عائشه للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم): إن اللّه لیسرع لک فی هواک (3).

11- شراف بنت خلیفه:

خطب رسول اللّه امرأه من کلب؛ فبعث عائشه تنظر إلیها، فذهبت، ثم رجعت. فقال لها رسول اللّه: ما رأیت؟ فقالت: ما رأیت طائلا.

1- طبقات ابن سعد ج 8 ص 106، و تاریخ الإسلام للذهبی ج 2 ص 416.
2- طبقات ابن سعد ج 8 ص 112.
3- طبقات ابن سعد ج 8 ص 115.

فقال رسول اللّه: لقد رأيت طائلا، لقد رأيت خالا بخدّها، اقشعرّت كل شعره منک. فقالت: يا رسول اللّه، ما دونک سر (1).

12- حفصه بنت عمر:

بل أن عائشه كانت تغار حتى من رفيقتها حفصه، و يقال: إن قضيه المغافير كانت لها معها (2).

نهايه المطاف:

هذه كانت حاله عائشه مع زوجات النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم). و أكثر هذه المشاكل كانت فيما يبدو بسبب غيرتها منهن، لجمالهن البارع، و حسنهن الرائع كما قدمنا، و لم نجد لأى من زوجات النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) معشار ما وجدناه لعائشه من المشاكل و التجاوزات.- اللهم إلا روايه أو روايتان مرويتان عن عائشه نفسها!!! فهذا السيل العارم منها- خاصه- دون غيرها منهن، يكشف عن أن ثمه ما يبرز منها و هو أنها تحسّ بالنقص فى نفسها تجاههن من حيث الجمال على الأقل.

و هكذا، تسقط جميع الادعاآت و الروايات التى عن عروه و غيره و عنها، و التى تدعى حظوتها و مكانتها لدى النبى صلى اللّه عليه و آله. أو على الأقل تصير محل شک و ريب. و أما ما يقال فى حديث الإفک فإنه أيضا باطل و قد فصلنا القول فى ذلک فى كتاب مستقل طبع مؤخرا.

و ملاحظه أخيره نسجلها هنا، و هى: أننا نجد عائشه تكثر من أحاديث تقبيل النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و مباشرته لها، و هى

1- راجع: حياه الصحابه ج 2 ص 762 عن البخارى و مسلم و عن تفسير ابن كثير ج 4 ص 387 و عن جمع الفوائد ج 1 ص 229 و عن طبقات ابن سعد ج 8 ص 85.
2- راجع: حياه الصحابه ج 2 ص 762 عن البخارى و مسلم و عن تفسير ابن كثير ج 4 ص 387 و عن جمع الفوائد ج 1 ص 229 و عن طبقات ابن سعد ج 8 ص 85.

حائض و اغتسالها و إياه من إناء واحد، و غير ذلک من الأحاديث التى تتخذ طابع الجنس، و الاغراء، و اللذه. و لا نجد من ذلک الشى ء الكثير عند غيرها من نسائه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و لعل ذلک يرجع إلى أنه لم يكن ثمه ما يربطها برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بصوره قويه، حيث لم يكن لها ولد منه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و ليس لديها من المستوى الفكرى و الثقافى و العملى ما يصلح أن يكون نقطه اشتراک و يجعل لها به ارتباطا خاصا و وثيقا و ليست اهتماماتها من جنس اهتماماته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و لا تطلعاتها تلتقى مع تطلعاته (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و ماذا بعد:

هذا و أننا لا نجد مبررا لتحمل النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من عائشه جرأتها. و تجاوزاتها المتكرره و إيذائها له فى أخيه على، و فى زوجاته، إلا أنه لم يكن يستطيع أن يتخذ القرار النهائى بالنسبه إليها، لأن السياسه كانت تقضى عليه بتحمل كل هذه المشاق. و يدلنا على أن النبى كان يتعامل مع زوجاته من موقعه السياسى الحرج، لا من جو بيت الزوجيه. قول عمر لحفصه- عندما تظاهرت على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مع عائشه، و اعتزلهن: (و اللّه، لقد علمت أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لا يحبک، و لو لا أنا لطلقک رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)) (1).

هذا، و لم يكن ثمه من يستطيع الجهر بالحقيقه، و إظهار الواقع.

لأن الجهاز الحاكم كله كان يمسک بركاب عائشه، و يعلى قدرها، و يرفع من شأنها؛ لأنه كان يستفيد منها أعظم الفوائد، و أسناها. و كان ثمه خطه

1- صحيح مسلم ج 4 ص 189. و لسوف يأتى مزيد توضيح لذلک فى البحث عن سبب تكثر زوجاته قبل واقعه احد فى هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

مرسومه لإظهار عظيم منزلتها، و إغداق الأوسمه عليها، بثمن، أو بغير ثمن!!

و كانت هى تستغل موقعها كزوجه للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و كأم للمؤمنين إلى أقصى الدرجات، كما أنها كانت تستفيد من حاجه الهيئه الحاكمه إليها، و كل ذلک يفسر لنا السر فى أنها كانت توحى للناس بأنها أقرب زوجات النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إليه، و آثرهن لديه؛ لجمالها، و لكونه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد تزوجها بكرا حسب دعواها. و كأن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يهتم للبكاره و للجمال (مع نقاش لنا فى ذلک).

و لا ندرى ما هو السر فى تواضع أم المؤمنين إلى هذا الحد حتى إنها لم تر فى نفسها المؤهلات لأن تعتز بالدين، و بالمعانى الإنسانيه النبيله أو لعلها كانت ترى أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لا ينطلق فى حبه و بغضه من الدين و الأخلاق، و إنما من الشهوه، فصورته للمسلمين على أنه رجل شهوانى لا أكثر.

دخول الاسلام إلى المدينه:

اشاره

و ثمه خلاف بين المؤرخين فى من؟ و متى؟ و كيفيه إسلام أول دفعه من أهل المدينه. و لكننا نستطيع أن نؤكد على أن الإسلام قد دخل المدينه على مراحل. فأسلم أولا: أسعد بن زراره. و ذكوان بن عبد القيس، حينما كان المسلمون محصورين فى الشعب. ثم أسلم خمسه، أو ثمانيه، أو سته نفر بعد ذلک، ثم كانت بيعه العقبه الأولى، ثم كانت بيعه العقبه الثانيه، و هذا هو ما يظهر من مغلطاى (1) و غيره.

و لذلک فهم يقولون: إن أسعد بن زراره، و ذكوان بن عبد القيس

1- راجع سيره مغلطاى ص 29.

الخزرجيين قدما مكه فى أحد المواسم، حينما كانت قريش تحاصر الهاشميين فى الشعب (شعب أبى طالب)، بهدف طلب الحلف من عتبه بن ربيعه على الأوس. فرفض عتبه ذلک، و قال: بعدت دارنا عن داركم، و لنا شغل لا نتفرغ لشى ء. فسأله عن هذا الشغل؛ فأخبره بخروج النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فيهم، و أنه أفسد شبابهم، و فرق جماعتهم ثم حذره من الاتصال به، فإنه ساحر يسحره بكلامه. و أمره إذا أراد الطواف أن يضع القطن فى أذنيه، حتى لا يسمع ما يقوله النبى صلى اللّه عليه و آله، الذى كان آنئذ يجلس فى الحجر مع طائفه من بنى هاشم.

و كانوا قد خرجوا من شعبهم ليشهدوا الموسم.

و جاء أسعد للطواف، و رأى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) جالسا فى الحجر، فقال فى نفسه: ما أجد أجهل منى. أن يكون هذا الحديث فى مكه فلا أتعرّفه، حتى أرجع إلى قومى فأخبرهم؟، ثم آخذ القطن من أذنيه فرمى به، و جاء إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فسلم عليه، و كلمه؛ فعرض عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ما جاء به فأسلم، و اسلم بعده ذكوان.

و فى روايه: أنه لما التقى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بأسعد بن زراره و ذكوان، قال أسعد للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): يا رسول اللّه، بأبى أنت و أمى، أنا من أهل يثرب، من الخزرج، و بيننا و بين أخوتنا من الأوس حبال مقطوعه، فإن وصلها اللّه بک، و لا أجد أعز منک، و معى رجل من قومى، فإن دخل فى هذا الأمر رجوت أن يتمم اللّه لنا أمرنا فيک.

و اللّه يا رسول اللّه، لقد كنا نسمع من اليهود خبرک، و يبشروننا بمخرجک، و يخبروننا بصفتک، و أرجو أن يكون دارنا دار هجرتک عندنا، فقد اعلمنا اليهود ذلک؛ فالحمد للّه الذى ساقنى إليک، و اللّه ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، و قد آتانا اللّه بأفضل مما أتيت له.

ثم اقبل ذكوان، فقال له أسعد: هذا رسول اللّه الذى كانت اليهود

تبشرنا به، و تخبرنا بصفته؛ فهلم فأسلم؛ فأسلم ذكوان الخ (1).

ثم فی سنه إحدی عشره من النبوه خرج النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی الموسم، یعرض علی القبائل دعوته، و یطلب منهم نصرته؛ فالتقی علی العقبه برهط من الخزرج؛ فدعاهم إلی اللّه و الإسلام، و قرأ علیهم القرآن فآمنوا به، و کانوا سته نفر، و هم: اسعد بن زراره، و جابر بن عبد اللّه بن رئاب، و عوف بن الحارث و رافع بن مالک، و عقبه و قطبه ابنا عامر. و قیل: ثمانیه نفر و قیل غیر ذلک (و ثمه اختلاف فی أسمائهم، و ذکر أشخاص آخرون مکان بعض من قدمنا أسماءهم، و لا مجال لتحقیق ذلک).

و رجع أولئک النفر إلی قومهم فی المدینه، فذکروا لهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و دعوهم إلی الإسلام. ثم کانت بیعه العقبه الأولی فی سنه اثنتی عشره من البعثه أی قبل الهجره بسنه (2).

و لعل أسعد بن زراره کان قد کتم إسلامه هو و ذکوان، حتی کان لقاء هؤلاء الستة أو الثمانیه معه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قبل الهجره بسنه فأعلنوا ذلک

و نحن قبل أن نمضی فی الحدیث نشیر إلی ما یلی:

1- اخبارات أهل الکتاب:

یفهم مما تقدم: إن أهل المدینه کانوا یسمعون من الیهود خبر ظهور النبی عن قریب، و أن ذلک قد جعلهم مهیئین نفسیا لقبول الدین الذی جاء به هذا النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

1- البحار ج 19 ص 9 و اعلام الوری ص 57 عن علی بن ابراهیم.
2- البحار ج 19 ص 9 و اعلام الوری ص 57 عن علی بن ابراهیم.

2- المشاكل بين الأوس و الخزرج:

لقد كان ثمه حروب هائله بين الأوس و الخزرج، كانت آخرها وقعه بعاث التى انتصرت فيها قبيله الأوس، حينما كان الهاشميون و النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) محصورين فى شعب أبى طالب. و كانت الحاله بين القبيلتين صعبه للغايه، حتى ليذكرون: أنهم ما كانوا يضعون السلاح لا فى الليل و لا فى النهار (1) مما يعنى أنهم يعانون من أقسى الحالات التى يمكن أن يواجهها من يملک إمكانات معيشيه محدوده مثلهم.

و حتى لقد كان واضحا: أنهم كانوا يتطلعون بشوق إلى الخروج من هذه الحاله المأساه. و يأملون فى وصل الحبال المقطوعه فيما بينهم، كما عبر عنه أسعد بن زراره، الذى كان يعمل من أجل عقد حلف مع عتبه بن ربيعه ضد الأوس.

فأهل المدينه إذن قد ذاقوا مراره الانحراف و الظلم. و هم يريدون المنقذ الحقيقى لهم. و قد وجدوه فى نبى الإسلام الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم، الذى جاءهم بتعاليم الشريعه السهله السمحاء. و لذلک فقد قالوا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): (نرجع إلى قومنا، و نخبرهم بالذى كلمتنا به، فما أرغبنا فيک. إنا قد تركنا قومنا على خلاف فيما بينهم، لا نعلم حيا من العرب بينهم من العداوه ما بينهم. و سنرجع إليهم بالذى سمعنا منک، لعل اللّه يقبل بقلوبهم، و يصلح بک ذات بينهم، و يؤلف بين قلوبهم) (2).

3- تعاليم الشريعه السمحاء:

إن تعاليم الإسلام لهى التعاليم الموافقه للفطره السليمه، و بلا تعقيد

1- البحار ج 19 ص 8 و 9 و 10 و اعلام الورى ص 55.
2- الثقات لابن حبان ج 1 ص 90/ 91.

أو إبهام فيها، فهى بسيطه و سهله، لا يحتاج إدراک حقانيتها إلى تفکير عميق، أو إجهاد فى فهم مراميها، و التکهن بنتائجها.

و لذلک نجد أهل المدينه يدرکون بسرعه قدره هذه الدعوه على حل مشاکلهم، فيسارعون إلى قبولها، بمجرد سماعهم لأهدافها، و مبادئها.

و من الواضح: أن أهل المدينه کانوا لا يعانون من ظروف أهل مکه، الذين يحاربون الإسلام؛ لأنهم رأوا فيه خطرا على مصالحهم الشخصيه، و امتيازاتهم الظالمه التى فرضوها لأنفسهم، و أهوائهم و انحرافاتهم، کما أوضحناه فى غير موضع.

إن أهل المدينه بالإضافه إلى إخبارات اليهود لهم، قد رأوا منذ اللحظات الأولى فى الإسلام و تعاليمه المنقذ لهم، و المخرج من الظلمات إلى النور، و من الموت إلى الحياه، و رأوا فيه الموافقه للفطره و العقل السليم. سواء على صعيد العقائد أو التشريع، أو على صعيد اتخاذ القرار الاجتماعى و السياسى، فقد سألوا النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم عما يدعو إليه، فقال: إلى شهاده أن لا إله إلا اللّه، و أنى رسول اللّه، و أدعوکم إلى:

(أن لا تشرکوا به شيئا، و بالوالدين إحسانا، و لا تقتلوا أولادکم من املاق، نحن نرزقکم و إياهم، و لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و لا تقتلوا النفس التى حرم اللّه إلا بالحق، ذلکم وصاکم به لعلکم تعقلون، و لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن، حتى يبلغ أشده، و أوفوا الکيل و الميزان بالقسط، لا نکلف نفسا إلا وسعها، و إذا قلتم فاعدلوا، و لو کان ذا قربى، و بعهد اللّه أوفوا، ذلکم وصاکم به لعلکم تذکرون) (1).

و لأجل ذلک اعتقدوا بهذه الدعوه، و حاربوا قريشا و العرب من أجلها

1- الانعام/ 151- 152.

و فی سبیلها.

4- المدنیون و المکیون:

إن الوثنیه التی کان أهل المدینه یدینون بها لم تستطع أن تحل مشاکلهم الداخلیه، علی اختلافها، و لا حتی أن تخفف من حدتها. کما أنها لم تکن تجلب لهم امتیازات اجتماعیه، و لا اقتصادیه و لا غیرها.

و لذلک فقد ضعفت و وهنت، و زاد فی ضعفها و وهنها مخالفتها للفطره السلیمه، و العقل القویم. ثم جاءت اخبارات الیهود لهم بقرب ظهور نبی یخبر عن اللّه لتزید من ذلک الضعف و الوهن إلی حد بعید.

و هذا تماما علی عکس الحال فی مشرکی مکه؛ فإنهم کانوا یستفیدون من وثنیتهم اجتماعیا و اقتصادیا. و جعلوا من أنفسهم محورا تلتقی علیه سائر الفئات و القبائل فی المنطقه، و کرّسوا لأنفسهم الکثیر من الامتیازات الظالمه.- و لم یکونوا علی استعداد للتخلی عن هذه الامتیازات من أجل خدمه الحق و الإنسان، بل کانوا یضحون بالإنسان و الحق فی سبیل امتیازاتهم، و انحرافاتهم، و مصالحهم تلک.

هذا، و لا بد من ملاحظه ما قدمناه حین الکلام علی العوامل التی ساعدت علی انتصار الإسلام و انتشاره، لنجد: أن شخصیه الرسول العظیمه، و أخلاقه الکریمه، و کونه من أرفع بیت فی قریش و العرب- و یضیف البعض: رابطه القربی، التی کانت تربطه ببنی النجار الخزرجیین، عن طریق آمنه بنت وهب (1) کل ذلک و سواه مما تقدم قد أسهم فی إقبال أهل المدینه علی الإسلام، و تقبل دعوته، و التضحیه فی سبیله.ر.

1- و لکنه تعلیل لا شاهد له، مادام ان مجرد وجود رابطه کذلک لا توجب ما ذکر.

الفصل الثالث: بيعه العقبه

اشاره

بیعه العقبه الأولی:

یقول المؤرخون: إنه حنیما عاد أولئک النفر المدنیون الذین أسلموا الی المدینه ذکروا لأهلها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و دعوههم الی الإسلام، حتی فشا فیهم، فلم یبق دار من دور الإنصار، إلا و فیها ذکر من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

حتی إذا کان العام المقبل أی فی السنه الثانیه عشره من البعثه، وافی الموسم اثنا عشر رجلا اثنان منهم اوسیان، و الباقون من الخزرج، فالتقوا مع الرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی العقبه، و بایعوه علی بیعه النساء، أی البیعه التی لا تشتمل علی حرب، أی: (علی أن لا یشرکوا باللّه شیئا، و لا یسرقون، و لا یزنون، و لا یقتلون أولادهم، و لا یأتون ببهتان یفترونه من بین أیدیهم و أرجلهم، و لا یعصونه فی معروف، فان وفوا فلهم الجنه و ان غشوا من ذلک شیئا فأمرهم الی اللّه عز و جل، ان شاء عذب، و ان شاء غفر). الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 3 309 بیعه العقبه الأولی: ..... ص : 309

و لما رجعوا الی المدینه أرسل النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) معهم مصعب بن عمیر لیقرئهم القرآن، و یعلمهم الإسلام، و یفقههم فی

الدين، فكان يسمى المقرى. و ألحقه با بن أم مكتوم (1) كما قيل. و أقام مصعب أول صلاه جمعه فى المدينه!!.

و قد نجح مصعب، و من معه ممن أسلم فى الدعوه الى اللّه تعالى، و اسلم سعد بن معاذ، الذى كان السبب فى إسلام قومه بنى عمير بن عبد الاشهل، حيث إنه حين اسلم على يد مصعب رجع الى قومه، فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل، كيف تعرفون أمرى فيكم؟

قالوا: سيدنا و افضلنا رأيا، و ايمننا نفسا و أمرا.

قال: فان كلام رجالكم و نسائكم على حرام حتى تؤمنوا باللّه و رسوله.

قال: فو اللّه، ما أمسى فى دار قبيله بنى عبد الاشهل رجل و لا إمرأه إلا مسلما، او مسلمه (2)، فأسلموا كلهم فى يوم واحد، (إلا عمرو بن ثابت، فانه تأخر اسلامه الى أحد، فأسلم، ثم استشهد قبل أن يسجد للّه سجده واحده، كما قيل).

و أقام مصعب بن عمير يدعو الناس الى الاسلام، حتى أسلم الرجال و النساء، من الانصار باستثناء جماعه من الاوس، اتبعوا فى ذلك أحد زعمائهم، الذى تأخر اسلامه الى ما بعد هجره الرسول الاعظم (صلى اللّه

1- السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 151 و 152 و السيره الحلبيه ج 2 ص 9 و فيه أن الواقدى ذكر ان ابن أم مكتوم إنما قدم المدينه بعد بدر بقليل، و فى كلام ابن قتيبه أنه قدم المدينه مهاجرا بعد بدر بسنتين. ثم جمع الحلبى بين الاقوال باحتمال: أن يكون قد علم أهل المدينه ثم عاد إلى مكه، ثم عاد فهاجر بعد بدر .. و هو احتمال وجيه لا باس به.
2- راجع ما تقدم: فى سيره ابن هشام ج 2 ص 79- 80 و السيره الحلبيه ج 2 ح ص 14 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 90 و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 184.

علیه و آله و سلم) (1).

و لنا هنا وقفات، فلنقف أولا مع:

دعوه سعد بن معاذ قومه:

إن الدعوه الی اللّه لیست مختصه بالانبیاء و الاوصیاء بل هی شامله لکل مکلف بحسب ما یملک من طاقات و قدرات. و هی من الامور التی یلزم بها العقل الفطری السلیم، و یوجبها علی کل إنسان، و لا تحتاج الی جعل شرعی؛ فإن العقل یدرک أن فی ارتکاب المنکرات، و ترک الواجبات، و الإنحراف فی الفکر و العقیده و السلکوک ضررا جسیما علی المجتمعات و علی الأجیال و لذلک فهو یحکم بلزوم الدعوه الی الإلتزام بالخط الفکری الصحیح، و ترک المنکر، و فعل المعروف.

و هذا هو- بالذات- ما یفسر لنا اندفاع سعد بن معاذ فی الدعوه الی اللّه تعالی، حتی انه علی استعداد لقطع کل علاقه مع قومه إذا کانوا ضالین منحرفین.

و ان عظمه هذا الموقف لتتضح أکثر إذا عرفنا مدی ارتباط سعاده و مصیر الانسان العربی فی تلک الفتره بقبیلته و مدی ارتباطه بها فهو حین یضحی بعلاقاته القبلیه، فإنه یکون قد ضحی بأمر عظیم و أساسی فی حیاته و فی مصیره، و مستقبله، فی سبیل دینه.

و قد جاء القرآن مؤیدا لحکم العقل و الفطره هذا؛ ففرض علی کل من کان له بصیره فی امر الدین ان یدعو الی اللّه قال تعالی: قُلْ هذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اللَّهِ عَلی بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی (2).

1- السیره النبویه لابن کثیر ج 2 ص 184 و راجع تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 90 و السیره لابن هشام ج 2 ص 79- 80 و السیره الحلبیه ج 2 ح ص 14.
2- یوسف/ 108.

كما أننا لا بد أن نشير أيضا: إلى أن من عرف الحق، و ذاق حلاوه الايمان، فإنه لا يملک نفسه من الاندفاع فی محاوله لجلب الآخرين نحو هذا الحق، و جعلهم يؤمنون به، و يستفيدون منه، و يلتذون به و يشعرون بحلاوته.

و لذلک نجد الامام علی بن الحسين (عليه السلام)، الذی كان يخشی علی شيعته، الذين هم الصفوه فی الامه الاسلاميه، و الذين كانوا يتعرضون لمختلف أنواع الاضطهاد، و البلايا فی الدوله الامويه، و بعدها فی الدوله العباسيه كان يظهر تذمره من عدم مراعاه الشيعه للظروف و المناسبات، و هو يری حده اندفاعهم نحو إظهار أمرهم، بسبب شعورهم بحلاوه الإيمان، و ضروره ابلاغ كلمه الحق، قال الإمام السجاد (عليه السلام): (وددت انی افتديت خصلتين فی الشيعه ببعض لحم ساعدیّ:

النزق و قله الكتمان) (1)

أضف الی ذلک: أن التراحم فيما بين المؤمنين، و الشده علی الكافرين يصبح امرا طبيعيا، كما قال تعالی: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ.

البيعه:

و نجد: أن نص البيعه قد تضمن الخطوط العريضه، و أهم المبادی ء التی يقوم عليها المجتمع الإسلامی، و هی تتضمن جانبا عقائديا، و آخر عمليا. و قد حملهم (صلی اللّه عليه و آله و سلم) مسؤوليات معينه فی علاقاتهم مع بعضهم بعضا. و جعل التزامهم هذا قائما علی اعطاء تعهد من قبلهم، يرون مخالفته تتنافی مع شرف الكلمه و قدسيتها؛ و ذلک تحت

1- سفينه البحار ج 1 ص 733 و البحار ج 75 ص 69 و 72 عن الخصال ج 1 ص 24 و الكافی ج 2 ص 221.

عنوان: (البیعه) التی تعنی اعطاء کلمه الشرف بالالتزام بتلک المبادی ء.

و لکنه لم یقرر عقابا عنیفا لمن ینقض هذا العهد، و یتجاوز و یغش فیه؛ فإن الوقت حینئذ لم یکن مناسبا لقرار کهذا. بل اوکل ذلک الی الوجدان و الضمیر الشخصی لکل منهم، مع ربطه بالمبدأ العقیدی. و مع إعطاء الفرصه له للعوده لاصلاح الخطأ إن کان؛ حیث أبقی الامل حیا لدی ذلک الذی یمکن أن یغش، و أوکل امره الی اللّه، إن شاء عذب، و إن شاء غفر.

صلاه الجمعه:

و قد تقدم فی الحدیث: أن مصعب بن عمیر قد جمع بالمسلمین فی المدینه قبل الهجره (1). و ربما یشکل علی ذلک: بأن سوره الجمعه قد نزلت بعد هجرته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی المدینه؛ فکیف صلی مصعب الجمعه قبل تشریعها.

و الجواب: أننا لو سلمنا أن المراد بجمع، صلی الجمعه. إذ من المحتمل: أن یکون المراد صلی جماعه- لو سلمنا ذلک- فإن قوله تعالی فی سوره الجمعه: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا نُودِیَ لِلصَّلاهِ مِنْ یَوْمِ الْجُمُعَهِ فَاسْعَوْا إِلی ذِکْرِ اللَّهِ (2). لیس المقصود به تشریع إقامه الجمعه، و إنما هو یوجب السعی الی الجمعه التی تقام، فلعل وجوب إقامتها کان قبل ذلک قد جاء علی لسانه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی مکه، و لکن لم یکن یمکن إقامتها، أو کان یقیمها سرا و لم یصل ذلک إلینا.

و یؤید ذلک قوله تعالی: وَ إِذا رَأَوْا تِجارَهً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَیْها

1- و راجع: السیره الحلبیه ج 2 ص 9 و التعلیق المغنی (مطبوع بهامش سنن الدار قطنی) ج 2 ص 5 عن الطبرانی فی الکبیر و الأوسط.
2- الجمعه/ 9.

وَ تَرَکُوکَ قائِماً، قُلْ: ما عِنْدَ اللَّهِ خَیْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَهِ (1)؛ فإن ذلک یشیر الی ان الجمعه کانت قد شرّعت قبل ذلک. و أن هذا کان سلوکهم معه (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

و یؤید ذلک: ما أخرجه الدارقطنی، عن ابن عباس، قال: أذن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) الجمعه قبل أن یهاجر، و لم یستطع ان یجمع بمکه؛ فکتب الی مصعب بن عمیر: أما بعد، فانظر الیوم الذی تجهر فیه الیهود بالزبور، فاجمعوا نساءکم و ابناءکم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من یوم الجمعه، فتقربوا الی اللّه برکعتین. قال: فهو أول من جمع، حتی قدم النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) المدینه، فجمع بعد الزوال من الظهر، و أظهر ذلک (2).

و ثمه روایات تفید: أن أول من جمع بهم هو أسعد بن زراره (3) و سیأتی بعض الکلام أیضا حول صلاه الجمعه فی آخر هذا الجزء إن شاء اللّه تعالی.

بیعه العقبه الثانیه:

و عاد مصب بن عمیر من المدینه الی مکه، فعرض علی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نتائج عمله؛ فسر بذلک نبی الاسلام سرورا

1- الجمعه/ 11.
2- الدر المنثور ج 6 ص 218 عن الدارقطنی. و السیره الحلبیه: ج 2 ص 12.
3- الدر المنثور ج 6 ص 218 عن أبی داود، و ابن ماجه و ابن حبان، و البیهقی، و عبد الرزاق، و عبد بن حمید، و ابن المنذر و وفاء الوفاء ج 1 ص 226. و السیره الحلبیه ج 2 ص 59 و ص 9 و سنن الدارقطنی ج 2 ص 5/ 6 و فی التعلیق المغنی علی الدارقطنی (مطبوع بهامش السنن) ص 5 قال: الحدیث اخرجه ابو داود، و ابن ماجه و ابن حبان و الحاکم و قال صحیح علی شرط مسلم و البیهقی فی سننه.

عظیما (1).

و فی موسم حج السنه الثالثه عشره من البعثه أتی من أهل المدینه جماعه کبیره بقصد الحج، ربما تقدر عدتهم بخمس مئه (2)، فیهم المشرکون، و فیهم المسلمون المستخفون من حجاج المشرکین من قومهم، تقیه منهم.

و التقی بعض مسلمیهم بالرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و وعدهم اللقاء فی العقبه فی أواسط أیام التشریق لیلا، إذا هدأت الرجل.

و أمرهم ان لا ینبهوا نائما، و لا ینتظروا غایبا.

و یلاحظ هنا: ما لهذا التوقیت من أهمیه، فلو انکشف أمرهم، فسیکون ذلک بعد تمام حجهم، و مفارقتهم للبلد، و لا یبقی من ثم مجال للضغط علیهم بشکل فعال

و یلاحظ کذلک: أمره (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لهم بأن لا ینبهوا نائما، و لا ینتظروا غائبا. و ذلک کی لا ینکشف امرهم إذا لاحظ غیرهم عدم طبیعیه تصرفاتهم.

و فی تلک اللیله بالذات ناموا مع قومهم فی رحالهم، حتی إذا مضی ثلث اللیل بدؤا یتسللون إلی مکان الموعد، واحدا بعد الآخر، و لا یشعر بهم أحد حتی اجتمعوا فی الشعب عند العقبه، و هم سبعون او ثلاثه و سبعون رجلا، و امرأتان.

و التقوا بالرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) هناک فی الدار التی کان (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نازلا فیها، و هی دار عبد المطلب، و کان

1- و فی البحار ج 19 ص 12: أن مصعبا قد کتب إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بذلک و کذا فی اعلام الوری ص 59.
2- طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 149.

معه حمزه و على، و العباس (1).

و بايعوه على أن يمنعوه و أهله مما يمنعون منه أنفسهم، و أهليهم و أولادهم، و أن يؤووهم، و ينصروهم، و على السمع و الطاعه فى النشاط و الكسل، و النفقه فى العسر و اليسر، و على الامر بالمعروف، و النهى عن المنكر و ان يقولوا فى اللّه، و لا يخافوا لومه لائم، و تدين لهم العجم، و يكونون ملوكا.

و عند آخرين- و النص لمالک-، عن عباده بن الصامت: (بايعنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على السمع و الطاعه، فى العسر و اليسر، و المنشط و المكره، و أن لا ننازع الأمر أهله و أن نقول (او نقوم) بالحق حيثما كنا، لا نخاف فى اللّه لومه لائم (2)) قال السيوطى: (يريد الملک و الإماره (3)).

و قد أدرک العباس بن نضله خطوره الموقف، و لا سيما من قوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم): (و تدين لكم العجم، و تكونون ملوكا)، و أنهم مقدمون على مواجهه و مقاومه، ليس فقط مشركى مكه او الجزيره العربيه، و إنما العالم بأسره. فأحب ان يستوثق من الامر، و يفتح عيون المبايعين ليكونوا على بصيره من أمرهم، حتى لا يقولوا فى يوم ما: لو كنا

1- اعلام الورى ص 59، و تفسير القمى ج 1 ص 273، و البحار ج 19 ص 12- 13 و 47 عنهما، و عن قصص الانبياء، و راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 16، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 152.
2- الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالک ج 2 ص 4 و راجع سير اعلام النبلاء ج 2 ص 7 و مسند احمد ج 5 ص 314 و 316 و سنن النسائى ج 7 ص 138- 139 و صحيح البخارى ج 4 ص 156 و البدايه و النهايه ج 3 ص 164 و السيره النبويه لابن هشام ج 2 ص 97 و دلائل النبوه للبيهقى ج 2 ص 452 ط دار الكتب العلميه و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 204 و صحيح مسلم ج 6 ص 16 و 17.
3- تنوير الحوالک: ج 2 ص 4.

نعلم ان الامر ينتهى الى هذا لم نقدم.

فقال لهم: يا معشر الاوس و الخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الاحمر و الابيض، و على حرب ملوک الدنيا؛ فان علمتم انه إذا أصابتكم المصيبه فى انفسكم خذلتموه و تركتموه، فلا تغروه فان رسول اللّه، و ان كان قومه خالفوه، فهو فى عز و منعه.

فقال عبد اللّه بن حزام، والد جابر، و أسعد بن زراره، و أبو الهيثم بن التيهان: مالک و للكلام؟! يا رسول اللّه، بل دمنا بدمک، و أنفسنا بنفسک، فاشترط لنفسک، و لربک ما شئت (1).

و يذكر أيضا: أن أسعد بن زراره قد قال فى بيعه العقبه: يا رسول اللّه، إن لكل دعوه سبيلا، إن لين، و إن شده، و قد دعوت اليوم الى دعوه متجهمه للناس، متوعره عليهم:

دعوتنا الى ترک ديننا و إتباعک على دينک، و تلک رتبه صعبه، فأجبناک الى ذلک.

و دعوتنا الى قطع ما بيننا و بينه الناس من الجوار و الارحام، القريب و البعيد، و تلک رتبه صعبه؛ فأجبناک الى ذلک.

و دعوتنا، و نحن جماعه فى دار عز و منعه، لا يطمع فيها أحد: ان يرأس علينا رجل من غيرنا، افرده قومه، و أسلمه أعمامه، و تلک رتبه صعبه، فأجبناک الى ذلک الخ (2).

1- راجع ما تقدم فى البحار ج 19 ص 12/ 13 عن اعلام الورى، و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج 2 ص 450 ط دار الكتب العلميه و تاريخ الخميس ج 1 ص 318 و السيره النبويه لابن هشام ج 2 ص 88 و البدايه و النهايه ج 3 ص 162 و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 201 و السيره الحلبيه ج 2 ص 17.
2- حياه الصحابه: ج 1 ص 88 و دلائل النبوه لأبى نعيم: ص 105.

و يذكر المؤرخون هنا أيضا: أن العباس بن عبد المطلب قد حضر بيعه العقبه و أنه أراد ان يستوثق لابن أخيه فبدأ هو الكلام، فقال: يا معشر الخزرج، إن محمدا منا حيث قد علمتم، و قد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا، فهو فى عز من قومه، و منعه فى بلده، و قد أبى إلا الانحياز اليكم، و اللحوق بكم، فان كنتم ترون انكم وافون بما دعوتموه إليه، و مانعوه ممن خالفه، فأنتم و ما تحملتم من ذلک، و إن كنتم ترون أنكم ترون أنكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه فإنه فى عز و منعه من قومه و بلده.

و فى روايه، أنه قال لهم: قد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فان كنتم أهل قوه و جلد، و بصر فى الحرب، و استقلال بعدواه العرب قاطبه، ترميكم عن قوس واحده فروا رأيكم. و ائتمروا بينكم الخ ..

و بعد أن استمع الى اجابتهم، طلب (صلى اللّه عليه و آله و سلم) منهم: أن يخرجوا له اثنى عشر نقبيا، أى كفيلا يكفل قومه، فأخرجوا له تسعه من الخزرج، و ثلاثه من الأوس؛ فكانوا نقباء و كفلاء قومهم.

و عرفت قريش بالاجتماع؛ فهاجت، و أقبلوا بالسلاح.

و سمع الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) النداء؛ فأمر الانصار بالتفرق، فقالوا: يا رسول اللّه، إن أمرتنا ان نميل عليهم بأسيافنا. فعلنا.

فقال: لم أؤمر بذلک، و لم يأذن اللّه لى فى محاربتهم، فقالوا: يا رسول اللّه، فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر اللّه ...

فجاءت قريش على بكره ابيها، قد حملوا السلاح. و خرج حمزه، و معه السيف، هو و على بن ابى طالب (عليه السلام). فلما نظروا الى حمزه قالوا: ما هذا الذى اجتمعتم له؟.

فعمل حمزه بالتقيه من أجل الحفاظ على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و المسلمين و الاسلام، فقال: ما اجتمعنا، و ما هاهنا أحد، و اللّه لا

يجوز أحد هذه العقبه إلا ضربته بسيفى.

فرجعوا، و غدوا الى عبد اللّه بن أبى، فقالوا له: قد بلغنا أن قومک بايعوا محمدا على حربنا. و اللّه، ما من حى أبغض من أن ينشب الحرب بيننا و بينه منكم. فحلف لهم عبد اللّه: أنهم لم يفعلوا، و لا علم له بذلک، و انهم لم يطلعوه على أمرهم؛ و تفرقت الانصار، و رجع رسول اللّه الى مكه.

و لكن قريشا قد تأكدت بعد ذلک من صحه الخبر؛ فخرجت فى طلب الأنصار؛ فأدركوا سعد بن عباده، و المنذر بن عمير. فأما المنذر فأعجزهم. و أما سعد فأخذوه، و عذبوه. فبلغ خبره جبير بن مطعم، و الحارث بن حرب بن أميه، فأتياه و خلصاه؛ لأنه كان يجير لهما تجارتهما، و يمنع الناس من التعدى عليها (1).

و لنا قبل المضى فى الحديث هاهنا وقفات. فنشير اولا الى: دور العباس فى بيعه العقبه:

تذكر بعض الروايات: أن العباس كان فى بيعه العقبه مع النبى، و لم يكن أحد غيره معه. و يقولون: إنه و إن كان حينئذ مشركا، ألا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، و يتوثق له. و قد قدمنا ما ينسب اليه من قول فى هذه المناسبه.

1- راجع فى ما تقدم أى كتاب تاريخى أو حديثى شئت مثل: البحار ج 19 ص 12/ 13 و اعلام الورى ص 57 و تفسير القمى ج 1 ص 272/ 273 و تاريخ الخميس ج 1 ص 318/ 319 و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج 2 ص 450 و البدايه و النهايه ج 3 ص 158 و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 193/ 210 و السيره الحلبيه ج 2 ص 17 و ما قبلها و ما بعدها و السيره النبويه لابن هشام ج 2 ص 88 و قبلها و بعدها. و غير ذلک كثير.

و لكننا نشک فی صحه ذلک.

فأولا: إن فی الکلام المنسوب الی العباس تخذیلا واضحا عن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و لیس توثیقا لأمره کما یقولون، و لا سیما قوله: (و استقلال بعداوه العرب قاطبه، ترمیکم عن قوس واحده الخ) ..

إلا أن یقال: إن هذا الکلام من العباس، إنما هو لبیان الحقیقه، لیکون الأنصار علی بصیره من أمرهم، حتی لا یکون منهم أی تعلل فی المستقبل.

و ثانیا: إن فی کلامه ما یخالف الحقیقه، و لا سیما قوله: (قد أبی محمد الناس کلهم غیرکم)؛ فإن معناه: أن الناس کلهم غیر الانصار قد وافقوا النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و قبلوا مناصرته، و لکنه هو رفضهم. مع أن الامر علی عکس ذلک تماما، باستثناء قبیله شیبان بن ثعلبه التی رضیت بحمایته مما یلی میاه العرب، دون ما یلی میاه کسری (1) و قبیله شیبان لیست هی (الناس کلهم).

و احتمال إراده خصوص عشیرته لا یتلاءم مع التعبیر ب (الناس کلهم). و احتمال أن تکون العباره: (أبی محمدا الناس) لیس له ما یؤیده، لأن النص الموجود بین أیدینا خلافه.

و ثالثا: إن موضوع الهجره الی المدینه لم یکن قد طرح بعد، و لم یکن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد أری دار هجرتهم و لا أخبرهم برؤیاه تلک، فمن أین علم العباس أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) سوف یهاجر الی المدینه؟ فهل نزل علیه الوحی فی ذلک؟! لست أدری!! و لکننا نقرا فی کلامه قوله: (و قد أبی إلا الانحیاز لکم، و اللحوق بکم.

1- السیره الحلبیه ج 2 ص 5 و 16 و راجع السیره النبویه لابن کثیر ج 2 ص 168.

الى أن قال: و إن كنتم ترون انكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه الخ.).

إلا ان يكونوا قد طلبوا منه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن يخرج اليهم، فظهر منه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الميل الى إجابه طلبهم، و ان كان قد جاء ذلک بصيغه: لم أؤمر بذلک، أى بالهجره، و لكنه احتمال بعيد و لا شاهد له.

رابعا: إن ما ينسب الى العباس لا يصدر إلا عن مسلم مؤمن تام الإيمان. و لم يكن العباس قد أسلم بعد بل بقى على شركه الى وقعه بدر. و خرج لحرب النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فيها مكرها، و أسلم ثمه، كما سيأتى. بل سوف يأتى انه لم يسلم الى فتح مكه.

إلا ان يكون قد قال ذلک محاماه عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بدافع الحميه و العصبيه، و لكننا لم نر لهذه الحميه كبير أثر فى مواقف العباس قبل و بعد ذلک. و هذا أمر يثير العجب حقا.

و الذى نرجحه: هو أن الذى كان حاضرا و تكلم بكلام يهدف منه الى شدّ العقده له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو العباس بن نضله الانصارى (1) و ليس العباس بن عبد المطلب. و لذا يلاحظ مدى التشابه بين كلاميهما المنقول و المنسوب إليهما.

فلعل الأمر قد اشتبه على الراوى بين العباسين؛ لتشابه الإسمين، أو لعل العباسيين أرادوا اثبات فضيله جليله لجدهم، بهدف الحصول على مكاسب من نوع معين، و لعل، و لعل.

1- الإصابه: ج 2 ص 271، و البحار: ج 19، و السيره الحلبيه: ج 2 ص 17، و السيره النبويه لدحلان: ج 1 ص 153.

أبو بكر فى العقبه:

و تذكر بعض الروايات الشاذه: أن أبا بكر قد حضر العقبه، و قد جعله العباس على فم الشعب.

و نحن لا نطيل فى بيان بطلان هذا، بعد ان كانت سائر الروايات تنص على أنه لم يكن إلا حمزه، و على (رحمه اللّه)، و العباس. مع الشك فى هذا الاخير ايضا، و ان حمزه و عليا قد خرجا الى فم الشعب حينما علمت قريش بالامر، و هاجت بالسلاح و ذلک فى أواخر لحظات الاجتماع، حسبما تقدم.

حمزه و على «عليه السلام» فى العقبه:

ان كون الاجتماع فى دار عبد المطلب ليقرب صحه ما ورد من ان حمزه و عليا قد حضرا بيعه العقبه، خصوصا و أنه كان ثمه حاجه إليهما، ليقفا ذلک الموقف البطولى الرائع فى وجه قريش و خيلائها و جبروتها؛ ليمنعاها من دخول الشعب. و يعطيا الفرصه للمجتمعين للتفرق (1). حتى إذا دخلت قريش الشعب لم تجد أحدا؛ فترفع الأمر الى ابن أبى؛ فينكر ذلک. و لو لا موقفهما ذاک لكانت قد جرت الامور على غير ذلک النهج، و لوقع المسلمون فى مأزق حرج و خطير جدا.

و الغريب فى الامر: أننا نجد عددا من الروايات لا تذكر حضور أمير المؤمنين (عليه السلام)، و أسد اللّه و أسد رسوله. مع أنها هى نفسها تذكر قضيه تجمهر و هياج قريش، و غضبها من الإجتماع!! و ان كانت تسكت عن هجومها على الشعب، و دفع حمزه و على لها، بل تكتفى بذكر لقائها

1- و يحتمل البعض: أن بعض سفهاء قريش و ليس كل قريش- قد حاولوا دخول الشعب فصدّهم على و حمزه و لكننا نقول لا مانع من تجمهر قريش .. و لكن عليا و حمزه أعاقا وصولها إلى مكان الاجتماع إلى حين تفرّق المجتمعين.

مع إبن أبى، ثم تتبعها للمسلمين، و ظفرها بابن عباده الى آخر ما تقدم.

و قد فات هؤلاء: أن قريشا التى عرفت بالإجتماع بعد انفضاضه فغضبت، و هاجت، ثم اتصلت بابن أبى، فأنكر ذلک، ثم بعد انصراف الحاج لحقت بالمسلمين، و آذت سعد بن عباده الخ، لا يمكن أن تسكت عن الهجوم على محل الإجتماع، و أخذ الأنصار و النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالجرم المشهود، و تكون حينئذ معذوره أمام من تريد الاعتذار منهم. فلماذا سكتت هنا. و غضبت و تصرفت بعنف هناک.

و على كل حال، فقد عودنا هؤلاء أن نرى منهم كثيرا من أمثال هذه الخيانات للحق و للدين؛ لأهداف دنيويه رخيصه، و صدق المثل الذى يقول:

(لأمر ما جدع قصير أنفه).

و لعلک تقول: كيف يمكن لرجلين: ان يقفا فى وجه قريش و يرداها على أعقابها؟! و هى فى إبان غضبها، و أعلى درجات تحمسها.

و الجواب: أن الرجل الواحد أيضا كان يكفى لرد كيد قريش، و ذلک لأن هذا الرجل و الرجلين يقف او يقفان على فم الشعب، حيث لا يمكن أن يعبر إلا أفراد او جماعات صغيره يمكن ردها على أعقابها برد الفئه الأولى منها. و قد كان يقال: إن عمرو بن عبدود (الذى قتله امير المؤمنين (عليه السلام) يعد بألف فارس، و ذلک لانه وقف على فم الوادى، و منع الف فارس من ورودها، و لم يمكن دخول الألف إلا متفرقين بسبب ضيق المكان.

سرّيه الإجتماع، و التقيّه.

إن المحافظه على سريه الإجتماع، التى بلغت الحد الذى لم يستطع حتى من كانوا ينامون مع المسلمين: أن يشعروا بشى ء، و لا عرفوا

بغيبه رفقائهم، و كذلک الحال فی موعد الاجتماع و مکانه، و الطريقه التی تم بها، رغم ضخامته، و اتساع نطاقه- ان کل ذلک- ليعتبر مثلا رائعا، و دليلا قويا علی مدی وعی اولئک المسلمين و يقظتهم، و حسن تدبيرهم.

کما أنه برهان آخر علی أن اللجوء الی عنصر السريه لا يعتبر تخاذلا، إذا کان المسلمون لا يملکون مقومات الدفاع عن أنفسهم فی مقابل قوی الظلم و الطغيان. و هو دليل آخر علی أن التقيه التی يقول بها الشيعه و أهل البيت، و نزل بها القرآن و تحکم بها الفطره و العقل السليم هی الاسلوب الصحيح فی التعامل مع الواقع بمرونه، و وعی، حينما يکون الباطل هو القوی ماديا و لا يملک أهل الحق ما يدفع عنهم او يمنع.

شروط البيعه:

و نجد هنا: أن النبی الأعظم صلی اللّه عليه و آله و سلم، قد أخبرهم بما سوف يعترض طريقهم من مشاکل و صعوبات، فی سبيل نشر الدعوه، و الدفاع عنها. ليکونوا علی علم مسبق بذلک، و علی بصيره من أمرهم، و من دون أی إبهام أو غموض. حتی لا يترک لهم فی المستقبل مجالا للإعتذار بأنهم ما کانوا يعرفون: أن الأمر سوف ينتهی بهم إلی ما انتهی إليه من مصاعب و متاعب. بل هو لا يريد أن يشعروا فی أنفسهم بالغبن، أو حتی أن يمر ذلک فی وهمهم و خيالهم علی الإطلاق.

و هو بذلک يدلل لکل أحد علی أنه لا يريد أن يخدع أحدا بالوعود الخلابه، و لا أن يجعلهم يعيشون الآمال و الأحلام الفارغه لأن الوسيله عنده جزء من الهدف، رغم أنه فی أمسّ الحاجه إلی نصرتهم، بل هو لم يجد طيله فتره دعوته غيرهم.

لماذا النقباء:

و إن من طبيعه العربی الالتزام بالعهد، و الوفاء بالذمار و تعتبر کل

قبيله: أنها مسؤوله عن الوفاء بما يلتزم به أحد أفرادها، أو حلفائها عليها.

و عندما بايع الأنصار النبى على الإيمان و النصره حسبما تقدم- أراد أن يلزمهم ذلک بشكل محدد، بحيث يستطيع أن يجد فى المستقبل من يطالبه بالوفاء بالالتزامات و العهود، و كان أولئک النقباء هم الذين يتحملون مسؤوليه الوفاء بتلک الالتزامات. و هم الذين يمكن مطالبتهم بذلک، لأنهم هم الكفلاء لقومهم، برضى منهم و من قومهم على حد سواء.

أما إذا ترک الأمور فى مجاريها العامه، فلربما يمكن لكل فرد أن يتملص و يتخلص من التزاماته، و يلقى التبعه على غيره، و يعتبر أن ذلک غير مطلوب منه، و لا يمكن بحسب تصوره أن يكون هو كفرد مسؤولا عنه.

و أما بعد أن التزم ذلک أفراد معينون، كل واحد منهم من قبيله. فإن المسؤوليه قد أصبحت محدوده، و يمكن مطالبتهم بالوفاء بالتزاماتهم، كلما دعت الحاجه إلى ذلک. لا سيما فى مواقف الحرب و الدفاع.

و بذلک تبتعد القضيه عن الأهواء الشخصيه، و الأهم من ذلک عن الفوضى فى المواقف العامه، و تدخل مراحل التنظيم و البناء الاجتماعى على مستوى الفرد و الجماعه.

المشركون فى مواجهه الأمر:

يلاحظ: أن المشركين قد اهتموا لأمر هذه البيعه جدا، حتى إنهم تهددوا أهل المدينه بالحرب، مستغلين بذلک ضعف المجتمع المدنى، و تفككه بسبب الحروب الداخليه بين الأوس و الخزرج.

نعم، إنهم يهددونهم بالحرب، رغم أن حربا كهذه لسوف تجر عليهم أخطارا جسيمه من وجهه نظر إقتصاديه، لأن قوافلهم إلى الشام، محل تجارتهم المفضل كان طريقها على المدينه. مما يعنى: أن المشركين كانوا يرون فى هذه البيعه خطوره قصوى، تجعلهم يضطرون

إلى التضحيه بعلاقاتهم الحسنه مع كل من يتقبل هذه الدعوه و يناصرها، حتى و لو كانوا أهل المدينه، الذين كانوا يكرهون جدا أن تنشب الحرب فيما بينهم و بينهم، كما تقدم قولهم ذلک لابن أبى. كما أن ذلک يدلنا على مدى ما كان يتعرض له المسلمون فى مكه من ظلم و اضطهاد.

منازعه الأمر أهله:

قد تقدم أن من جمله ما اشترطه الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم على أهل المدينه فى ضمن نص البيعه، هو أن لا ينازعوا الأمر أهله.

و إن اشتراط ذلک فى نص بيعه حساسه جدا فى تاريخ الإسلام، و يتقرر مصير الإسلام على نجاحها و عدمه. و تعريض هذه البيعه لخطر الرفض و الانفصام، فيما لو رفضوا الالتزام بذلک- كما كان الحال بالنسبه لبنى عامر، حسبما تقدم- ان ذلک لمما يدل على أن هذا الأمر كان له أهميه قصوى بالنسبه للرسول صلى اللّه عليه و آله الذى كان رأيه يمثل رأى الإسلام الواقعى. و يوضح أنه لن يتنازل عنه و لو تعرّض لأعظم الأخطار.

مما يعنى: أن هذا الأمر ليس له، و إنما هو للّه يضعه حيث يشاء. و أن هذا هو الأمر الذى إذا لم يبلّغه فما بلّغ رساله ربه سبحانه و تعالى.

و يمكن أن نفهم من ذلک أيضا: أن الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم كان من أول الأمر يمهّد السبيل لجهه معينه و إلا، فكيف ينهى الناس عن منازعه الأمر أولئک الأهل المخصوصين و المؤهلين للملک و الخلافه، ثم ينسى أن يعيّن شخص ذلک الخليفه منهم؟!.

و ليعطف ذلک على ما تقدم من تعيينه ذلک الشخص حين إنذار عشيرته الأقربين. ثم على ما يأتى بعد من مواقف و تصريحات و كنايات له صلى الله عليه و آله وسلم ، و لا سيما فى قضيه الغدير.

ص: 327

النبى لم يؤمر بالحرب بعد:

كما أننا نجده (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لا يأذن للمجتمعين فى العقبه بأن يميلوا على قريش بأسيافهم؛ لأن معنى ذلک هو القضاء على هذا الدين، و على حماته الأبرار، و لا سيما مع قلّتهم، و كونهم فى الموسم، الذى تجتمع فيه الناس من كل حدب و صوب، و كلهم على نهج و طريقه، و مذاق قريش، و يدورون فى فلكها دينيا و عقائديا و فكريا، و حتى مصلحيا أيضا. و لن يكون هناک أيه فرصه لانتصار الأنصار على عدوهم فى بلاده.

و قريش التى ترى فى المدينه أهميه خاصه لأنها على طريق قوافلها إلى الشام و لأجل ذلک أطلقت سعد بن عباده. لن تسكت على موقف الأنصار هذا. و يكون لها كل الحق أمام أهل الموسم، و حتى أمام المدنيين المشركين فى أن تضربهم الضربه القاصمه و القاضيه، لأنهم فى موقف المعتدى، و على قريش أن ترد هذا الاعتداء بالكيفيه و بالحجم الذى تراه مناسبا.

ص: 329

ص: 330

الباب الخامس: من مكه الى المدينه

اشاره

الفصل الأول: ابتداء الهجره الى المدينه

اشاره

حب الوطن من الإيمان:

لقد ورد عنهم علیهم السلام أن (حب الوطن من الإیمان) (1) و إننا بغض النظر عن سند هذا الحدیث. لربما یصعب علینا- لأول وهله- تصور معنی سلیم و مقبول لهذه الکلمه؛ إذ لماذا یکون حب الوطن من الإیمان؟! و هل یمکن أن یکون لهذا التراب بما هو تراب، ولد الإنسان علیه، و عاش فی أجوائه، مهما کان وضعه الجغرافی سیئا، قیمه و احترام إلی حد أن یعتبر حبه من الإیمان؟ و بسوی هذا الحب، فإن الإیمان یکون ناقصا، و لیس فیه تلک الفاعلیه المتوخاه؟.

و إننا فی مقام الإجابه علی هذا السؤال، نقول:

إن هذا الحب الذی یهتم به الإسلام لا یمکن أن یکون حبا عشوائیا، لا هدف له، و لا فائده منه. و لا فی خط مخالف للإسلام. و إنما هو حب منسجم مع أهداف الإسلام العلیا، و من منطلق إیمانی واقعی إلهی، فإنه (من الإیمان).

کما أن الوطن الذی یعتبر الإسلام حبه من الإیمان، لیس هو محل ولاده الإنسان، و إنما هو الوطن الإسلامی الکبیر، الذی یعتبر الحفاظ علیه

1- سفینه البحار ج 2 ص 668.

حفاظا على الدين و الإنسانيه، لأن به يعز الدين، و تعلو كلمه اللّه، و هو قوه للإسلام، لأنه محل استقرار و هدوء، و موضع بناء القوه فكريا و روحيا و ماديا، ثم الحركه على صعيد التنفيذ للانتقال إلى الوضع الأفضل و الأمثل. أما حيث الغربه و عدم الاستقرار، فهناک الضياع، و هدر الطاقات، و حيث لا يجد الإنسان الفرصه للتأمل و التفكير فى واقعه، و لا فى مستقبله، و لو أنه استطاع ذلک، فلسوف لا يستطيع تنفيذ قراراته، لعدم المركزيه التى تمنحه الحركه المنظمه، و الثابته. ثم التركيز و الإستمرار.

نعم، إن الوطن ليس إلا وسيله للدفاع عن الدين و الحق، و للوصول إلى الأهداف الخيره و النبيله، فالدين و الإنسان هو الأصل، و الوطن و غيره لا بد و أن يكون فى خدمه هذا الدين، و من أجل ذلک الإنسان.

فمن يحافظ على وطنه، و يحبه بدافع الحفاظ على الإسلام؛ و حبه، فإن حفاظه و حبه هذا يكون من الإيمان.

و أما إذا كان الوطن وطن الشرک و الكفر و الانحراف، و الانحطاط بإنسانيه الإنسان؛ فإن الحفاظ على وطن كهذا و حبه يكون حفاظا على الشرک و تقويه له، كما أن حبه هذا يكون من الكفر و الشرک، لا من الإيمان و الإسلام.

و من أجل ذلک فقد حكم الإسلام و القرآن على من كان فى بلاد الشرک، و كان بقاؤه فيها موجبا لضعف دينه و إيمانه: أن يهاجر منها إلى بلاد الإيمان و الإسلام، إلى حيث يستطيع أن يحتفظ بدينه قويا فاعلا، و بإنسانيه خلاقه نبيله قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَهُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا: فِيمَ كُنْتُمْ؟ قالُوا: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا: أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَهً فَتُهاجِرُوا فِيها؟ فَأُولئِکَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِيراً (1).

1- النساء/ 97.

بل إن محل ولاده الإنسان إذا كان يحارب الدين الحق، و يسعى فى اطفاء نور اللّه، فإنه يجب تدميره على كل أحد حتى على نفس هذا الذى ولد و عاش فيه (1).

و من هنا نعرف أن هجره النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و أصحابه من مكه إلى المدينه كانت هجره طبيعيه و منسجمه مع مقتضيات الفطره و العقل السليم و الفكر الصحيح، الذى يلاحظ سمو الهدف و نبل الغايه، و يقيّم كل شى ء انطلاقا من ذلک الهدف، و على طريق الوصول و الحصول على تلک الغايه.

و ليكن هذا تمهيدا للحديث عن ظروف الهجره و عواملها و أحداثها، فى حدود ما يتناسب مع هذا الكتاب، فنقول:

دوافع الهجره من مكه إلى المدينه:

إننا بالنسبه لدوافع الهجره من مكه إلى المدينه يمكننا الإشاره إلى ما يلى:

أولا: إن مكه لم تعد أرضا صالحه للدعوه، فقد حصل النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) منها على أقصى ما يمكن الحصول عليه، و لم يبق بعد أى أمل فى دخول فئات جديده فى الدين الجديد، فى المستقبل القريب على الأقل.

و قد كان ثمه مبرر لتحمل الأذى و المصاعب، حينما كان يؤمل أن تدخل فى الإسلام جماعات تقويه، و تشد من أزره.

1- و يرى العلامه المحقق الشيخ على الأحمدى: أن معنى حب الوطن من الايمان: أن من يحب وطنه فانه يسعى إلى تنقيته من الانحرافات، و حل مشاكله، و هدايه مجتمعه الى طريق الحق و الايمان و الاسلام، لأن الايمان هو الذى يدفعه إلى ذلک، كما هو معلوم.

أما بعد أن أعطت مكه كل ما لديها فأخرجت جماعات من شبان المؤمنين، و من المستضعفين، و لم يبق فيها إلا ما يوجب الصد عن سبيل اللّه، و يضع الحواجز و العراقيل الكثيره أمام تقدم هذا الدين، و يمنع من انتشاره و اتساعه؛ فإن البقاء فى مكه ليس فقط لا مبرر له، بل هو خيانه للدعوه الإسلاميه، و مساعده على حربها، و القضاء عليها، و لا سيما بعد أن جندت قريش كل طاقاتها للصد عن سبيل اللّه، و إطفاء نوره، و يأبى اللّه إلا أن يتم نوره و لو كره المشركون.

نعم، لقد كان لا بد من الانتقال إلى مركز آخر، تضمن الدعوه فيه لنفسها حريه الحركه، فى القول و العمل، بهدوء بال، و اطمئنان خاطر، بعيدا عن ضغوط المشركين، و فى منأى عن مناطق سيطرتهم و نفوذهم.

و قد رأينا: أنهم كانوا يلاحقون تحركات النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و يرصدونها بدقه، و يتهددون، بل و يعذبون كل من يدخل فى هذا الدين الجديد، و يخيفون كل من يحتمل دخولهم فيه.

ثانيا: إن الإسلام و ممثله و داعيته الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لا يمكن له أن يقتنع بهذا النصيب المحدود من التقدم، لأنه دينه دين البشريه جمعاء: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ.

و ما حصل عليه حتى الآن لا يمكّنه من تطبيق كافه تشريعات الإسلام، و تحقيق كامل أهدافه. و لا سيما بالنسبه إلى ذلک الجانب، الذى يعالج مشاكل الناس الإجتماعيه و غيرها، مما يحتاج إلى القوه و المنعه فى مجال فرض القانون و النظام.

و من الناحيه الأخرى: إنه إذا كان بنو عبد المطلب و الهاشميون قد استطاعوا أن يؤمنوا الحمايه لشخص الرسول من اعتداآت الآخرين على شخصه الكريم، فإنهم لم و لن يستطيعوا أن يؤمنوا له القدره على حمايه أصحابه. الذين دخلوا فى هذا الدين، و قبلوا رساله السماء. فضلا عن أن

يتمكنوا من تأمين الحد الأدنى من الحمايه له، فيما لو أراد أن يتوسع فى نشر رساله الإسلام، و فرض هيمنه هذا الدين و سلطانه، إذا احتاج الأمر إلى ذلک.

و أما بعد وفاه أبى طالب رحمه اللّه فإن الأمور قد تطورت بشكل مخيف، حتى بالنسبه إلى شخص النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، كما رأينا و سنرى.

ثالثا: و لقد صمد أولئک الذين أسلموا سنوات طويله فى مواجهه التعذيب و الظلم و الاضطهاد، حتى لقد فر قسم منهم بدينه إلى بلاد الغربه، و بقى الباقون يواجهون محاولات فتنتهم عن دينهم، بمختلف وسائل القهر تاره، و بأساليب متنوعه من الإغراء أخرى.

و إذا استثنينا أشخاصا معدودين، كحمزه أسد اللّه و أسد رسوله، و بعض من كانت لهم عشائر تمنعهم (1)، فإن بقيه المسلمين كانوا غالبا من ضعفاء الناس، الذين لا يستطيعون حيله، و لا يجدون سبيلا إلا الصبر، و تحمل الأذى.

و إذا فرض عليهم أن يستمروا فى مواجهه هذه الآلام و المشاق، دونما أمل أو رجاء؛ فمهما كانت قناعتهم بهذا الدين قويه و راسخه؛ فإن من الطبيعى- و الحاله هذه- أن يتطرق اليأس إلى نفوسهم، ثم الهروب و الملل من حياه كهذه. و قد تستميلهم بعض الإغراآت العاجله، فيهلكون و يهلكون؛ فإنه ليس بمقدورهم أن يقضوا حياتهم بالآلام و المتاعب. بل إن بعضهم- كما سيأتى- يهمّ بالعوده إلى الشرک، و يتطلب السبل لمصالحه مشركى مكه، حينما أشيع فى غزوه أحد: أن النبى (صلى اللّه

1- و حتى هؤلاء فانهم لم يسلموا من الاضطهاد النفسى و المقت الاجتماعى المر. و لربما يكون ذلک بالنسبه لبعضهم أشد من التعذيب الجسدى، تبعا لنسبه الوعى و الشعور المرهف الذى كان يمتاز به بعضهم على غيره.

علیه و آله و سلم) قد قتل. و قد نزل فی ذلک قرآن یتلی إلی یوم القیامه:

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ، وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللَّهَ شَیْئاً، وَ سَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِینَ (1).

رابعا: لقد رأت قریش أخیرا: أنها قد اهتدت للطریقه التی تستطیع بواسطتها أن تقتل النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، دون أن تکون مسؤوله أمام الهاشمیین بشکل محدد. أو بالأحری دون أن یستطیع الهاشمیون أن یطالبوا بدم النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم). و ذلک بأن یقتله عشره، کل واحد منهم من قبیله، فیضیع دمه فی القبائل، و لا یستطیع الهاشمیون مقاومتها جمیعا؛ لأنهم إما أن یقاتلوا القبائل کلها، و تکون الدائره علیهم، و أما أن یقبلوا بالدیه، و هو الأرجح. و إذا قتل النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فإن القضاء علی غیره من اتباعه یکون أسهل و أیسر، و لا یشکّل لقریش مشکله ذات شأن. بل و حتی لوترکوهم علی ما هم علیه، فإن أمرهم لسوف یصیر إلی التلاشی و الاضمحلال.

هکذا کانت تفکر قریش و تخطط. و هو تفکیر محکوم بالعصبیه القبلیه. و لکنه ذکی جدا. و بالإمکان تحقیق الأهداف الشریره تجاه الرسول و الرساله من خلاله.

و لکن عنایه اللّه سبحانه و إن کانت تشمل النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و ترعاه، إلا أن من الواضح: أن إقدام قریش علی تنفیذ مخططاتها- فشلت أو نجحت- لسوف یعرض علاقاتها مع الهاشمیین لنکسه خطیره، و لسوف تزید مضاعفاتها بشکل مخیف ببقاء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی مکه. کما أن عاده اللّه قد جرت علی أن لا یحول بین أحد و بین تنفیذ إرادته، بشکل قهری و قسری، إلا بنحو من العنایات و الألطاف التی

1- سوره آل عمران 144.

تشمل ذلک النبی الذی یکون حفظه ضروریا لحفظ الدین و الإنسان.

فأراده الانسان حره طلیقه، و لکن اللّه یسدد ویلهم و یؤید من تستهدفه تلک الاراده بالشر و الاذی.

و بعد کل ما تقدم یتضح: أنه کان لا بد للنبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و لمن معه من المسلمین من الخروج من مکه إلی مکان أمن و سلام لا یشعرون فیه بأی ضغط، یملکون فیه حریه الحرکه، و حریه الکلمه، و حریه التخطیط لبناء مجتمع إسلامی یکون فیه النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قادرا علی القیام بنشر دعوته، و إبلاغ رسالته، علی النحو الأفضل و الأکمل.

سرّ اختیار المدینه:

و أما عن سر اختیار النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)- الذی لا ینطق عن الهوی، إن هو إلا وحی یوحی- للمدینه بالذات دارا لهجرته، و منطلقا لدعوته، دون غیرها کالحبشه مثلا؛ فذلک یرجع إلی عده عوامل، نذکر منها ما یلی:

1- إن مکه کانت- کما قدمنا- تتمتع بمکانه خاصه فی نفوس الناس. و بدون السیطره علیها، و القضاء علی نفوذها الوثنی، و استبداله بالنفوذ الإسلامی؛ فإن الدعوه تعتبر فاشله، و کل الجهود تبقی بدون جدوی؛ فإن الدعوه کانت بحاجه إلی مکه، بنفس القدر الذی کانت مکه بحاجه فیه إلی الدعوه.

فلا بد من اختیار مکان قریب منها، یمکن أن یمارس منه علیها رقابه، و نوعا من الضغط السیاسی و الاقتصادی، و حتی العسکری إن لزم الأمر فی الوقت المناسب، حینما لا بد له من أن یفرض سلطته علیها.

و المدینه، هی ذلک الموقع الذی تتوفر فیه مقومات هذا الضغط،

فهى تستطيع مضايقه مكه اقتصاديا؛ لوقوعها على طريق القوافل التجاريه المكيه، و قريش تعيش على التجاره بالدرجه الأولى.

و قد تقدم قول المشركين لعبد اللّه بن أبى، حين بيعه العقبه: (ما من حى أبغض من أن تنشب الحرب بيننا و بينه منكم).

و تقدم أيضا: أنهم لما أخذوا سعد بن عباده بعد بيعه العقبه و عذبوه، جاء الحارث بن حرب و جبير بن مطعم و خلصاه، لأنه كان يجير لهما تجارتهما.

و إذا كانت قريش قد لقيت من أبى ذر ما لقيت، حين أخذ عليها طريق تجارتها، فإن ما سوف تلقاه من أهل المدينه سيكون أشد، و أعظم خطرا، و أبعد أثرا، و لا سيما إذا عقد الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تحالفات مع سائر القبائل المقيمه فى المنطقه، كما حصل بالفعل، و كانت المعاهده بصوره تجعلهم مضطرين لقطع علاقاتهم بالمشركين (1).

2- لقد عرفنا مما تقدم: أن الهجره إلى المدينه هى الحل المفروض، الذى لا خيار معه؛ و ذلک لأن الهجره إلى الطائف لم تكن بالتى تجدى نفعا، بعد أن رأينا: أن أهلها رفضوا الاستجابه إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، حينما هاجر إليهم، لأنهم يرون: أن مكه هى التى تستطيع أن تضايقهم اقتصاديا، و هم إليها أحوج منها إليهم.

و لأجل ذلک فإنهم لا يستطيعون فى المستقبل المنظور على الأقل إلا أن يدوروا سياسيا فى فلكها، و أن يخضعوا لسيطرتها. و أما سائر قبائل العرب؛ فلا يجدون فى أنفسهم القدره على ذلک. و قد جرّب أن يعرف

1- راجع: و ثيقه المدينه الآتيه فى الجزء التالى من هذا الكتاب؛ أو آخر فصل: أعمال تأسيسيه فى مطلع الهجره. فقد جاء فيها ما يلى: (و أنه لا يجير مشرک مالا لقريش، و لا نفسا، و لا يحول دونه على مؤمن). و راجع: نشأه الدوله الإسلاميه: ص 289- 295.

مدى استعدادهم لقبول دعوته، و الدفاع عنها؛ فوجد ما لا ينقع غله، و لا يبل صدى، إن لم نقل أنه وجد ما يزيد الطين بله، و الامر خطوره.

و أما اليمن، و فارس، و الروم، و بلاد الشام و غيرها؛ فقد كانت خاضعه لسلطه الدولتين العظميين، اللتين لن يكون نصيب الرسول و الرساله منهما سوى المتاعب و الاخطار الجسيمه. و قد تكلمنا عن شى ء من ذلک عند الحديث عن عوامل انتصار الاسلام و انتشاره فى أواخر الباب الأول من هذا الكتاب. و لسوف نرى أن كسرى قد حاول أن يقوم بعمليه خطيره تجاه الرسول و رسالته حينما أرسل إليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يدعوه إلى الإسلام.

و أما الحبشه فهى بحكم موقعها الجغرافى مفصوله عن مكه، كما أنها بحكم واقعها الإجتماعى، و السياسى، و البشرى، و العنصرى، و بحكم كونها بلدا أفريقيا، فإنها ليست بلدا قادرا على أن يقود عمليه التغيير العالميه الشامله، لا إقتصاديا، و لا سياسيا، و لا عسكريا، و لا حتى فكريا، و إجتماعيا.

أضف إلى ذلک أن مهاجمه مكه بجيش من الحبشه لسوف يدفع العرب كافه إلى الوقوف إلى جانب قريش ضده، بخلاف ما لو كانت عمليه التغيير منطلقه من الداخل حينما يؤمن بدعوته الفقراء، و المستضعفون، و يواجه هؤلاء الملأ و المستكبرين من قومهم بالذات.

و هكذا يتضح: أنه ليس ثمه إلا المدينه، و المدينه فقط موقعا مناسبا للهجره فكانت الهجره إليها.

3- و من الجهه الأخرى، فإن المدينه كانت أغنى من مكه زراعيا.

أى أنها لو فرض عليها: أن تتعرض لضغط تجارى من نوع ما- مع أنه ليس باستطاعه مكه أن تفعل شيئا من ذلک- فإنها تستطيع أن تقاوم هذا الضغط، و تحتفظ لنفسها بنوع من الحياه، و لو بصعوبه مّا، من دون أن

تستسلم لإراده الآخرين، و تنساق وراء رغباتهم، كما كان الحال بالنسبه لغيرها.

هذا عدا عن أن الدعوه التى تحتاج إلى نشاط واسع، و جهد شامل، لأنها تريد أن تقود عمليه التغيير الشامل على مستوى عالمى- هذه الدعوه- تحتاج إلى استقرار اقتصادى داخلى، يستطيع أن يوفر الفرصه لحمله هذه الرساله للحركه فى سبيل نشر دينهم، و بث رسالتهم.

4- و إذا كان الحج من أهم تشريعات الاسلام؛ فما دامت مكه فى أيدى الوثنيين؛ فإنه سوف يفقد أثره و فعاليته فى مجال التربيه السياسيه، و الإجتماعيه، و فى غير غير ذلک من مجالات.

و أيضا، فما دامت مكه فى أيدى الوثنيين، فلسوف يبقى لهم نفوذ واسع فى القبائل العربيه، و قدسيه من نوع مّا فى نفوسهم.

فلا بدّ إذن من اخراجها من أيديهم؛ لينتهى مالهم من رصيد معنوى فى نفوس الناس، و لتنفتح القلوب بكل ما لديها على الدين الجديد، و ليتمكن المسلم من أن يؤدى إحدى أعظم شعائره- الحج- بحريه تامه، دونما رادع أو زاجر.

و يدل على ذلک، ما يرويه الطبرانى و غيره: أنه لما عرض النبى الإسلام على ذى الجوشن الضبابى، أبى أن يدخل فيه إلا أن يرى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد غلب على الكعبه. و فى روايه أخرى، أنه قال له: (رأيت قومک قد كذبوک، و أخرجوک، و قاتلوک. فانظر ماذا تصنع؛ فإن ظهرت عليهم آمنت بک، و اتبعتک، و إن ظهروا عليک لم أتبعک (1)).

1- مجمع الزوائد ج 6 ص 68، و قال: (رواه عبد اللّه بن أحمد، و أبوه، و لم يسق المتن، و الطبرانى و رجالهما رجال الصحيح، و روى أبو داود بعضه) انتهى.

و بعد هذا، فإن أقرب المواقع إلى مكه هو المدينه، و هى التى تملک إلى جانب قوتها الاقتصاديه كثافه سكانيه جيده، تستطيع أن تقوم بالمهمه التى توكل إليها تجاه مكه على أكمل وجه، و لا توجد هذه الميزه فى أى من المناطق القريبه إلى مكه.

و نلاحظ: أن إيجاب الهجره على من يسلم، قد جعل المدينه- بعد هجره الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إليها- فى حاله نمّو سكانى مستمر، يؤهلها لتحمل مسؤوليه بناء دوله، و حمايه منجزاتها على المدى المنظور.

5- إن أهل المدينه كانوا فى الاصل من مهاجرى اليمن، التى كانت تمتلک شيئا من الحضاره البدائيه فى قديم الزمان، فهم ليسوا أعرابا؛ لتكون قلوبهم ممعنه فى القسوه. و لا كان ثمه زعامات و مصالح خطيره لهم فى المنطقه، كما كان الحال بالنسبه لقريش، و لا كانوا يعيشون فى تلک الأجواء النفسيه المعينه، كما كانت تعيش قريش؛ نتيجه لموقعها النسبى فى العدنانيه، و لموقعها فى زعامه مكه، و حجابه البيت.

ثم هناک التنافس الظاهر بين العدنانيه و القحطانيه. حيث لا يسع القحطانيين، حتى و لو لم تكن ثمه دوافع دينيه و عقيديه: أن يسلموا النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى أعدائه.

و يشهد لهذا: أننا نجد بقايا هذا التنافى حتى إلى ما بعد وفاه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؛ فنجد أن عمر بن الخطاب قد فضل العدنانيه على القحطانيه فى العطاء، الأمر الذى مهد السبيل أمام الأمويين لإستغلال هذه الروح و إشعال الفتن بين اليمانييه و القيسيه. إبّان حكمهم البغيض. بينما نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن يرى لبنى إسماعيل على بنى إسحاق فضلا. (و لهذا البحث مجال آخر).

6- ثم إن أهل المدينه قد ذاقوا مراره الانحراف كأشد ما يكون،

و قد أنهكتهم الحروب و اكلتهم، و يعيشون فى رعب دائم و خوف مستمر، حتى إنهم ما كانوا يضعون السلاح لا فى الليل و لا بالنهار (1). و تقدم أن الخزرج ذهبوا إلى مكه يطلبون الحلف من القرشيين فلم تلب قريش طلبهم. و كانوا يتمنون من كل قلوبهم: أن يجدوا مخرجا من المأزق الذى يرون أنفسهم فيه، حتى إن اسعد بن زراره لا يخفى لهفته على هذا الأمر؛ حيث قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حينما دعاه إلى الاسلام: (إنا من أهل يثرب من الخزرج، و بيننا و بين اخوتنا من الاوس حبال مقطوعه، فإن وصلها اللّه بک، و لا أحد أعز منک الخ) (2).

ثم و بعد أن دخل الإسلام إلى المدينه، فقد كان لا بد أيضا من الحفاظ على المسلمين فيها، و شد أزرهم، حتى يمكن لهم الاستمرار فى نصره هذا الدين، و اعلاء كلمه اللّه.

7- لقد كانت بشائر اليهود بقرب ظهور نبى فى المنطقه قد جعلت الكل مستعدين لقبول هذا الدين. و لكنهم يحتاجون إلى مناسبات دافعه، و إلى ظروف مشجعه؛ فلماذا يهملهم الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و لا يهيى ء لهم الفرصه لذلک؟!.

8- هذا كله، عدا عن أن أهل المدينه أنفسهم قد طلبوا ذلک من النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم و بايعوه بيعه العقبه، و وعدوه النصر، و النبى صلى الله عليه و آله وسلم إنما يتصرف وفق الإراده الإلهيه التى لا تغيب عنها تلک المصالح و سواها.

فاللّه هو الذى يرعاه و يسدده، صلى اللّه عليه و على آله الطاهرين.

هذا ما رأينا الاشاره إليه فى هذا الصدد.

1- البحار: ج 19 ص 8 و 9 و 10، و أعلام الورى: ص 55.
2- البحار: ج 19، و أعلام الورى: ص 57.

المؤاخاه بين المهاجرين:

و كتمهيد لعمليه الهجره، حيث يفترض أن يواجه المسلمون الكثير من المصاعب، التي تحتاج إلى التعاون و التعاضد بأعلى مراتبه، كانت عمليه المؤاخاه التى أريد بها السمو بعلاقات هذا الانسان عن المستوى المصلحى، و جعلها علاقه إلهيه تصل إلى درجه الأخوه؛ ليكون أثرها فى التعامل بين المسلمين أكثر طبيعيه، و انسجاما، و بعيدا عن النوازع النفسيه التى ربما توحى للمعين و المعان بأمور من شأنها أن تعقّد العلاقات بينهما نفسيا على الاقل.

و قد رأينا: أن البعض يتوهم ترتب التوارث على هذه المؤاخاه دون الرحم، و ذلک يدل على عمق تأثير هذا الحدث فى المسلمين؛ فى روحياتهم و فى علاقاتهم على حد سواء.

و على كل حال، فلقد آخى الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قبل الهجره فيما بين المهاجرين، على الحق و المواساه؛ فآخى بين أبى بكر و عمر، و بين حمزه و زيد بن حارثه، و بين عثمان و عبد الرحمان بن عوف، و بين الزبير و ابن مسعود و بين عباده بن الحارث و بلال. و بين مصعب بن عمير و سعد بن أبى وقاص، و أبى عبيده و سالم مولى أبى حذيفه، و بين سعيد بن زيد و طلحه، و بين على (عليه السلام) و نفسه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و قال: أما ترضى أنّ أكون أخاک؟.

قال: بلى يا رسول اللّه رضيت.

قال: فأنت أخى فى الدنيا و الآخره (1).

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 20 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 155 عن الاستيعاب. و تاريخ الخميس ج 1 ص 353 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 14 و تلخيصه للذهبى.

و سيأتي إن شاء اللّه في الجزء الرابع من هذا الكتاب: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد آخى بين المهاجرين و الأنصار بعد الهجره. و لسوف نذكر طائفه من مصادر حديث المؤاخاه هناک إن شاء اللّه و نذكر انكار ابن تيميه و غيره لحديث مؤاخاه مهاجرى لمهاجرى، و جوابه، ثم نعلق على حديث المؤاخاه بما نراه مناسبا؛ فإلى هناک.

ابتدأ هجره المسلمين إلى المدينه:

و يقول المؤرخون إن بيعه العقبه الثانيه قد كانت قبل هجره الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى المدينه بثلاثه أشهر و يقولون أيضا: إنه بعد أن عقد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بيعه العقبه الاولى- على الظاهر- مع أهل المدينه و لم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكه بسبب إيذاء المشركين، و لم يصبروا على جفوتهم، رخص لهم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالهجره إلى المدينه. و بقى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بمكه ينتظر أن يؤذن له. فخرجوا أرسالا، حتى أذن اللّه سبحانه لنبيه الاكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالهجره، كما سيأتى.

المثل الاعلى:

و جدير بالتسجيل هنا: أن نرى المسلم الحقيقى يضحى بوطنه الذى نشأ و عاش فيه، و بكل ما يملک من متاع الحياه الدنيا، و بعلاقاته الاجتماعيه، و روابطه النسبيه و يقدم على معاداه الناس كلهم، حتى آبائه، و اخوانه و ابنائه. و يخرج من بلده و مسقط رأسه ليواجه مستقبلا يعرف أنه مليى ء بالأحداث و الأخطار، كل ذلک فى سبيل هدفه و دينه و عقيدته. و هو أروع مثل نستفيده من عمليه الهجره. سواء فى ذلک الهجره إلى المدينه، أو الهجره إلى الحبشه.

هجره عمر بن الخطاب:

و مما يلفت النظر هنا ما يقال عن كيفيه هجره عمر بن الخطاب، حيث يروون عن على (عليه السلام) أنه قال:

ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همّ بالهجره تقلد بسيفه، و تنكب قوسه، و انتضى فى يديه أسهما، و اختصر عنزته، و مضى قبل الكعبه، و الملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعا، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحده واحده؛ فقال: شاهت الوجوه، لا يرغم اللّه إلا هذه المعاطس، فمن أراد أن تثكله أمه، أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته، فليلقنى وراء هذا الوادى.

قال على رضى اللّه عنه: فما تبعه أحد، ثم مضى لوجهه (1).

و نحن نقطع بعدم صحه هذا الكلام. لأن عمر لم يكن يملك مثل هذه الشجاعه، و ذلک:

أولا: لما تقدم فى حديث اسلامه عن البخارى و غيره، من أنه حين اسلم اختبأ فى داره خائفا، حتى جاءه العاص بن وائل، فأجاره، فخرج حينئذ.

و فى بدر تكلم واساء الكلام، حيث كان يجّبن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و المسلمين.

ثانيا: إن مواقفه الحربيه كانت عموما غير مشجعه لنا على تصديق مثل هذا الكلام فلقد فر فى أحد، و فر فى حنين، رغم أنه يرى الخطر يتهدد

1- منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج 4 ص 387 عن ابن عساكر، و السيره الحلبيه ج 2 ص 21/ 22، و أشار إلى ذلک فى نور الابصار ص 15. و كنز العمال ج 14 ص 221/ 222 عن ابن عساكر.

الرسول الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فلا يلتفت إليه، و لا يفكر إلا فى الحفاظ على نفسه.

و أما فراره فى خيبر فهو أعجب و أعجب حيث إنه كان معه من يدافع و يحامى عنه.

أما فى واقعه الخندق ففر فيها أيضا كما أنه لم يجرؤ على الخروج إلى عمرو بن عبدود.

و حينما أخذ النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) سيفا فى أحد، و قال:

من يأخذ هذا السيف بحقه طلبه أبو بكر، و عمر فلم يعطهما إياه. و اعطاه أبا دجانه. إلى غير ذلک مما لا مجال له هنا. و لسوف نشير اليه فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى. حين الكلام على الغزوات المشار إليها.

و الغريب فى الأمر: أننا لم نر و لم نسمع: أن عمر، و أبا بكر، و عثمان قد قتل واحد منهم أحدا، أو بارز انسانا، و ما ذكر من ذلک قد ثبت عدم صحته.

كما أنه لم يجرح أى من هؤلاء و لا دميت له يد و لا رجل فى سبيل اللّه. مع أن أعاظم صحابته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد أصيبوا فى اللّه وضحوا فى سبيله، الامر الذى يشير إلى أن هؤلاء كانوا شجعانا فى الرخاء، غير شجعان عند اللقاء.

ثالثا: لقد أشرنا فيما سبق إلى أنه لم يجرؤ على أن يأخذ رساله النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) للمكيين فى عام الحديبيه، بحجه: أن بنى عدى لا ينصرونه إن أوذى!! فمن كانت هذه فعاله فى تلک المواقع الصعبه هل يحتاج إلى بنى عدى، أو إلى غيرهم؟!.

رابعا: قال أبو سفيان فى فتح مكه للعباس، حينما كانا يستعرضان الألويه، فمر عمر، و له زجل: (يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟!

قال: عمر بن الخطاب.

قال: لقد أمر أمر بنى عدى بعد- و اللّه- قله و ذله.

فقال العباس: يا أبا سفيان إن اللّه يرفع من يشاء بما يشاء، و إن عمر ممن رفعه الاسلام (1)).

و خامسا: إنهم متفقون على أن الرسول الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان أشجع البشردون استثناء، بل سيأتى أن بعضهم يحاول ادّعاء أشجعيه أبى بكر على سائر الصحابه- و ان كان سيأتى أن العكس هو الصحيح- و نحن نرى فى حديث الهجره أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يختفى فى الغار، حذرا من المشركين، كما أن أبا بكر يخاف و يبكى، رغم كونه مع النبى الاعظم، الذى يتولى اللّه رعايته و حمايته، و ظهرت له آنئذ الكثير من المعجزات الداله على ذلک. و قد ذكر اللّه خوف و حزن أبى بكر فى القرآن. فكيف يخاف أبو بكر و يحزن مع أنه إلى جانب رسول اللّه الذى يتولى اللّه حمايته و رعايته، مع ادّعاء محبى أبى بكر أنه أشجع الصحابه بعد الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)- نعم كيف يخاف أبو بكر و لا يخاف عمر؟!

و لماذا يعمل الرسول بالحزم، و يراعى جانب الحذر من قريش، و لا يفعل ذلک عمر بن الخطاب؟!

و لماذا لم يحم عمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، حتى يخرجه من مكه إلى المدينه؟!.

و لماذا يرضى عمر للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن يتحمل كل هذه الصعاب و المشاق، حتى يتمكن من التخلص من الورطه التى هو فيها؟!

1- مغازى الواقدى ج 2 ص 821 و عن كنز العمال ج 5 ص 295 عن ابن عساكر من طريق الواقدى.

بل إذا كان لعمر هذه الشجاعه و الشده؛ فلماذا يضطر النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى الهجره،؟ فليحمه هذا البطل الشجاع، و ليردّ عنه بعض ما كانت قريش تؤذيه به؟!.

ثم إننا لا ندرى لماذا لم يحدثنا التاريخ عن موقف مماثل لحمزه بن عبد المطلب، أسد اللّه و أسد رسوله، الذى شجّ رأس أبى جهل شجّه منكره، و عز المسلمون باسلامه؟!.

و لماذا يترک النبى و الهاشميين محصورين فى الشعب، يكادون يهلكون جوعا، و لا يجرؤ أحد على أن يوصل لهم شيئا من طعام؟!. لأن عمر عند هؤلاء قد اسلم قبل الحصر فى الشعب، و ان كنا اثبتنا فى ما تقدم بشكل قاطع: أنه قد اسلم قبل الهجره بقليل.

إلى غير ذلک من الأسئله الكثيره التى لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع و المفيد.

ما هى الحقيقه إذن؟!

و لكن الحقيقه هى: أن هذا التهديد و الوعيد إنما كان من أمير المؤمنين على (عليه السلام)، حينما هاجر، و لحقه سبعه من المشركين فى ضجنان و سيأتى تفصيل القضيه حين الكلام على هجره أمير المؤمنين على (عليه السلام) بعد هجره النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و لكن أعداء على (عليه السلام) لم يستطيعوا أن يتحملوا أن يروا هذه الكرامه له، و لا سيما بعد ما أثبت صحتها بمبيته على فراش النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليله الهجره. و كما كان يبيت على فراش رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مده ثلاث سنين، يقيه بنفسه حينما كانوا محاصرين فى شعب أبى طالب (رحمه اللّه).

فلمّا لم يكن إلى إنكارهم مبيته على الفراش سبيل أغاروا على

فضيلته الاخرى- كعادتهم- فاستولوا عليها، و نسبوها إلى غيره،- و عظموا من شأن أبى بكر فى الغار- كما سيأتى حين الكلام على الهجره إن شاء اللّه تعالى. بل انهم لم يرضوا إلا أن تكون فضيله عمر على لسان على نفسه، كما عودونا فى مناسبات كهذه، فإن ذلک أوقع فى النفس، و أبعد عن الشبهه، و أدعى إلى القبول.

و لكن اللّه تعالى يقول: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ (1). و هكذا كان.

ماذا عن الهجره إلى المدينه؟

لقد أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أصحابه بالهجره إلى المدينه، تمهيدا لخروجه هو (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إليها أيضا، و قال لهم: إن اللّه عز و جل قد جعل لكم إخوانا و دارا تأمنون بها، فهاجر إليها المسلمون، بعضهم سرا، و بعضهم علانيه، مضحين بوطنهم، و بعلاقاتهم، و كثير منهم بثرواتهم، و مكانتهم الاجتماعيه و كل شى ء، فى سبيل دينهم، و عقيدتهم.

و هذا معناه: أن الدين و العقيده فوق و أغلى من كل شى ء؛ فالوطن، و المال، و الجاه، و كل شى ء لا قيمه له، إذا كان الدين مهددا بالخطر؛ لأن الحفاظ على الدين الصحيح، معناه الحفاظ على الوطن و المال و كل شى ء، و بدونه يكون كل شى ء فى معرض الزوال، إن لم يكن عبئا، أو فقل: خطرا يتهدد هذا الانسان فى كثير من الظروف و الأحوال.

قريش و الهجره:

و قد قدمنا بعض الكلام حول الهجره، و موقف قريش منها حين

1- الأنبياء/ 18.

الكلام على هجره الحبشه فلا نعيد و إذا كانت قريش قد قاومت الهجره إلى الحبشه بذلک الشکل القوى، حتى لقد حاولت استرجاع المسلمين من أرض الحبشه. فماذا عساها يكون موقفها من الهجره إلى المدينه، و التى ترى فيها أعظم الخطر على مصالحها، و على وجودها و مستقبلها؟!.

لقد حاولت أن تمنع المسلمين من الهجره بمختلف الوسائل، فكانت تحبس من تظفر به منهم، و تفتنه عن دينه، و تمارس ضده مختلف أساليب القهر و القسوه، فلم تنجح و لم تفلح و هى من الجهه الأخرى ترى نفسها عاجزه عن التصفيه الجسديه لأكثر المسلمين؛ لأن المهاجرين كانوا- عموما- من القبائل المكيه، و ليس قتل أى منهم إلا سببا فى اثاره حرب أهليه بين المشركين أنفسهم. و هذا و لا شک ليس فى مصلحه قريش فى أى حال.

و يشهد لما ذكرناه ما حصل لأبى سلمه حينما خرج بزوجته و ولده، فقام إليه رجال من بنى المغيره فأخذوا زوجته منه؛ لأنها منهم، فثار بنو عبد الاسد، قبيله الزوج؛ فانتزعوا سلمه من أمه (1).

و أدركت قريش: أن هذه الهجره الواسعه سوف تعقبها هجره الرسول الاعظم نفسه؛ ليمارس بحريه تامه عمليه الرياده، و القياده، و الهدايه بشكل أوسع و أعمق. و لسوف يحميه المدنيون بكل ما لديهم.

فلم يكن لديها همّ إلا المنع من تحقق ذلک بأى وسيله تقدر عليها، أو حيله تهتدى إليها.

1- البدايه ج 3 ص 169 و السيره النبويه لابن هشام ج 2 ص 112 و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 215/ 216.

ص: 353

الفهارس

اشاره

ص: 355

ص: 356

1- الدليل الاجمالى للكتاب

الفصل الثالث: الاسراء و المعراج 5- 52

الباب الثانى: حتى وفاه أبى طالب 53- 261

الفصل الأول: حتى الهجره إلى الحبشه 55- 115

الفصل الثانى: هجره الحبشه 117- 147

الفصل الثالث: حتى الشعب 149- 191

الفصل الرابع: فى شعب أبى طالب 143- 124

الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش 125- 259

الباب الثالث: من وفاه أبى طالب حتى الهجره إلى المدينه 261- 327

الفصل الأول: الهجره إلى الطائف 263- 274

الفصل الثانى: حتى بيعه العقبه 275- 304

الفصل الثالث: بيعه العقبه 305- 325

الباب الرابع: من مكه إلى المدينه .. 329

الفصل الأول: ابتداء الهجره الى المدينه 333

الفهارس 355

ص: 357

2- الدليل التفصيلى للكتاب

الفصل الثالث: الاسراء و المعراج 5- 52

الاسراء و المعراج 7

متى كان الإسراء و المعراج 8

الأدله على المختار 9

تسميه أبى بكر الصديق 14

الإسراء و المعراج فى اليقظه أو فى المنام 15

الإسراء و المعراج فى القرآن 18

سؤال هام و جوابه 19

الداعيه الحكيم 20

لا تدركه الأبصار 21

الإسراء من المسجد 25

موسى و فرض الصلوات الخمس 26

استبعاد الإسراء و المعراج 30

من أهداف الإسراء و المعراج 31

الأذان 34

اليهود و المسجد فى القرآن 35

مفاد الآيات إجمالا 35

ص: 358

ضرب القاعده و إعطاء الضابطه 36

أقوال الرواه و المفسرين 40

رأى العلامه الطباطبائى 41

رأى آخر 44

و ثمه رأى آخر أيضا 46

و الروايات ماذا تقول 47

الرأى الأمثل 47

القميون يقاتلون الإسرائيليين 48

الغرب و اسرائيل 49

الحروب الطويله و الصعبه 50

الفلسطينيون و الأرض 51

الباب الثانى: حتى وفاه أبى طالب 53- 261

الفصل الأول: حتى الهجره إلى الحبشه 55- 115

أهداف الإسلام 57

الحاجه إلى الوزير و الوصى 58

و أنذر عشيرتک الأقربين 59

التعصب الأعمى 62

ابن تيميه و حديث الدار 63

الرد على ابن تيميه 64

نقاط هامه فى حديث الانذار. أ: روايات لا يمكن أن تصح 69

ب: المراد بكونه خليفه فى أهله 71

ج: لماذا تخصيص العشيره بالدعوه 72

د: على (ع) فى يوم الإنذار 74

ه: موقف أبى لهب 75

و: الإنذار أولا 76

ص: 359

ز: ماذا قال النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى يوم الإنذار 77

ح: التبشير و الإنذار 78

ط: أخى و وصيى 80

فاصدع بما تؤمر 80

أ: قريش لم تصل إلى نتيجه 84

ب: سر استكبار قريش 85

ماذا بعد فشل المفاوضات 87

المعذبون فى مكه 89

مع المعذبين أيضا 89

المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر 90

هل عذب المشركون أبا بكر؟ 96

هل كان أبو بكر رئيسا 98

ملاحظه أخيره 99

أول شهيد فى الإسلام من آل ياسر 100

عمار بن ياسر 101

التقيه فى الكتاب و السنه 102

ملاحظه 103

و أما من السنه فنذكر 103

و أما التقيه فى التاريخ 105

التقيه ضروره فطريه عقليه دينيه إصلاحيه 111

الفصل الثانى: هجره الحبشه 117- 147

لا بد من حل 119

سر اختيار الحبشه 120

الهجره إلى الحبشه 122

أمير الهجره جعفر 124

ص: 360

من هو أول مهاجر إلى الحبشه 124

هجره أبى موسى إلى الحبشه لا تصح 125

رقه عمر للمهاجرين 126

هجره أبى بكر لا تصح 126

فضيله عثمان بن مظعون تجعل لغيره 130

محاوله قريش اليائسه 131

قريش و خططها المستقبليه 134

الثوره على النجاشى 136

عوده بعض المهاجرين 137

قصه الغرانيق 137

تساؤلات حائره 145

حقيقه الأمر 146

الفصل الثالث: حتى الشعب 149- 191

تناقضات فى تاريخ إسلام حمزه 151

إسلام حمزه (رض) 151

إسلام حمزه كان عن وعى لا حميه 153

سر جبن أبى جهل فى مواجهه حمزه 154

ملاحظه هامه 155

عبس و تولى 155

المذنب رجل آخر 161

سؤال و جوابه 162

الروايه الصحيحه 162

اتهام عثمان 163

تاريخ هذه القضيه 164

أعداء الإسلام و هذه القضيه 164

ص: 361

أكاذيب أخرى مشابهه 165

قضيه إسلام عمر بن الخطاب 167

و ثمه أوسمه أخرى 170

1- متى كان إسلام عمر؟ 171

و نحن نشير هنا إلى: 171

متى أسلم عمر إذن 172

2- من سمى عمر بالفاروق 177

3- هل كان عمر قارئا 177

ملاحظه 180

ملاحظه أخرى 180

4- هل عز الإسلام بعمر حقا 181

5- غسل عمر لمس الصحيفه 187

6- نزول آيه فى إسلام عمر 188

ملاحظات أخيره 189

خاتمه المطاف 191

الفصل الرابع: فى شعب أبى طالب 193- 224

المقاطعه 195

أموال خديجه (رض) و سيف على (ع) 198

حكيم بن حزام و عواطفه تجاه المسلمين 200
انشقاق القمر 202
شبهه و حلها 203
انشقاق القمر الحدث الكبير 206
إمكان الإنشقاق و الالتئام علميا 207
دلاله الآيه القرآنيه على ذلک 209
الأساطير 211

ص: 362

نقض الصحیفه 211

حنکه أبی طالب و إیمانه 213

القبلیه و آثارها 214

ما بعد نقض الصحیفه 215

وفد من الحبشه 215

من مواقف أبی طالب 216

مع تضحیات أبی طالب رضوان اللّه علیه 218

عام الحزن 221

الحب فی اللّه و البغض فی اللّه 222

الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قریش 225- 259

إیمان أبی طالب 227

بعض الأدله علی إیمان أبی طالب 229

الأدله الواهیه 240

1- حدیث الضحضاح 240

2- ارث عقیل لأبی طالب 242

3- و هم ینهون عنه و ینأون عنه 243

آیه النهی عن الاستغفار للمشرک 246

الوجبه الأخیره 252

خطابيات و أرجاز المدينى 255
سريه إيمان أبى طالب 255
ضروره سريه إيمان شيخ الأبطح 256
لماذا الافتراء على أبى طالب 257
أبو لهب و نصره النبى صلى الله عليه و آله وسلم 258
سر افتعال الروايه 259

ص: 363

الباب الثالث: من وفاه أبى طالب حتى الهجره إلى الحبشه 261- 327

الفصل الأول: الهجره إلى الطائف 263- 274

لا بد من تحرک جديد 265

الهجره إلى الطائف فى كلمات المؤرخين 266

هجرات أخرى له صلى الله عليه و آله وسلم 267

1- ما ذكر عن عداس 268

2- دخوله صلى الله عليه و آله وسلم مكه بجوار 269

3- إسلام نفر من الجن 270

4- الطائف و علاقاتها بمن حولها 271

5- الإسلام دين الفطره 272

6- هل كانت هذه سفره فاشله 273

الفصل الثانى: حتى بيعه العقبه 275- 304

المجاعه 277

عرض الإسلام على القبائل 278

بنو عامر بن صعصعه و نصره النبى صلى الله عليه و آله وسلم 280

1- الأمر لله 281

2- سمو الهدف و النظره الضيقه 282

3- الدين و السياسه 283

4- نتائج عرضه صلی الله علیه و آله وسلم دعوته علی القبائل 283
زواج النبی صلی الله علیه و آله وسلم بسوده و عائشه 284
1- سر عائشه 285
من طرائف الروایات الموضوعه 287
2- جمال عائشه و حظوتها 289
3- حسد و غیره عائشه 291

ص: 364

و ماذا بعد 299

دخول الإسلام إلى المدينه 330

1- إخبارات أهل الكتاب 302

2- المشاكل بين الأوس و الخزرج 303

3- تعاليم الشريعه السمحاء 303

4- المدنيون و المكيون 305

الفصل الثالث: بيعه العقبه 307- 327

بيعه العقبه الأولى 309

دعوه سعد بن معاذ قومه 311

البيعه 312

صلاه الجمعه 313

بيعه العقبه الثانيه 314

دور العباس فى بيعه العقبه 319

أبو بكر فى العقبه 322

حمزه و على (ع) فى العقبه 322

سريه الاجتماع و التقيه 323

شروط البيعه 324

لماذا النقباء 324

المشركون فى مواجهه الأمر 325
منازعه الأمر أهله 326
النبى لم يؤمر بالحرب بعد 327
الباب الرابع: من مكه إلى المدينه 329
الفصل الأول: ابتداء الهجره إلى المدينه 331
حب الوطن من الإيمان 333

ص: 365

دوافع الهجره من مکه إلی المدینه 335

سر اختیار المدینه 339

المؤاخاه بین المهاجرین 345

ابتداء هجره المسلمین إلی المدینه 346

المثل الأعلی 346

هجره عمر بن الخطاب 347

ما هی الحقیقه إذن 350

ماذا عن الهجره إلی المدینه 351

قریش و الهجره 351

الفهارس 353

الدلیل الاجمالی للکتاب 355

الدلیل التفصیلی للکتاب 357

و الحمد للّه و الصلاه و السلام علی محمد و آله الطاهرین

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة
نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي 03134490125
هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021
قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.